ديوان كافافيس

شاعر الإسكندرية

(١٨٦٣ - ١٩٣٣)



الترجمة الكاملة عن اليونانية

للدكتور نعيم عطية

ديوان كافافيس

شاعر الإسكندرية

(١٨٦٣ - ١٩٣٣)



الترجمة الكاملة عن اليونانية

للدكتور نعيم عطية

اهــداء

الى الأســتاذ الدكتور مجدى وهبــة ،

والى الشاعر اليونانى كوستى موسكوف ،

لتشجيعهما الأخوى على المضى في المغامرة الابداعية ،

وأيضا الى كل من أحب شاعر الاسكندرية ،

وترجم ونقل وكتب عنه ،

أهــدى هــذه الترجمـــة .

أمــا جنــاب بانديليس منجـليدس

سفير اليونـــان بالقاهرة ،

فله منى كل اعزاز وتقدير .

ن. ع.

مقدمة

ان قسطنطين بيتروس كافافيس الذى مات بالاسكندرية فى مساء التاسع والعشرين من ابريل عام ١٩٣٣ ودفن بها شاعر متفرد لا يضارعه من شعراء وطنه أحد . واذا ذكر الشعر اليونانى الحديث فقد تغنى الاشارة الى شاعر عن الاشارة الى عديد من الشعراء الآخرين . أما كافافيس فلا يعدله أحد . انه شاعر مجدد أصيل تغنى بما لم يتغن به غيره فى جراة ميزته فى الشعر اليونانى خاصة وفى الشعر العالمى عامة . وقد ترجمت قصائده الى العديد من اللغات الأجنبية، منها الفرنسية والألمانية والايطالية .

على مقربة من حى كوم الدكة بالاسكندرية .. فى شارع ليبسيوس الرافد الصغير المتفرع من « طريق الحرية » بيت قديم كتب عليه رقم ٤ وثبتت على بابه لوحه رخامية تحمل العبارة الآتية : « فى هذا المنزل قضى السنوات الخمس والعشرين الأخيرة من حياته الشاعر السكندرى ق . ب كافافيس » .

وتروى احدى الشاعرات اليونانيات عن زيارتها لكافافيس فى بيته فتقول : لما نزلت بالاسكندرية سألت عن داره ، فقيل لى : انه لا يحب الاختلاط بالناس .. وعندما دخلت غرفة استقباله كان الضوء خافتا شحيحا .. كان يحب الضوء الخافت ـ ضوء شمعة أو مصباح غازى ـ ولا يستخدم الكهرباء .. ولما الفت عيناى الظلمة رحت اتأمل كافافيس .. كان نحيفا ... شاحب اللون .. ضعيف البصر .. أشعث الشعر .. أنيق الملبس ..

على وجهه مسحة من الحزن .. وفى عينيه جاذبية عميقة .. تلمع فى نظراته أسرار قديمة .. ويلقى صوته من بعيد .. من أغوار الزمن السحيق .. ولما ودعته وانصرفت .. اضحيت وأنا أنزل الدرج الرخامي غير متأكدة من لقائه والجلوس اليه .. خيل الى أن كل شيء كان حلما .. فصوته وشكله ولقاؤه كان أشبه بحلم ولى .

هذا كافافيس الذى امتلأت صفحات رباعية الاسكندرية للروائى المعاصر لورانس داريل بالحديث عنه ، والاشارة اليه على أنه روح الاسكندرية النابض .. لكن من هو الشاعر كافافيس الذى صوره فناننا الكبير محمد ناجي ضمن الشخصيات المبرزة فى تاريخ الاسكندرية وذلك فى لوحته التذكارية الكبيرة عن هذه المدينة ؟ من هو حقا شاعر الاسكندرية قسطنطين ب. كافافيس ؟

ولد كافافيس بالاسكندرية فى السابع عشر من أبريل عام ١٨٦٣ واتخذها وطنا له . وقد عاين فى صباه غزو الانجليز الغادر لها وقذفها بالقنابل عام ١٨٨٢ . انه على خلاف كثير من أجانب ذلك العهد تألم لمصاب مدينته العريقة وذكره غزوها بغزو الرومان لها فى سالف الزمان . ولم تطاوعه نفسه عندما شب عن الطوق على الهجرة من الاسكندرية الحبيبة رغم الدعوات التى وجهت اليه للاقامة فى أثينا . ولقد كتب فى احدى قصائده بعنوان « المدينة » يقول : أن قلبه مدفون فى الاسكندرية منغرس فيها فأينما جل بعينيه رأى العديد من سنى حياته التى قضاها وبددها فيها .

ذكريات الصبا :

وقد ظل كافافيس يحتفظ من صباه بذكرى أمه على الدوام فى

أعماقه .. كانت امرأة جميلة أنيقة .. بـــل كانت أناقتها وابهتها وجواهرها ملفتة للأنظار . ظلت صورتها ماثلة مامه . كانت رائعة الجمال حقا ... رشيقة الخطى .. شديدة العناية بزينتها معجبة بنفسها .. تختال فى حجرات البيت .. وتقضى الساعات بطوال أمام مرآتها .. بل وقد ملأت أرجاء البيت بالمرايا .. كانت تحب أن ترى صورتها ... وقد ظل الشاعر يذكر أنها يوم أن ماتت .. فى الخامسة والستين من عمرها .. كانت تتجمل أجمل زينة استعدادا للذهاب لالتقاط صورتها عند أحد كبار المصورين فى المدينة .

كان كافافيس يهيم حبا واعجابا بأمه . كان مفتونا بها .. ولم يكن فى نظره ثمة امرأة أو فتاة بلغت ما بلغته أمه من جمال . ولقد وضع هذا الجمال حائلا سميكا بينه وبين نساء العالم أجمـــع عندما صار فيما بعد رجـــلا له مطالبه العاطفيـــة ، بـــل ظـــلت تطارده رغبة خفية ملحة فى أن يتقمص شخصيتها .

وكانت أمـــه تبادل ابنها الحب وتدلله كثيرا . كانت امرأة ولود ، أنجبت تسعة أبناء فى أقل من خمسة عشر عاما .. فقد كانت فى السادسة والثلاثين من عمرها عندما مات زوجها عـــام ١٨٧٠ .. ولم تنجب أمه غير ابنة واحدة هى أختـــه هيلينى التى لم تعش طويلا .. وجاء هو فى أعقابها .. ومن ثم كان بالنسبة لأمه آخر العنقود .. كما يقولون . ان آخر العنقود طفل مدلل فى أغـــلب الحالات ، وكان هذا حال كافافيس ، فلم ينعم طفل بحنان أمـــه قدر ما نعم كافافيس ، وقد زاد من تدليلها له أنه كان عزاءها عن ابنتها الوحيدة التى فقدتها غضة الاهاب .. كانت تلبســـه ملابس البنات . وتمشط شعره وتضفره وتعقصه بأشرطة حريرية ملونة .

كانت تعامله معاملة البنات .. طوال صباه .. وكان لا يفارقها أينما ذهبت . ويركب عربتها الأنيقة التي تجرها الجياد.. ويجلس في حضنها .. فيقول الناس : ما أجمل تلك الطفلة الجميلة ، ما أسعدها بحنان أمها الجميلة أيضا !

ولما كانت مثل هذه الرعاية البالغة من جانب الأمهات تؤثر في شخصية الأولاد عادة : فقد بدت هذه الآثار جلية على كافافيس ، فقد شب صبيا خجولا منطويا .. لا يعتمد على نفسه في شيء . كل رغباته مجابة . تسارع أمه الى تلبية طلباته .. وتحشد الخدم لخدمته . وقد تعلم القراة والكتابة في المنزل .. كانت له مربية ومدرس خاص يقيمان في بيتهم بشارع شريف في الاسكندرية . وقد أجاد كافافيس منذ نعومة أظفاره الانجليزية والفرنسية اجادة تامة .

ظل كافافيس حبيس البيت ، يحيا حياة الترف حتى السادسة عشر من عمره .. وقد أتاحت حياة الدعة لروحه أن تهيم .. فأشبع نهمه الى القراءة والاطلاع .. وفي وحدته وعزلته بين جدران البيت الفسيح تحت الثريات الوضيئة وعند النوافذ التي تتسلل من ستائرها أشعة الشمس حملته كتب الآداب والعلوم والتاريخ الى أسفار بعيدة .. ورحل الى عوالم قصية كان يعود منها فيجد أمه تغمره بحنانها وتكبله برعايتها .. فلا يستطيع الفكاك .

على أن الصبي كافافيس لم يكن يريد أن يتحرر من نفوذ أمه فلم يكن يطيق البعاد عنها .. كان سليب الارادة .. تملأ أمه حياته وكيانه .. واذا ما مد الصبي يده بشيء من خفيف العون أسرعت اليه تقول : دع عنك هذا يا جميلي الصغير .

واذا كان كافافيس قد حدثنا الكثير عن أمه ، فلأن أباه لم يكن ذا تأثير كبير عليه . وكان الشاعر كافافيس فى السابعة من عمره عندما مات أبوه فى العاشر من أغسطس عام ١٨٧٠ عن خمسة وستين عاما . ودفن بمدافن الأسرة فى الشاطبى .. لم تكن صلة الابن بأبيه كبيرة ، ولم يكن الاب يكترث بصغيره كثيرا ، فقد ولد له بعد ثمانية من الأولاد .. شبع من تدليلهم .. وكان الاب فى سنواته الأخيرة غارقا فى مشاكله .. منصرفا الى تدبير أمور معاشه .. فبعد أن كان قد جنى ثروة كبيرة من أعماله التجارية تدهورت أحواله المالية فى أخريات أيامه ، فمات تحت وطأة الحسرة ، ولم يترك لأسرته ثروة تذكر .. بل ان الابن فى أكثر الأيام لم يكن يميز أباه فى زحمة المترددين على البيت من التجار ورجال الأعمال .. وكان الأب يغيب عن الدار كثيرا وعندما يسأل الابن أمه عنه ، تأخذه بين ذراعيها ، وتغرقه فى قبلاتها . كانت أمه تنسيه فى الواقع كل شىء .. بل كانت هى كل شىء بالنسبه له . ولكن هل كان الأب والأم شخصيتين متنافرتين ، حتى يجد الصغير نفسه مرتبطا أوثق ارتباطا بأمه ؟ كلا ، كان الأب والأم زوجين متحابين ، ومتفاهمين فى حياتهما . انحدرت الأم من أسرة يونانية ثرية بالآستانة فى تركيا . وكان الأب الى جوار ثقافته بارعا فى شئون التجارة والمال . نزح الى الاسكندرية عام ١٨٤٥ فى الثلاثين من عمره ، واستقر بها يمارس تجارة المنسوجات والأقمشة التى كان يستوردها من أخيه بانجلترا . ثم اشتغل أيضا بتجارة الحبوب والمحاصيل وأنشأ كثيرا من محالج القطن .. وامتلأت حياته بالأعمال والمشاريع والصفقات . وحقق

من كل ذلك ثروة كبيرة .. وفى عام ١٨٤٨ عاد الى أسرته بالآستانة وتزوج الأم وكان اسمها خاريكليا .. الفتاة الجميلة الثرية .. وقد لحقت به فى الاسكندرية عام ١٨٥٠ حيث توافرت على رعاية بيته وتربية ابنائها العديدين .. ويذكر كافافيس أمه سجينة الدار الكبيرة تدبر شئونها على أكمل وجه .. ولا تضن براحتها وشبابها على اسعاد أبيه وتنشئة اخوته .. خمسة عشر عاما هانئة مثمرة قضاها الشاعر بجوار أبيه الى أن مات وقد تبدد الكثير من ثروته . بقى شيء آخر يذكره كافافيس عن أبيه ، ويعتز به أيضا . كان أبوه واحدا من الطبقة الأولى من اليونانيين الذين توخوا شرف المبدأ فى خدمة الجالية وخدمة هذا الوطن الذى تعيش على أرضه الخيرة ، ولم تنس فضله عليها وظلت معترفة بجمائله .. ولهذا فقد كان أبوه واحدا ممن لم يجاروا بلاط الخديوى اسماعيل فى غيه وجنونه ، ولا الطامعين الجاحدين الذين حوطوا به ، وانصرفوا الى ابتزاز أموال هذا البلد وامتصاص خيراته . من ثم ظل الشاعر بدوره أمينا لمبادىء أبيه مناصبا العداء للطبقة الوليدة الجشعة التى جاءت مع المحتل وأثرت من فتات مائدته .

كافافيس فى المدرسة :

بقى كافافيس حتى السادسة عشرة من عمره حبيس البيت هائم الروح بين كتبه الحبيبة ، وقد توفرت له كل أسباب الراحة .. لكن ماذا كان انطباعه عندما خرج الى معترك الحياة ؟ رأى الصبى نفسه يخرج لأول مرة الى معترك الحياة عندما ألحقته أمه بالمدرسة التجارية بالاسكندرية .. فوجد نفسه خجولا هيابا متحفظا من زملائه الذين كانوا مرحين ضاحكين رغم أنه كان متفوقا عليهم

بسبب سعة اطلاعه وكثرة قراءاته .. وقـد التقى كافافيس في المدرسة على الأخص بشخصية أثرت فيه كثيرا .. هى شخصية ناظر المدرسة الأستاذ قسطنطين بابازى وكان حاصلا على درجة الدكتوراه فى التاريخ والفلسفة من الجامعات الالمـانية .. كـان صارما .. يحب النظام والطاعة .. ولا يمل من الاشادة بالبطولات اليونانية عبر التاريخ .. وقد حبب تلميذه المتعطش الى المعرفـة فى دراسة التاريخ الذى كان يهواه من صغره .. حتى انه فى الثالثة عشرة من عمره أراد أن يعد قاموسا تاريخيا .. وقد نمى فيـه أستاذه بابازى ميله الى قراءة كتب المؤرخين ..

بعد المدرسـة :

اضطر كافافيس أن يهاجر مع أمه وأسرته الى الآستانة ، بعد اعتداء الانجليز الوحشى على الاسكندرية .. ورحل للاقامة عند جده .. على أن الشاعر ما لبث أن عاد الى « مدينته » سنة ١٨٨٥ ونظرا لأن أحوال أسرته المـالية كانت قد سـاءت اشتغل مترجما فى تفتيش الرى وكان تحت ادارة الانجليز . وقد تدرج فى سلم الوظيفة فأصبح فى ابريل عام ١٨٩٢ كاتبا بمرتب سبعة جنيهات ، ثم بلغ مرتبه أربعة وعشرين جنيها فى ينـاير عـام ١٩١٣ . وفى أبريـل عـام ١٩٢٢ اسـتقال مـن عمـله وخـلد الى العـزلة ، فقـد كـانت أمـه قـد مـاتت عـام ١٨٩٩ وفارقـه مـن بعدهـا اخوته وأحبـاؤه . وأحس من بعدهم بالوحشة .. لكنه ظل ملتصقا بمدينته لا يغادرها رغم الدعوات الكثيرة التى وجهت اليه من الأوساط الأدبية فى أثينا ، وعلى الأخص من الشـاعرين الكبيرين « انجلو صيقيليانوس »

(١٨٨٤ — ١٥٩١) و « لامبروس بورفيراس » (١٨٧٩ — ١٩٣٥) .

« اليوم الرتيب يأتى فى أعقاب يوم رتيب آخر مماثل . الأمور ستحدث ، ثم ستحدث من جديد . ويضحى الغد بذلك كما لو لم يكن فيه من الغد شىء » .

هذه أبيات من قصيدة كافافيس بعنوان « ملل » .. لكن اذا كان اليوم الرتيب يأتى فى أعقاب يوم رتيب آخر مماثل . ويضحى الغد كما لو لم يكن فيه من الغد شىء ، فماذا نستطيع أن نفعل ؟ يجيب الشاعر على ذلك فى قصيدته « قدر بامكانك » فيقول :

« لو لم يكن بامكانك أن تصنع حياتك كما تريد ، فعلى الأقل حاول ما استطعت ، الا ترخص من شأنها بكثرة الاحتكاك بالناس ، وبالافراط فى حركاتك وكلماتك .. حتى تمسى حياتك ضيفا ثقيلا عليك » .

اعتكف كافافيس فى منزله ولزم صومعته خافتة الضوء ، فهو لا يحب ثرثرة الناس ولا العقول الجوفاء .. اذا زاره ضيف يحبه أضاء له شمعة ثانية والا شمعة واحدة . فاذا ضاق بالضيف أطفأ الشمعة ايذانا بانفضاض الجلسة .

بداية التجربة الشعرية :

بدأ كافافيس يكتب الشعر منذ وقت مبكر . ربما بعد عودته من الآستانة عام ١٨٨٥ . وعلى وجه التحديد عام ١٨٨٦ .

ولم ينشر كافافيس قصائده فى ديوان كما يفعل أغلب

الشعراء فلم يكن مهتما بالشهرة فى وقت من الأوقات ، ولم ينشر فى الصحف والمجلات سوى القليل من شعره . كان يكتب قصـــائده على قصاصات من الورق يوزعها على أصدقائه ومعارفـــه .. مكتفيا بذلك ..

وتفيض كثير من قصائد كافافيس بنغمة من الحزن الرصين والحسرة الخفية على ما فات من أيام العمر ولياليـــه ، والأسى من ترقب غد لا أمل فيه . ان أيام الغد تقف أمامنا مثـــل صف من الشموع الموقدة ، شموع صغيرة ذهبية حارة ومفعمة بالحياة ... الأيام المـــاضيات تبقى فى الخلف خطا حزينا من الشموع المطفأة .

كان المـــاضى محط أنظـــار كافافيس . وتلعب الذكريات فى شعره دورا سحريا . انه يصغى على الدوام الى ذكريات من مات من الأحباء والأصدقاء والأقارب .. ويتصور أنه يسمع فى السكون اصوات الحبيبة ، أصوات أولئك الذين ماتوا ، أولئك الذين هم بالنسبة اليه ضائعون مثل الموتى . يخيل اليه أنها تتكلم اليـــه فى أحلامه أحيانا ، وأحيانا فى الفكر يسمعها عقله . ومـــع أصدائها تعود برهة أصوات من قصائد حياته الأولى ، مثل موسيقى بعيدة فى الليل تخبو .

وتفد الذكريات عادة الى الشـــاعر بالليالى فى هدوء البيت الذى خلا من غيره . ولم يعد يشاركه فيه سوف أطياف الشباب الذى ولى . يوقد المصباح فى التاسعة ويجلس دون أن يقرأ ودون أن يتكلم . ومع من يتكلم وحيدا فى هذا البيت ؟ وتفد الذكريات .. غرف مغلقة تفوح منها العطور .. متع عابرة .. شوارع لم تعد معروفة .. ودور للهو اندثرت وكانت حافلة بالحركة .. ومسارح

ومقاه كان لها وجود ذات يوم .. وكما تقد الذكريات السـعيدة تأتي ايضا الذكريات الحزينة .. الفراق .. وحداد الأسرة على من مات من أفرادها .. أحاسيس ذويه .. وأحاسيس موتاه .. ولم يكن يقدرها من قبـل حق التقـدير .. ويمضي الوقت سريعا مع موكب الذكريات .. تمضي السنين متراجعة مدبرة الى غير رجعة ، ولا يبقى منها سوى أطياف تجيء كل ليلة عندما يوقد المصباح في التاسعة . وها هي قصيدة أخرى من قصائد الذكـريات عنوانها « البحر في الصباح » يقول فيها كافافيس :

« فلأقف هنا ولأر أنا أيضا الطبيعة مليا ... شاطيء بحـر رائع ، أزرق أصفر في صباح سماؤه صافية .. كل شيء جميـل مفعم بالضياء .. فلأقف هنا ، ولأخدع نفسي بأني رى هذه حقا ولا أرى خيالاتي ، ومتعة وهمية » .

ويختلط في هذه الأبيات الواقـع بالذكـرى ، وتخشى روح الشاعر المتشبثة بالماضي من أن يكون ما تراه عيناه فعلا مجـرد خيالات ، وأن يكون سابحا في ذكريات الماضي ، فيخيل اليـه أن الطبيعة الفاتنة المحيطة به انما هي متعة وهمية .. مثل حلم رائع ما زال مستحوذا عليه رغم أنه قد أفاق منه . كانت بالشـاعر لهفة متقدة وظمأ لا ينطفيء الى لحظات من الواقع مضت وولت ..

ومع الماضي اذى ولى ، والذى يفلت من بين أصابع الشاعر ، مثل رمال منسابة يأتي الى قصائده الندم على حياة كان بالامكان

أن يحياها على نحو أفضل . ويزخر كثير من أشعاره بذلك الاحساس المضنى ، بل انه فى بعض اللحظات ـ كما فى قصيدته « أسوار » ـ يتصور خصوما شريرين بنوا حوله أسوارا ضخمة عالية ، سجنوه فيها بلا تحفظ ولا حسرة ولا حرج . وجلس فى معقله يائسا ، لا يفكر فى شىء آخر ، ولو أن عقله يمزقه ما حدث ، لأن عليه أن يقوم بالعديد من أشياء فى الخارج . ولكن كيف كان يستطيع أن يمنعهم وهو لم يسمع جلبة بنائين ولا صوتا قط . أضحى سجين تلك الأسوار ولا يستطيع التحرر من اسارها . وكم منا تحوطه الأسوار وتشل حركته !

لكن كافافيس يعود فيغوص فى أعماق المأساة الانسانية . وينتحل للفرد الأعذار ازاء مغريات الحياة القوية التى تجرف فى تيارها كل محاولات الارادة للتخلص من أسباب الندم . فالانسان يقسم من آن لآخر أن يبدأ حياة أفضل ، لكن عندما يأتى الليل بنصائحه ومصالحاته ووعوده ـ عندما يأتى الليل بعنفوانه ، بعنفوان الجسد الذى يرغب ويطالب ، الى الفرحة المحتومة يعود خاسراً من جديد .

يتمنى الشاعر ن تنفتح فى الغرف المظلمة ـ التى يحيا فيها أياما ثقالا ـ نوافذ فيها العزاء . لكنه تارة لا يجد أثرا لهذه النوافذ ، وتارة يعترف بعجزه عن العثور عليها رغم وجودها ، وتارة أخرى يفضل الا يجدها ، فهو يخاف منها « فربما كان النور عذابا جديدا . من يدرى كم من اشياء ستظهر ؟ ! » .

ولا يرفض كافافيس الحياةتماما ، لكنه يرى أن روعة المصير الانسانى ليست فى الهدف ، بل فى السبيل الى ذلك الهدف ،

ولا يرفض كافافيس الحياة تماما ، لكنه يرى أن روعـــه المصير الانسانى ليست فى الهدف . بل فى السبيل الى ذلك الهدف . ويفرغ فلسفته هذه على الأخص فى قصيدته « اثياكا » ــ وهى من أشهر قصائده ـــ ونجده يلجأ فيها الى أوديســة هوميروس ، وينتقى منها اسطورة أوديسيوس ، الذى لقى فى سبيل العودة الى جزيرته « اثياكا » كثيرا من المشاق والأهـــوال والمغامرات التى يحكيها لنا هوميروس . وماذا كانت الجدوى من كل مشاق الطريق ؟ لقد عاد أودنيسيوس ليجد جزيرته جرداء ومعارفه قد انفضوا عنه ، وزوجته الجميلة الوفية قـــد هرمت وشـــاخت وزال عنها حسنها ورواؤها . ولكن اذا بدا الهدف لا يستحق فى النهاية كل ما بذل فى سبيله ، فان عزاءالانسان يكون فى مغامرة الوصول الى الهدف .

كثير من أبطال كافافيس عرفوا هذه الحقيقة . وفى قصيدته « الطرواديون » التى كتبها عام ١٩٠٠ يقف باعجاب أمام أهـــل طروادة الذين ناضلوا فى اصرار وعـــزم دفـــاعا عن مدينتهم وهم موقنون بأنها ساقطة فى يد العدو الهائل لا محالة . ان لحظـــات الأمل اليائس .. لحظات البطولة رغم الهزيمة .. لحظات اثبات الوجود الانسانى رغم كل القوى الغاشمة .. هى لحظات شعرية حقيقية .. وقد كان كافافيس يبحث كثيرا عن هـــذه اللحظات فى أعماق التاريخ .. ولا يهتم فى هذه اللحظات بالأخلاقيات الطنانة .. مثل الشجاعة والورع والأمانة .. بل هو يركز الانتباه على البطولة الصامتة .. على قدرة الانسان أن يحول هزيمته أمـــام القـــوى المادية الى انتصار روحى .. وقد يندثر المنتصرون الأشداء بعتادهم وسلاحهم وينساهم التاريخ ، بينما يبقى المهزومون الذين لم ينكصوا عن الهدف .... ذكرى عاطرة على مر الأجيال .

القصـــائد

(١)

رغبـات

مثل أجساد جميلة ، لم تدركها الشيخوخة ،
ذرفت عليها الدموع ، وهى توارى ضريحا فخم البناء ،
على الهامات نضدت ورود ، ونثر الياسمين عند الاقدام ،
مثل أجساد كهذه هى الرغبات التى ولت
دون وفاء ، دون أن يقدر لها قط
ليلة من ليالى المتعة ، ولا حتى صباح من أصبحتها
العامرة بالضياء .

(٢)

أصـوات

أصوات خفية حبيبة ، أصوات أولئك الذين ماتوا ، أو أولئك الذين هم بالنسـبة الينا ضائعون مثـل الموتى ، تتكلم فى أحلامنا أحيانا ، وأحيانا فى الفكر يسمعها العقل .

ومع أصدائها تعود برهة أصـوات من قصـائد حياتنا الأولى ، مثل موسيقى بعيدة فى الليل تخبو .

(٣)

دعـاء

ابتلع اليم فى أعماقه بحارا .

ولم تعلم أمه بالخطب فمضت تشـعل أمام العذراء شمعة طويلة ، حتى يظل الجو صحوا ويعود ابنها سريعا .

وراحت الأم ترهف السمع للرياح ، وتقيم الصلوات وتبتهل .

على أن صورة العذراء المنصتة خيم عليها حزن وكآبـة ، فهى تعرف أن الفتى لن يعود .

(٤)

أولى درجات السلم

جاء الشاعر الشاب أفمينيوس
ذات يوم الى ثيوكريتوس يشكو :
« سنتان مرتا الآن ، وأنا أكتب
والى غير قصيدة غزلية لم أتوصل ،
عملى المتقن الوحيد هى .
واحسرتاه ، أرى سلم الشعر عاليا
عاليا جدا أراه .
ومن هذا الدرج الذى أقف عنده هنا
لن أرتقى ، أنا المسكين ، أبدا »

قال ثيوكريتوس : « هذا الكلام تجديف
غير لائق
وان كنت عند أولى الدرجات ، فيجدر بك
أن تفخر بذلك وتسعد
فليس بالقليل أنك قد وصلت الى هنا
والذى أنجزت هولك شرف كبير
وهذا الدرج الأول
عن عامة الناس يبعد كثيرا
وكى تطأ قدمك ذاك الدرج
يجب أن تكون بحق
فى مدينة الفكر مواطنا
ومن الصعب فى تلك المدينة
بل ومن النادر أيضا أن يقبلوك مواطنا
ففى السوق تجد واضعى قوانين
ليس بامكان أفاق أن يخدعهم
ليس بالقليل أنك قد وصلت الى هنا
والذى انجزت هو لك شرف كبير .

(٥)

رجل عجوز

فى أغوار المقهى ، المليء بالضوضاء ، يجلس رجل عجوز الى منضدة محنيا ، يحملق فى صحيفة أمامه ، وحيدا ، بغير رفيق يؤنسه .

وتحت وطأة ما تجلبه الشيخوخة من نسيان واهمال ، مضى يفكر كم كانت سعادته ضئيلة فى السنين التى كان متمتعا فيها بالفتوة ، والوسامة ، ورجاحة العقل .

يعرف أن العمر تقدم به . يشعر بذلك ، ويراه . ومع ذلك ، فأيام الشباب تبدو له ، كما لو كانت بالأمس القريب . كم كان الزمن قصيرا . كم كان الزمن قصيرا !

تأمل كم خدعه صوابه ، وكم كان على الدوام يصدقه . وياله من جنون ان صدق ذلك الكذاب ، وهو يقول « غدا . لديك من الوقت متسع » !

يذكر كم شهوة كبت ، وكم فرحة ضحى بها . يحاسبه صوابه غير الحكيم عن كل فرحة اضحت الآن ضياعا .

... ولكن من فرط ما فكر وتذكر ، ثقلت رأس العجوز . ونام متكئا على منضدة المقهى .

(٦)
شموع

أيام الغد تقف أمامنا مثل صف من الشموع الصغيرة الموقدة ، شموع صغيرة ذهبية حارة ومفعمة بالحياة .

الأيام الماضيات تبقى فى الخلف خطا حزينا من الشموع المطفأة ، واقربها ما زال الدخان ينبعث منها ، شموع باردة ذائبة ومحنية .

لا أريد أن أراها ، فمرآها يبعث الشجن فى نفسى ، ويشقينى أن أذكر نورها الأول ، فأنظر قدما الى شموعى الموقدة .

لا أريد أن التفت ورائى خشية أن أبصرها فيتملكنى الرعب ، وأنا أرى الخط المظلم يمعن فى الطول ، والشموع المطفأة سرعان ما تتزايد .

(٧)

ثيرموبيليس

المجد لأولئك الذين فى حياتهم ، صمدوا ، ومضوا يحرسون ثيرموبيليس ، دون أن يتزحزحوا عن واجبهم لحظة .

سبلهم مستقيمة ، وعادلة أعمالهم كلها . وان لم تخل ايضا عواطفهم من الرقة ، وقلوبهم من الرحمة .

ان أوتوا ثراء ، فهم يفيضون كرما ، وحتى فى نقرهم يجودون من القليل الذى لهم .

يبذلون كل عون بامكانهم أن يبذلوه .

بالصدق دائما يتكلمون ، لكنهم أيضا متسامحون ، حتى مع من لا يصدقون .

المجد ثم المجد لأولئك الذين بأمكانهم أن يرصدوا الغيب (وكثيرون منهم على ذلك قادرون) ويعرفوا ان افيالتيس فى النهاية سينتصر ، وان الفرس آخر الأمر سيمرون .

(٨)

الذى أقدم على الرفض الحاسم

يأتى يوم على الناس عليهم فيه أن يتخذوا القرار الحاسم . فيقولوا « نعم » أو يقولوا « لا » . والمرء الذى تكون « نعم » جاهزة فى أعماقه يبرز توا . واذ يقولها يمضى فى طريق الشرف مؤمنـــا .

ومن يقول « لا » لا يندم . ولو سئل ثانية لقال « لا » من جديد . ولكن ذلك الرفض ، مع صوابه ، يهدمه طوال حياته .

(٩)

أرواح العجائز

فى أجســـادها العتيقة المهدمة تجـلس أرواح العجــائز ، مسكينة ، كم هى حزينة . كم هى ضجرة بالحيـــاة التعيسة التى تحياها . كم ترتعد خشـــية أن تفقدها ، فـــكم تحب الحياة تلك الأرواح المبلبلة المتناقضة التى تقبع فى جلودها البالية الهرمة ، مثيرة للضحك والرثاء .

(١٠)

ايقــاف

أعمال الآلهـــة ، نوقف جريانها نحن ، الأبناء المتعجلون ، ناقصو الخبرة ، للحظة العابرة .

وفى قصور اليفسينوس ونفياس يبدأ نيتيس ونيمترا أعمالا مباركة ، فى خضم نيران ملتهبة ودخان كثيف . ولكن على الدوام تنقض ميتانيرا ، من ناحية الغرف الملكية ، فزعة شعثاء الشعر ، وعلى الدوام ، بتدخل بيليفس ، وقد تملكه الخوف .

(١١)

النوافذ

فى هذه الغرف المظلمة التى أمضى فيها أياما ثقالا ، أروح وأغدوا باحثا عن النوافذ .

عندما تنفتح نافذة سيكون هذا عزاء . لكن النوافذ لا أثر لها ، أو أنى غير قادر أن أعثر عليها .

وربما كان من الأفضل الا أجدها ، ربما كان النور عذابا جديدا . من يدرى كم من أشياء جديدة ستظهر .

(١٢)

أهل طروادة

ما أشبهنا بأهل طروادة ، نحن المغلوبين على أمرنا .
نحقق بعض النصر ، فيشدد ذلك من أزرنا ،
نشرع نلملم الشتات ، وتتجدد مرة أخرى فينا الآمال .

على أن شيئا يطرأ على الدوام ، يثبط عزائمنا ، ويعوقنا عن المضى فى تنفيذ المخططات .

يقفز اخيل من الخندق ، أمامنا ، وبصيحاته يلقى الذعـــر في الأوصـــــال .

مثل اهل طروادة نحن . جهودنا ، مثل جهودهم محبطة .

نعتقد اننا بالعزم والاقدام ، سنغير من مصائر العدوان .

نهب فى وجهه ، ونقف له بالمرصاد .

فاذا ما أتت الساعة الحاسمة ، تبدد منا العزم والاقدام .

اضطربت ازاء الطامة الكبرى جوانحنا ، وارتبك فى افواهنا الــكلام .

نهرول ، مبتعدين عن الأســــوار ،

متخلين عنهـــا ،

هاربين ، طالبين النجـــاة .

اندحارنا بات مؤكدا . بل وبدأ العويل يفد عبر الأسوار .
علا النواح من فوقها على ما ضاع من أيامنا ، وعلى ما فاته

من عواطف وذكريات .

بحرقة يبكى هيكافى وبريام .

من أجلنا يبـــكيان .

(١٣)

وقع الأقدام

فى سرير أبانوسى ، مزين بنسور مرجانية ، يرقد نيرون مستغرقا فى نوم عميق ، سعيدا ، قرير العين ، متمتعا بعنفوان الجسد ، وحيوية الشباب .

ولكن فى القاعة الرخامية ، حيث هيكل مقدسات الانيفارفون ، بدا الانزعاج الشديد على الآلهة حارسة البيت .

كم انزعجت هذه الآلهة الاصاغر .

ترتعد أبدانها التوافه ، وتجاهد لتتوارى ،

وذلك لأنها سمعت دويا مخيفا ، هو صوت الموت يصعد ، راعدا ، بخطوات حديدية ترتج لوقعها الدرجات .

تهرول تلك الآلهة التعيسة من فرط الخوف منهارة متخبطة الخطوات ،

لائذة بمآوى البيت ، متدافعة بالمناكب ،

متعثرة فى طريقها ساعية للأختباء فى الخزانة المقدسة .

وفى تزاحمها ، يسقط اله صغير على اله صغير آخر ، لأنها أدركت ماهية هذا الدوى .

عرفت الآن من وقع الأقدام هذا ، ان آلهات العقاب آتية .

(١٤)

ملل

اليوم الرتيب يأتى فى أعقاب يوم رتيب آخر مماثل .
الأمور ذاتها ستحدث ، ثم ستحدث من جديد .
اللحظات المتشابهة تمر بنا ، وتمضى .
شهر يمر ، ويأتى بشهر آخــر .

تلك الأمور القادمة يمكن للمرء أن يخمنها . انها أحــداث الأمس المملة .
ويضحى الغد بذلك كما لو لم يكن فيه من الغد شئ .

(١٥)

أســوار

بلا تحفظ ، بــلا حسرة ، بنوا حــولى أسوارا ضــخمة عاليــة .

وها أنا أجلس الآن فى يأس ، لا أفكر فى شئ آخر ، ولو أن عقلى يمزقه ما حدث ، لأن على أن اقوم بالعديد من الأشياء فى الخــارج .

آه ، كيف لم أتنبه وهم يبنون الأســوار ؟ لكنى لم أسمع جلبة بنائين ولا صوتا قط .

لقد عزلونى عن العالم الخارجى ، دون أن أشعر .

(١٦)

في انتظار البرابرة

ما الذى ننتظره فى السوق محتشدين ؟
أن البرابرة يصلون اليوم .
وفى مجلس الشيوخ ، لماذا هذا الاعراض عن العمل ؟
لماذا جلس الشيوخ لا يسنون التشريعات ؟

لأن البرابرة يصلون اليوم . وما الجدوى من أن يسن الشيوخ التشريعات ، ما دام البرابرة عندما يحضرون سيسنون هم التشريعات ؟

لماذا صحا امبراطورنا مبكرا هذا الصباح ، وجلس عند البوابة الكبيرة فى المدينة ، على عرشه مرتديا تاجه وزيه الرسمى ؟

لأن البرابرة يصلون اليوم . والامبراطور فى الانتظار ليستقبل رئيسهم ، بل وأعد الامبراطور العدة كى يمنحه شهادة فخرية يضفى عليه فيها رتبا والقابا .

لماذا خرج قنصلانا والحكام اليوم فى مسوحهم الحمراء الموشاة ؟ لماذا لبسوا أساور ذات جواهر قرمزية وخواتم زمردية براقة ؟ لماذا يمسكون اليوم عصيا ثمينة مزينة بالذهب والفضة ؟

لأن البرارة صلون اليوم . ومثل هذه الأشسياء تبهر البرابرة .

لمــاذا لا يجيء الخطبــاء المفوهون مثــل كل يــوم ليلقوا خطبهم ، ويقولوا ما ألفوا أن يتشدقوا بــه ؟ لأن البرابرة يصلون اليوم ، وهم يملون الخطب وتضجرهم البلاغـــة .

لمـا يبدأ فجأة هذا الانزعاج وهذا القلق ، ويرتسم الجد على الوجوه ؟ لمــاذا تقفر الشـــوارع والميادين بسرعة ، ويعود الجميع الى بيوتهم وقد استبد بهم التفكير ؟

لأن الليل قد أقبل ولم يحضر البرابرة ، ووصـــل البعض من الحدود ، وقالوا انه ما عاد للبرابرة وجود .

ماذا سنفعل الآن بلا برابرة ؟ لقد كان هؤلاء الناس حــلا من الحلول .

(١٧)

حنث بالوعد

« وهكذا ، رغم اننا نوافق هوميروس عــلى أمور كثيرة ، فهذا لا نوافق عليه .. ولا سوف نوافق اسخيلوس على جعله ثيتيس تقول ان ابوللو تغنى فى زفافها احتفــاء بمولودها ، قائلا : أنــه ســوف يحيا طويلا ، وستكتب له البركات كلها .

وانه أنشد هذا المديح ، فأدخــل البهجة الى قلبى ، وأصبحت أؤمن بأن شفتى ابوللو المقدستين البليغتين فى فن النبوءة ، سوف لا يتطرق اليهما الشك يوما .

ولكن اذا بالذى أذاع هذه الأمور ، هو الذى قتل ابنى »   (افلاطون — الجمهورية — ٢/٣٨٣)

فى زفــاف ثيتيس وبيليوس ، نهض ابوللو واقفــا أثنــاء الحفل الباذخ ، وبارك الزوجين .

وعن الابن الذى سينجبانه ، قال :

« أبدا ، لن يزوره المرض . وسوف تكون حياته مديدة »

وقد راق ذلك لثيتيس ، وملأها بهجــة ، فقد بدت كلمات ابوللو ، المحنك فى النبوءات ، ضمانا لابنها من غوائل الأزمان .

وعندما شب اخيل عن الطوق وكبر ، وراحت تيساليا كلها تتناقل الأحــاديث عن وســامة ذلك الشــاب ، تذكرت ثيتيس النبــوءة .

ولــكن ، ذات يــوم ، جــاء بعض من كبــار الســن عائدين بالأنباء ، واخبروا بأن اخيل قتل فى طروادة ، فشقت ثيتيس ثيابها الارجوانية . ونزعت من على جسمها الخواتيم والأســاور ، والقت بها الى التراب .

وفى أحزانها ، تذكــرت ذلك المشهد من حفل الزفــاف ، فتساءلت ماذا كان الحكيم ابوللو يفعل عندما حدث ما حدث ؟ أين كان هذا العراف ، المعسول الكلمات فى المنتديات ، عندما قتلوا ابنها ، وهو فى أحلى سنوات العمر ؟

وأجاب كبار السن بأن أبوللو نفســه ، كان قــد نزل الى طروادة ، ومع الطرواديين اشترك فى قتل ابنها .

(١٨)
جنـاز ساربيذون

زيوس غارق فى احزان عميقــة .

باتروكولوس قتــل ســاربيذون . وها هو باتروكولوس يندفع الآن مع الاخيين ، لاختطاف الجثمان ، والتنكيل به .

على أن زيــوس لا يطيق ذلك ، ولئن ترك ابنه المفضــل يقتل ــ وهذا ما كان يمليه القانون ــ فسوف يكفل له ، عــلى الأقل ، التكريم بعد الموت . ولهذا فهو يرسل ابوللو الى السهل . فينزل مزودا بتعليمات فى شأن معاملة الجثمان .

يرفع ابوللو جثمان البطل بكل اكبار ، ويحمله اسيفا الى النهر .

يغسله من التــراب والدم . يضمد الجــراح فلا يبقى من آثارها شىء .

يسكب عطر الخلود على الجثمان ، ويلبسه ثيابا براقــة .
يدهن البشرة بالمساحيق ، فيبدو الوجه ناصع البياض .

ويمشـط من اللآلىء يصفف الشعر اللامع السواد .
ثم يبسط الأطراف الجميلة ، ويصلح من وضعها الأخير .

والآن ، ها هو ساربيذون يبــدو مثــل ملك شــاب ــ فى

الخامسة أو السادسة والعشرين من عمــره ــ ملك قاد مركبته العسكرية ، فى سباق عظيم ، والآن يخلد للراحة بعد فوزه بالجائزة. مركبته من ذهب خالص ، وجياده أسرع الجياد طرا أجمعين .

وبعد أن انجز ابوللو مهمته عــلى هذا النحــو ، يستدعى الأخوين ، النوم والموت ، ويأمرهما بأن يأخذا الجثمان الى ليكيا ، بلد الثروات .

يخرج الاخوان ، النوم والموت ، سيرا على الأقدام الى بلد الثروات . وعندما يبلغان باب قصر الملك ، يسلمان الجثمــان المكرم . والى شئونهما الأخرى ينصرفان .

وما أن يتلقى القصر الجثمــان ، تبدأ المراسم الجنزيــة . مواكب ومدائح وترانيم ، وأكاســـير عـــديدة من أوان مقدســة تسـكب .

جرت احتفالات التبجيل والحفاوة كلها .

ثم جاء بعد ذلك من المدينة عمـــال مهرة ، وصــناع ذائعو الصيت . ومن الحجر أقاموا النصب التذكارى وشيدوا الضريح .

(١٩)

حاشية ذيونيسيوس

دامون ، الصانع الأريب (الذى لا يفضله فى أرض اليونان أحد) يعطى اللمسات الأخـيرة لحاشــية ذيونيسيوس ، تمثاله الجديد ، المنحوت من الرخام الأبيض التليد .

الآله فى المقدمة ، واثق الخطى ، يقود الركب بكبرياء ليست بمستغربة على اله مثله .

ومن خلفه تمضي « الشراهة » والى جوارها « ثمالـــة » تسكب النبيذ للمساخيط الماجنين ، من أناء ذى مقبضين ، مزين بأكليل من لبلابة خضراء . وعلى مقربة ، حسناء النبيذ بلحظيها الناعسين ، تخطـــر بخطى كسول . ومن بعدهم جميعا ، يجىء اثنـــان من المغنيين ، همـــا « لحن » و « نغم » وفى أعقـــابهما « سرحان » يمسك بشعلة « الرخاء » المباركة ، جاهدا الا تنطفىء. ثم بكل خفر وحياء تأتى « حفلة » فى مهابة .

ينظر داموس الى ما صنعته يداه . ويسرح باله من وقت لآخر فى الأجـــر الذى من ملك سيراقوسة سيتقاضاه . ثـــلاث تالنتات . هذا مبلغ كبير . فاذا ما أضاف اليه ما ادخـــره من مال ، فسوف يعيش منذ اليوم ، ناعم البال ، مثل الأغنياء . بل وسوف يدخل عالم السياسة .. ياللسعادة ، ســـوف يدخـــل مجلس الشيوخ ، حيث يتبارى أمامه الخطباء .

(٢٠)

جــواد أخيل

عندما رأيا بتروكولوس ميتا ــ وكم كان فتيا ، وشجاعا ، وقويا ــ شرع جوادا أخيل فى النحيب .
ثارت طباعهما الخالدة تمردا على ما تمثل أمامهما من افاعيل الموت هذه .

طوحا براسيهما الى الخلف ، وقد اشراب عرفاهما .

دقا الأرض بسنابكهما مجفلين ، وناحا على باتروكولس ، اذ أبصراه ملقى أمامهما ، فاقدا للحياة ، مخربا .

اضحى الآن مجرد جثة ، هامدة الأنفاس ، فارقتها الروح ، وخلفتها بلا مدافع أو نصير .

ومن الحيـــاة آب آلان باتروكولوس ، عائدا الى العـــدم الكبير .

رأى زيوس الدمـــوع فى مآقى هذين الجوادين الخالدين ، فأحس بالحسرة نحوهما . وقال « ما كان يجب أن اتصرف بهذا التساهل فى زفـــاف بيليوس » وأردف يقول « الأفضل الا نكون منحنـــاك هـــذين الجـــوادين التعســـين هديـــة . ما شأنكما هناك ، بين البشر الذين تتنازعهم الأهواء ، ويلعب بهم القدر ؟ أنتما أيها الجوادان متحرران من الموت ، ولن تدرككما شيخوخة ، فما بالى أراكما وقد تمزقت جوانحكما من أجل مصيبة عـــابرة ؟ أوقعكما البشر ولا شك فى أحابيل شقائهم » .

ولـــكن ، أكـــان الجـــوادان النابهـــان فى الحق يذرفـــان الدموع على مصيبة عابرة ؟ انهما لعمرى يذرفان الدموع عـــلى الموت ، وتلك مصيبة مؤبدة .

(٢١)

انه لرجل عظيم

فى انطاكية ، غريب وافد من اديسا ، كتب عليه أن ينطوى على نفسه ، ينظم الشعر مجهولا ، مجهولا ، ولا يأبه به أحد ، ولكن ها هو يكمل قصيدة غنائية ، فيرتفع عطاؤه من القصائد الى ثلاث وثمانين .

أدرك الشاعر المغمور فى النهاية التعب ، من فرط ما كتب ، وشدة الحرص الذى التزم ، والغيرة على تراكيب اللغة اليونانية التى ينظم شعره بها .

وهنت عزيمته ، وحط عليه الاكتئاب والسأم .

خاطرة واحدة ، أخرجته على التو من ضجره . ها هو يسمعهم يقولون ، مثلما سمعهم لوقيانوس من قبل فى حلمه يقولون ، « انه لرجل عظيم » .

(٢٢)

الملك ديمتريوس

« .... وليس كملك ، بل كممثل ، ترك أرديته الملكية ، وارتدى عباءة قاتمة اللون . اكتفى بها ، وانصرف دون أن يلحظه أحد .... » .

« من حياة ديمتريوس لبلوتارخوس »

عندما تخلى عنه أهل مقدونيه
وأعلنوا أنهم يفضلون عليه بيرو
لم يتصرف الملك دمتريوس (وكان
ذا روح قوية) — لم يتصرف على الاطلاق
مثلما يتصرف الملوك — هكذا قالوا — بل ذهب
يخلع جلبابه الموشى بالذهب
ويلقى بخفه القرمزى
ثم أرتدى مسرعا ثوبا
بسيطا ، وتسلل خارجا
مقلدا بذلك الممثل ،
الذى عدما ينتهى العرض
يبدل ثيابه ، ويرحل .

(٢٣)

المدينــة

قلت « سأذهب الى ارض أخــرى . سأذهب الى بحــر آخر . مدينة أخرى ستوجد أفضــل من هذه . كل محــاولاتى مقضى عليها بالفشــــل ، وقــلبى مدفــون كالميت . الى متى سيبقى فكرى حزينا ؟ أينما جلت بعينى ، أينما نظرت حولى ، رأيت خرائب سوداء من حياتى حيث العديد من السنين قضيت وهدمت وبددت .

لن تجــد بلدانا ولا بحورا أخــرى . ستلاحقك المدينــة وســتهيم فى الشــورع ذاتهــا . وســتدركك الشيخوخــة فى هذه الأحيــاء بيعنها . وفى البــوت ذاتها ســيذب الشيب الى راســك . ستصــل على الدوام الى هذه المدينــة . لا تأمل فى بقاع أخرى . ما من سفين من أجلك ، وما من سبيل . وما دمت قد خربت حياتك هنا ، فى هذا الركن الصغير ، فهى خــراب أينما كنت فى الوجود .

(٢٤)

الولايــة

يااللكارثة ، أن تكون لروائع الأعمال وكبيرها مؤهلا
يشد من أزرك حظك الجائر هذا .
فيتنكر لك النجاح دائما
تعوقك لا مبالاة ، وصــغائر ، وعادات رخيصة .
وكم كان مفجعا يوم أن استسلمت
(يوم أن انهرت واستسلمت)
فشددت الرحال لاجئا الى سوسا
ذهبت الى الملك ارتاكسيركسيس
فأدخلك بلاطه مرحبا .
يعرض عليك أقاليم ، وما شابه ذلك ، يوليك حكمها
فتقبل منقبض النفس شقيا .
هذه الأشياء لا تريدها
بل أشياء أخرى تطلبها روحك ، وعلى غيرها تبكى .
تتوق الى كل ما هو صعب لا يقدر بمال
والى كل مايجعل المواطن والحكيم يلهجان من أجلها عليك بالثنــاء .
أن المحافل ، والمسارح ، وأكاليل الغار
هذا الذى سيعطيك ارتاكسيركسيس ،
كل هذا الذى ستجده فى ولايتك
بالامكان أن تمضى حياتك بغيره .

(٢٥)

الخامس عشر من مارس

فلتخش التعالى ، أيها الروح ،
والطموح قاومه بشدة ،
لو لم يكن بامكانك أن تقتفيه
بتؤدة وتحفظ . وكلما مضيت قدما
زد من توجسك وحذرك
فاذا بلغت ذروتك ،
يا قيصر ، وصرت شخصا ذائع الصيت لامعا ،
فاحذر على الأخص اذا خرجت الى الطريق حاكما مهيبا
لافتا للأنظار ، تصحبك حاشيتك ،
احذر أن طلع عليك من جموع الشعب واحد مثل
أرتيميذوروس من مفسرى الأحلام
يحمل اليك رسالة ، ويقول متعجلا « اقرأ
على الفور ، أمورا جسلما تهمك »
لا تتردد أن توقف ركبك . لا تتردد أن ترجىء
كل قول أو عمل . لا تتردد أن تنحى جانبا
أولئك الذين يحيون وَينحنون (سوف
تراهم فيما بعد) ولينتظر مجلس الأعيان أيضا ،
بادر لتعرف أولا ما جاء بكتاب ارتيميذوروس من جلائل
الأخبــــار .

(٢٦)

عندما تخلى الآلهة عن انطونيوس

عندما تسمع فى منتصف الليــل غجأة ، فرقة من المغنين ، تمر فى الطريق غير مرئية ، بموسيقاها الصاخبة ، بصياحها الذى يصم الآذان ، كف عن أن تنــدب حظك الذى ضاع ، وخطط حياتك التى اخفقت ، وآمالك التى أحبطت . دع عنك التوسلات غير المجديـــة .

وكن كمن هو على أهبة الاستعداد من قديم ، كشجاع جرىء ، ودعها : ودع الاسكندرية التى ترحل .

وبالأخص ، حذار أن تخدع . لا تقل أن الأمر كان حلما ، وهما فى أذنيك وكذبا . آمال بالية مثل هذه لا تصدق .

كمن هو على أهبة الاســتعداد من قديم ، كشجاع جرىء ، كما لو كنت أهلا لها حقا ، أهلا لمدينة مثــل هذه ، اقترب بخطى ثابتة من النافذة ، واستمع بحزن . ولكن بلا توســلات جبانة ، ولا شكاوى ذليلة .

استمع حتى النهاية الى الاصداء المبتعدة ، واستمتع بها ، استمتع بالنغمات الرائعة من الفرقــة الخفيــة التى تمضى الى الزوال .

ودعها ، ودع الاســكندرية ، الاسكندرية التى تضيع منك الى الأبــد .

(٢٧)

أشياء منتهية

فى خضم الخوف والشكوك ، وبعقل مزعزع وعيون مذعورة ، نذوب وندبر خططا لما يجب أن نفعل كى نتفادى الخطر المحقق الذى يهددنا بشكل مفجع .

على أننا نخطىء ، اذ ليس هذا الخطر فى الطريق ، فقد كانت النذر كاذبة ، أو ربما لم نسمعها ، أو لم نحس بها كما يجب . خراب آخر مفاجىء خاطف ، لم نكن نتوقعه ، يهوى علينا . ولما كنا غير مستعدين ، فهو يجرفنا ، وانى لنا الوقت للتدبير .

(٢٨)

أرض الأيونيين

اذا كنا قد حطمنا تماثيلها ، واذا كنا قد طردناها من معابدها ، فهذا لا يعنى ، على الاطلاق ، أن الآلهة قد ماتت .

يا أرض الأيونيين ، انها لا زالت على حبك باقية ، وذكراك لا زالت فى نفوسها قائمة .

وكلما استيقظ على اديمك فجر فى أغسطس ، ارتعشت اجواؤك بانفاس من حيواتها .

واحيانا ، بخطو اثيرى يمرق فوق تلالك طيف ، طيف من أيام الشباب الخوالى .

(٢٩)

مثـال تيانى

كما لابد انكم سمعتم ، لست متبدئا .

مرت أحجار كثيرة من بين يدى .

وفى وطنى ، تيانا ، يعرفوننى حق المعرفة .

وهنا أيضا ، كلفنى بأعمال أعضاء من مجلس الشيوخ .

ولسوف أريكم حالا بعضها .

انظروا ، هذه ريا ، هيئتها مهيبة ، كلها ترقب . عريقـــة هى فى القـــدم . انظروا بومبيون . وهؤلاء ماريوس ، وايميليوس وبافلوس ، والافريقى سكيبيون ، تأمانة قـــدر الامـــكان ، نقلت ملامحهم . وهذا باتروكولوس (سأجرى عليه بعض اللمسات) والى جوار تلك القطع المائلة الى الاصفرار ، هناك ، قيصرون .

وانى ، فى الوقت الحـــاضر ، مشـــغول بعمـــل تمثـــال لبوسيذون .

ادرس كيف أشكل جياده ، على الأخص .

يجب أن أنحتها خفيفـــة ، حتى تبدو أجســـادها ، وكأن السيقان لا تطأ الأرض ، بل تجرى فوق المـــاء فحسب .

ولكن ها هو أحب أعمالى الى .

بثبت فيه عاطفتى ، وأوليته كل أهتمامى .

فى سخونة يوم من أيام الصيف ، سما فكرى الى عالم المثل ، فحلمت بهرميس ، وذلك الشاب الذى ترون تمثاله .

(٣٠)

الأشياء الخطرة

قـــال ميرتياس (وهو طالب عـــلم سورى ، جـــاء الى الاسكندرية ابان حكم الملك قوسطانديوس ثم الملك قوسطانديانيوس، وهو أيضا محافظ على قوميته من ناحية ، ومن ناحية أخـــرى داخل فى المسيحية) قـــال :

« لمـــا كنت قويا بادراك النظريات وتحصيل المعرفة ، فلن أخشى عواطفى أو أجبن ازاءها ، وسألقى بجسدى فى الشهوات ، وفى المتع المتوق اليها ، فى رغبات العشق الجسور ، بل وأكثرها جسارة ، فى اندفاعات اللذة التى تغـــلى فى دمى ، وذلك دون خوف ، لأننى ان شئت — مؤازرا بادراك النظريات والمعـــارف المتحصلة — سوف أستعيد فى اللحظات الحرجة مثلما كان من قبل أمرى ، روح النسك التى بى .

(٣١)

امجاد البطالمة

انا ملك آل لاجوس ، بسطوتى وثروتى ، سيطرت على فنون المتعـــة كلها .

ولا أحد فى مقدونيـــة ، أو من أهـــل البربر يعـــادلنى ، أو يدانينى ، أو حتى بامكانه أن يقارن نفسه بى .

وكم يبدو الأمير السورى ، ابن الملك سليفكيوس ، مضحكا بكل بهرجه السوقى .

ولئن سألتنى المزيد ، فلن أذهب ببعيد ،
مدينتى منارة العلوم ، ملكة عـــلى عالم اليونان متوجـــة ، مبرزة فى كل الفنون ، وضروب المعرفـــة .

(٣٢)

ايثاكا

اذا ما شـــددت الرحـــال الى « ايثاكا » فلتتمن أن يكون الطـــريق طـــويلا حافلا بالمغامرات ، مليئا بالمعارف . لا تخش الغيلان والمردة والـــه البحـــر الغاضب ، فـــانك لن تلقاها فى طريقك ما دام فـــكرك ساميا ، والعاطفة الخالصة تقود روحك وجسدك . لن تقـــابل الغيـــلان والمردة واله البحـــر الغاضب

ما لم تــكن قد جلبتها معك فى أعماقك ، وما لم تكن روحــك قد أقامتها أمامك .

تمن ان يكون الطريق طويلا ، وأصبحــة الصيف كثيرة ، تدخل فيها فرحا مبتهجا الى موانىء تراها لأول مرة .

توقف عند أســواق سوريــة ، واحصل عــلى البضائع الجيدة ، أصــداف ومرجــان وكهرمان وأبنوس وعطــور ممتعة من كل نوع . وعلى الأخص من العطــور المتعة خذ قــدر ما تستطيع .

واذهب الى مــدائن مصريــة كثيرة لتتعــلم وتتعــلم من الجهابذة .

لتكن « ايثاكا » فى فــكرك دائمــا ، والوصــول اليها هو مقصدك . لكن لا تتعجل فى ســيرك . الأفضل أن يدوم الســفر سنين عديدة ، وان تصل الى الجزيرة عجــوزا غنيــا بما كسبته من الطريق . لا تتوقع أن تعطيك « ايثاكا » ثراء .

لقد منحتك « ايثاكا » الرحلة الجميلة . فما كنت تخــرج الى الطريق لولاها . وليس لديها أن تعطيك أكثر من ذلك .

ولو وجدت « ايثاكا » فقــيرة فهى لم تخدعك . وما دمت قد صرت على هذا القدر من الحكمة ، ولك كل هذه الخبــرة ، فلابد أنك قد فهمت ماذا تعنى « ايثاكا » ، واى « ايثاكا » .

(٣٣)

هيرودس أتيكوس

يا لأمجاد هيرودس اتيكوس .
عندما وصل اليكساندروس سليفكياس ، وهو واحد من أفضل حكمائنا ،
الى أثينا لالقاء الأحاديث ،
وجد المدينة خالية ، لأن هيرودس كان قد غادرها الى مقره الريفى ،
واقتفت الشبيبة كلها أثره لتتابع أحاديثه أينما كان ،
فكتب له الحكيم اليكساندورس رسالة ،
راجيا أن يرسل اليه اليونانيين ، فبادر هيرودس المهذب على التو يجيب :

« بل انا قادم مع اليونانيين »
كم من الفتيان فى الاسكندرية ، وانطاكية ، وبيروت ، الآن ،
(الخطباء الذين تعدهم لمستقبلها أمة اليونان)
عندما يجتمعون على الموائد المختارة ،
وتدور أحاديثهم عن الحكم البديعة تارة ،
وعن غرامياتهم الرائعة تارة أخرى ،
يصمتون شاردى الالباب ، فجأة ،
تاركين الأقداح بجانبهم دون مساس ،

يفكرون فيما قدر لهيرودس من حظ وفير ،
من غيره من الحكماء منح هذا العطاء ؟
يتبعه اليونانيون (اليونانيون !) فيما يرى وفيما يفعل
دون مناقشة أو جدال
بل ودون حاجة الى انتخابات بعد الآن :
فهم يتبعونه ، ويتبعونه فى كل الأحوال .

(٣٤)

محب للهلينية

احرص عـــلى التأكد من أن النقش على الحجــر قد أدى بمهارة ، وان التعبير على الوجوه رصين ومهاب . وافضل أن يكون التاج ضيقا بعض الشيء . لا احب ذلك النوع من التيجان المـــألوف فى ممالك أسيا الغربية .

يجب أن تكون الكتابة كالمعتاد باليونانية . لا مبالغات أو اطراءات طنانة ـــ لا نريد أن يأخذ حاكم الولاية الأمر على محمل سيء ، فهو عـــلى الدوام يتشمم ، ويبعث الى روما بالتقارير ـــ ولكن العبارة يجب أن تتضمن بالطبع تكريما استحقه .

وعلى الوجه الآخر ، انتق الرسم بعنايـــة ، ربما وضعت رامى قرص ، شابا حسن المظهر .

واهيب بك ان تحرص قبل كل شيء (وانى استحلفك بالله ، لا تدعهم ينسون ذلك) أن يضعوا « الملك » و « المخلص » ـــ وان يضعوا لقب « المحب للهلينية » وذلك بأحرف رشيقة .

والآن ، لا تحـاول أن تمارس عـلي نكاتك بأسئلة مثـل « وأين هم الهلينيون ؟ » أو « أي هلينية بقيت هنا على مشارقه زاغروس ، أو هناك فيما بعد الفرات ؟ » ان العديدين غيرى ، ممن هم أكثر منا بربرية ، اختاروا أن يكتبوا أسماءهم ، مقرونة بذلك ، فما الضير لو نكتبه هكذا نحن أيضا .

وأخيرا ، وليس آخرا ، لا تنس . فى بعض الأحيان ، يأتى الينا من سوريا ، مدعو حكمة ، وناثروا شعر ، وغير ذلك من تواقه القوم ، فهل يظن فينا اننا لسنا محبين الهلينية .

(٣٥)

ملوك الاسكندرية

تجمع أهل الاسكندرية
يشاهدون أبناء كليوباترا :
قيصرون وأخويه الصغيرين .
بطليموس والكسندروس ،
يصحبون الى الحلبة لأول مرة ،

كى ينادى بهم ملوكا هناك ،
وسط مواكب الجند المتألقة .
لقب الكسندروس ملكا
على ارمينيا وميدياس وبارثون
ولقب بطليموس ملكا

على كيليكيا ، وسوريا ، وفينيقيا .
أما قيصرون ، فكان يقف فى المقدمة
يرتدي ثوبا من حرير وردى
وفى صدره علق من الزنابق باقة زرقاء
وبحزام محلى بصفين من الياقوت والزمرد أحاط خصره ،
وعقد حذاءه بأربطة بيضاء طرزت بلآلىء حمراء .
قيصرون هذا منح لقبا أكبر ،
قيصرون هذا بملك الملوك لقب .
كان أهل الاسكندرية يدركون بالطبع
ان هذه أقوال فى تمثيلية .
لكن النهار كان دافئا يفيض شاعرية .
والسماء صافية الزرقة ،
والحلبة السكندرية ،
من صنائع الفن تحفة ،
وبذخ البلاط يفوق كل وصف ،
وقيصرون بدا وسيما وازدهى رقة ولطفا
(ابن كليوباترا هو ، وفى عروقه دماء آل لاجوس تجرى)
لذا هرع الى الاحتفال أهل الاسكندرية
يملؤهم الحماس . يهتفون
باليونانية ، والمصرية ، والبعض بالعبرية . يهللون
مفتونين بالمشهد الجميل
على الرغم من أنهم يعرفون قيمة كل ذلك حقا ، ويدركون
كم هى جوفاء ألقاب الملوك .

(٣٦)

في الكنيسة

الكنيسة احبها ــ أحب الملاك ذا الأجنحة الستة ،
الكؤوس الفضية ، الشمعدانات ،
الضياء ، الايقونات ، ومنصة الوعظ .

عندما ادخل المكان ، ادخل كنيسة لليونان ،
يذكرنى عبق البخــور ،
والقداديس ، والتراتيل ذات الأنغام ،
والقساوسة ، ذوو المهابة والاحترام ،
وايقاع الحركات والسكنات فى الطقوس
يذكرنى كل ذلك بقوميتنا ،
وبتراث بيزنطيتنا العريق .

(٣٧)

عـد

عد كثيرا ، وخــذنى ،
ايها الحس الحبيب ، عد وخذنى ــ
عندما تستيقظ الذكريات بجســدى ،
وفى الدماء ، تعود رغبة قديمة فتسرى ،
عندما تسترجع ذكرياتها البشرة والشفتان ،
وتشعر اليدان كما لو كانتا تعاودان اللمس .

عد كثيرا ، والى الليل خذنى ،
عندما تسترجع ذكرياتها البشرة والشفتان ...

(٣٨)

قدر امكانك

لو لم يكن بامكانك أن تصنع حياتك كما تريد ، فعلى الأقل ، حاول ما استطعت ، أن تفعل هذا :

لا ترخص من شأنها ، بكثرة الاحتكاك بالناس ، وبالافراط فى حركاتك وكلماتك .

لا تحط من قدرها بالتطواف بها هنا وهناك ، معرضاً اياها لزحمة الروابط والمقابلات التى تزخر بها حماقات كل يوم ، حتى تمسى حياتك ضيفا ثقيلا عليك .

(٣٩)

شديد الندرة

هو رجل عجوز ، متهالك ، محنى الظهر . من وعثاء السنين متعب ، ومن فرط ما سبر من صنوف اللذات مكدود .

بخطى وئيدة ، يصعد الزقاق ، يدلف الى البيت . وما ان يتوارى عن شيخوخته ، ومن تدهور الجال يختبىء ، يمضى متأملا ، رغم كل شىء ، فيما لا زال لديه ينبض بالصبا .

ينشد الآن شباب غض الاهـــاب قصائده ، قصائده هـــو ،
وفى عيونهم الجسور ترتسم كومض البرق رؤاه .

اجسامهم ممشوقة ، مفتولة العضل ، وعقولهم متوقدة الحس، نابهـــة،
وما ان يمثل امامهم طيفى الوسيم ، حتى تحتدم جوانحهم ، وتتأجج بتصورى للجمال عواطفهم .

(٤٠)

مضيت

لم أكبح جماح نفسى . تركتها على مطلق سجيتها .
ومضيت الى المتع التى بين الواقع والخيال تتأرجح .
مضيت فى الليل الوضـــاء ،
وشربت أنبذة قوية ، مما يشربه ممارسو المتع الجســـور .

(٤١)

نفـــائس الدكان

لفها بحرص ونسقها فى حرير أخضر ثمين .
ياقوت أحمر ، ولآلىء بيضـــاء ، وأحجار بنفسجية نضـــدت زهـــرا .
كما أرادها وتصورها جاء جمالها تحفة ، ليست من الطبيعة

نسخة وان رآها فيها ، وصممها نقلا عنها .

فى الخزانة سيودعها ، نموذجا على براعة صنعته وجرأتها .

فاذا ما دخل الدكان مشتر ، أخرج من الصناديق صنائع أخرى يبيعها ،

أساور وسلال وعقودا وخواتم ــ حليا بديعة ذاعت شهرتها .

(٤٢)

قبر اللغوى ليسياس

على مقربة من يمينك ، عند دخولك دار الكتب فى بيروت ، وارينا جثمان اللغوى الحكيم ليسياس .

وكان مكانا مناسبا هذا الذى اخترناه لقبره .

أرقدناه بجوار الأشياء التى تعلق قلبه بها ،

وربما سوف يظل يذكرها هناك حيثما هو ــ

نصوص ، ومخطوطات ، وصيغ ، وحواش ــ كلها فى مجلدات ، دبجت بلغة يونانية رفيعة ومتقنة :

كما سوف نرى من هناك قبره ، ويتلقى آيات التبجيل منا ، ونحن فى طريقنا الى الكتب .

(٤٣)

بعيــدا

وددت أن أقص هذه الذكــرى .. لكنها تلاشت الآن ..
لا يكاد يبقى منها شيء ــ لأنها ترقد بعيدا فى بواكير شبابى .
كانت بشرة كأنها من الياسمين قد نسجت .
ذات أمسية فى أغسطس ، أكانت حقــا فى أغسطس تلك
الأمســية ؟
أكاد اذكر العينين ، يخيل الى أنهما كانتا زرقاوين . آه ،
لأجل زرقاوين فى لون الياقوت .

(٤٤)

ضريح افريونوس

فى هذا الضريح الرائع الصنعة ،
المشيد من أحجار الرخــام كله ،
والمجلل بالسواسن الناصعة البياض ، وكل زهور البنفسج
هذه ،
يرقد الوسيم افريونوس
وكان شــابا من شبان الاســكندرية ، مات فى الخامســة
والعشرين من عمره .
ينحدر من ناحية أبيه عن أجداد مقدونيين قدامى ،
ومن ناحية الأم ، كان سليل أعرق الأسر اليهودية .

تتلمذ على ارسطوقليطوس فى الفلسفة ،
وفى البلاغة على باريس . وفى طيبة ، درس
الكتب المقدسة . وكتب عن تاريخ ارسينوئيتو .

هذا بالأقل ما سوف يبقى من ذكراه ،

لكننا ، خسرنا ، على أى حال ، ما هو أغلى من هذا —

خسرنا طلعته التى كانت من تجليات أبولونوس فى بهائها .

(٤٥)

الثريــا

فى غرفة صغيرة جرداء ، بين أربعة حوائط ،

مغطاة بكسوة خضراء ، جد خضراء ،

ثريا جميلة تتأجج بالأضواء .

كل شعاع من لهيبها ، يتدفق متقدا برغبة واشتهاء !

ليس على الاطلاق بالمألوف ذلك الضـــوء الذى يتألق فى
الغرفة ، الصغيرة العامرة بالوهج المستعر ،

فمتعة هذه الحرارة للأجساد الهيابة لم تخلق !

(٤٦)

ثيوذوتوس

لو كنت من المختارين حقاً ، احرص أن يبقى هذا الاختيار قائما ، مهما أضيفت عليك الأمجاد ، ورددت المدائن أنباء ما حققت فى ايطاليا وصقلية من جلائل الأعمال .

ومهما علت بمدائحك الأصوات ، ودفع بك المعجبون الى روما ، وانتخبوك هناك —

مهما كان هذا أو ذاك ، فلا فرحتك ستبقى ، ولا زهوك بالانتصارات ،

ولا حتى ستشعر بأنك ذلك الانسان الأرقى من سائر الناس — وأى رقى هذا ، على أى حال ، عندما يحضر لك ثيوذوتوس ، على صفحة مخضبة بالدماء ، وأنت بالاسكندرية ، رأس بومبيوس المسكين ، ويقول لك هذا رأس الشرير .

ولا تترك بالك يهدأ ، زاعما لنفسك أن فى حياتك السوية المتسمة بالهدوء والاستقرار ، لا احتمال لمثل هذه الأهوال والمواقف .

ربما فى هذه الساعة ذاتها ، عند جار من جيرانك الطيبين الذين يحيون فى بيوتهم مثلك حياة الانتظام ، يدخل

خفية ، كطيف لا يراه أحد — يدخل ثيوذوتوس ،

ويخرج حاملا رأسا مثل ذلك الرأس المخيف .

(٤٧)

الحكماء يبصرون ما هو وشيك الحدوث

« والآن ، فان الآلهة عـلى دراية بما سوف يحدث من أمور ، والبشر على دراية بالأحداث التى جرت ، اما الحكماء منهم فعلى دراية بما هو وشيك الحدوث »

فيلوستراتوس ، حياة أبولونيوس التيانى جزء ٧

الأمور التى تحدث يعرفها البشر ، أما الآلهة فيعرفون الأمور المستقبلة ، لأنهم وحدهم مكشوف عنهم الحجاب ، وعن بصيرة وضاءة يستجلون الغيب .

أما الحكماء ، فاذا علموا من أمور الغد ، فتلك التى هى وشيكة الحدوث وفى بعض الأحيان ، خلال الاستغراق فى التأمل واستجلاء الفهم ، يختلط عليهم السمع ، فيصلهم الصوت الخفى للأحداث التى تقترب صخبا ، وينصتون لمـا يسمعون بخشوع . يرهفون السمع ، بينما ، عامة الشعب فى الشوارع لا تسـمع شيئا ، مما هم يسمعون .

(٤٨)

البحر في الصباح

فلأقف هنا ، ولأر انا أيضا الطبيعة مليا .

شاطىء بحر رائع ، أزرق أصـفر ، فى صـباح ، سماؤه صافيـة .

كل شىء جميل مفعم بالضياء .

فلأقف هنا ، ولأخدع نفسى بأنى أرى هذه حقـا ، ولا أرى خيالاتى ، ومتعة وهميـة .

(٤٩)

عند باب المقهى

همسات بالقرب منى ،
جعلتنى اتلفت نحو باب المقهى .
رأيت الطلعة الوسيمة ، وقد بدت ، كما لو كان
اله الهوى ، بكل تمكنه ، ومنتهى خبرته ،
قد صممها .
مقولبا القامة الفارعة ، مثل تمثال ،
مستمتعا بابداع الأطراف المتناسقة ،
مشكلا الوجه برهانة وعاطفة ،
وتاركا بلمسات من أنامله
على الحاجبين ، والعينين ، والشفتين ، انطباعا متميزا .

(٥٠)

أورفيرنيس

هذا الذى نقشت صورته عــلى عملة الأربع درخمات ،
والذى يبدو وكأنه يحمل على وجهه الوسيم الرهيف القسمات،
ابتســـامة ،
هو أورفيرنيس بن أرياراثيس .

طردوه فى طفولته من وطنـــه ،
والقوا به خارجا من قصر أجداده ،
نفوه الى أرض اليونان ، كى يكبر فى الغربة ،
وينسى بين الأغراب ، هنـــاك .

آه ، لتلك الليالى ، تلك الليالى الجسور ، التى اعتبل فيها ،
على غرار أهل اليونان ، صنوف المتع الحسية ، بلا خول ولا وجل.
ولئن كان قد قلدهم فى نمط حياتهم ، وتحدث بلغتهم ، إلا أنه ظل فى
قرارة نفسه ، اسيويا على الدوام .
وبحليه الفيروزيـــة ، وثيابه اليونانية ، وجسده المعطـــر
زيت الياسمين ، كان أكثر شباب أيونيا وسامة ، وأكثرهم أيضا
خضوعا للملذات .

وعندما دخــل السوريون كابودوكيا ، فيما بعد ، ونصبوه

ملكا هنا ، انكب على الملك ، واتخذه مطية تحقق له متعا جديدة يوما بعد يوم .

مضى بجشـــع يكتنز ذهبا وفضة ، وراح يحمـــلق فى الثروات التى تخطف أكوامها ببريقها ناظريه .

أما بالنسبة للانشغال بالبلاد ، وتصريف شئونها ، فلم تكن لديه أدنى فكرة حتى عما يجرى من حوله .

وسرعان ما تخلص منه أهل كابونوكيا ، وانتهى به المقام بقصر دميتريوس ، فى ســـوريا ، حيث آثر الدعـــة ، وأمضى وقته فى التسرية عن نفسه .

وذات يوم ، تفجرت فى حيـــاته الخاملة أفكار لم يكن لـــه بها عهد ، من قبل :

تذكر كيف انه من خـــلال أمه الأنطاكية ، وستراتونيكى ، تلك الجدة العجوز ، يكاد يكون سليفكيا ، ومستحقا للتاج السورى بدوره ، فانقطع عن الشراب ، وكف عن المجون .

وفى افاقته من غيبوبته ، وكان لا زال دائخا متخبطا ، انتوى أن يدبر حيلة ، أن يفعل شيئا ، اى شىء . لكن خططه باءت باخفاق يرثى له . وكان ما كان .

لابد ان نهايته على نحو ما دونت ، لكن هذا التدوين قد فقد ، أو ربما مر التاريخ بهذه النهاية مر الكرام ، ولم يكترث حقا أن يسجل شيئا بمثل هذه التفاهة .

أن الوجه المنقوش على عملة الأربع درخمات ، تلك الصورة التى احتفظت لنا بشىء من وسامة ذلك الوجه الشاعرى ، وببعض من جاذبية الشباب — هذه الصورة البديعة لصبى أيونى ، هى صورة اورفيرنيس ، ابن اريارثيس .

(٥١)

قسم

من آن لآخر يقسم أن يبدأ حياة أفضل ، لكن عندما يأتى الليل بنصائحه ومصالحاته ووعوده — عندما يأتى الليل بعنفوانه ، بعنفوان الجسد الذى يرغب ويطالب ، الى الفرحة المحتومة يعود خاسرا من جديد .

(٥٢)

أشياء مرسومة

احب عملى ، واوليه اهتمامى ، لكن الخمول ثبط همتى اليوم ، وحال الاجهاد بينى وبين أن أواصل ابداعى .

كان للنهار تأثيره على ، فقد ازداد محياه اعتاما ، ومضت الريح تعصف تباعا ، ولم يتوقف المطر .

فترت رغبتى فى الكلام ، وتقت أكثر أن أشاهد لوحاتى .

الى هذه الصورة هناك ، يرنو الآن بصرى . صبى الى جوار نافورة رقد . وياله من صبى مليح ، ويالها من رائعة تلك الظهيرة التى احتوته فى اغفاءته .

اجلس ، واتأمل ساعات طوالا هذه اللوحة .

وها أنا بالفن ذاته استريح ، وأعود فأتخفف من عنائه .

(٥٣)

ذات ليلة

كانت الغرفة فقيرة رخيصة ، منزوية فى الخفاء فوق الحانة المشبوهة .

من النافذة ، بامكانك أن ترى الزقاق ، قذرا ، ضيقا ومن أسفل ، تفد أصوات عمال يلهون ، ويلعبون الورق ،

وهناك على السرير المألوف المتواضع ، احتويت الحب جسدا فى أحضانى ،

ورشفت من شفاه حسية حمراء خمر الهوى .

ومن فرط نشوتى بتلك الشفاه المتوقدة ، لا زلته وانا اكتب الآن ، وحيدا فى بيتى ، بعد العديد من السنين التى مضت ، أعود اليها من جديدة ، فأنتشى .

(٥٤)

معركة مغنيسيا

فقد اندفاعه اليوم . زايلته الجسارة التى كانت له . مجهد جسده الآن ، وعلى شفا المرض .

منذ اليوم ، سيعنى ، فى المقام الأول ، بصحته . سوف ينفض عن كاهله الهموم ، ويقضى ، خلى البال ، ما بقى من أيام حياته .

هذا على اى حال ، ما يقوله فيليب ، الملك المقدونى .

يلعب النرد هذه الليلة ، ويطلب التسلية .

على المائدة ، ضعوا وردا كثيرا ، فماذا لو كان انتيوخس الملك السورى فى مغنيسيا قد انهزم ؟ يقولون ان جزءا كبيرا من جيشه سحق . ربما كانوا يبالغون فى ذلك قليلا ، فليس بالامكان أن يكون ذلك كله صحيحا . ولنأمل فى ذلك ، فهم وان كانوا غير موالين لنا ، ينتمون الى شعبنا . وعلى اى حال ، فان نقول « لنأمل فى ذلك » فيه الكفاية ، بل وربما كان فى ذلك أكثر من الكفاية .

بالطبع ، لن يؤجل فيليب الاحتفال .

فمهما كان قد أمضى من حياة قاسية ، الا انه احتفظ بشىء طيب ، ذاكرة صلحية . وهو يذكر كيف اكتفى أهل سوريا بالبكاء ، عندما لقيت مقدونية الوطن الام فى الحرب من قبل شر هزيمة ، وتحطمت .

« الى العشاء ، أيها العبيد . اضيئوا الثريات . واعزفوا الموسيقى » .

(٥٥)

عمانوئيل كومنينوس

ذات يـوم كئيب فى سبتمبر ، احس عمانوئيـل كومنينوس الملك المبجل ، بانه على شفا الموت .

اخذ فلكيو البلاط (من ذوى الأجور المدفوعة) يتشدقون ، رغم ذلك ، بانه سيحيا سنين اخـرى عـديدة . وبينما كانوا فى زعمهم هذا سادرين ، تذكر الملك المبجل عادات تدين قديمة .

امر ان يحضروا له من قلايـات النساك مـلابس كنسية ، ارتداها ، وقر قلبه بها ، فقد بدأ مثل قس خاشع ، أو راهب وقـور .

سعداء كل من يؤمنون ،

ومثـل عمانوئيل كومنينوس الملك المبجل ، يختمون حيـاتهم فى مسوح الايمان المهيبة .

(٥٦)

اوجه استياء الملك السورى

استاء ديمتريوس ، الملك السـورى ، عندما بلغه ان احد الملوك البطالسـة وصل الى روما فى حالة يرثى لها ، سائرا على قدميه ، رث الثياب ، وغير مصطحب من الخـدم سوى اربعة .

سوف تضحي الأسرة المالكة بأسرها لأجل هذا ، مضغة للأفواه فى روما ، ومثارا لسخرية لا ينضب هناك معينها . يعرف الملك السورى جيدا أنهم جميعا أصبحوا خداما للرومان ، ورهن اشارتهم ، يخلعونهم عن عروشهم حينما يحلو لهم . هذا يعرفه أيضا .

ولكن ، من حيث المظهر ، يجب الحفاظ على أى حال ، بقدر من عزة النفس والأبهة . لا يجب أن ينسوا انهم لا زالوا ملوكا ، أو على الأقل ، لا زالوا يدعون ملوكا .

هذا ما استثار ديمتريوس الملك السورى . وأمر فى الحال أن يمنح البطلمى اردية ارجوانية ، وتاجا فاخرا ، وبعض الجواهر الغالية ، وعددا من المرافقين والاتباع . كما أمر بمنحه اثمن الجياد من حظائره ، وذلك كله كى يظهر هذا اليونانى فى روما بالمظهر اللائق بملك سكندرى .

ولكن حفيد لاجوس ، الذى جاء الى روما يستجدى ، كان يعرف ما الذى يجب أن يفعله ، ورفض ذلك كله ، فما كان على الاطلاق بحاجة هناك الى أسباب الترف هذه .

متواضعا ، جاء الى روما ، مرتديا رث الثياب . وفى بيت أحد صغار الحرفيين أقام . راح يقول للناس ان الدهر أخنى عليه ، وأمام مجلس الشيوخ ادعى الفقر وشكا منه . وذلك كله ، كى يتوصل بالاستجداء الى ما هو أكثر بكثير مما أراده له الملك السورى .

(٥٧)

في الطريق

يكسو وجهه الجذاب شحوب ، وفى عينيه بلون الكستناء ترتعش النظرات . هو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وان كان يبدو فى العشرين . فنان الى حد ما فى ملبسه . يبين ذلك من شكل ياقته ، ومن لمسة اللون فى رباط العنق .

يذرع الطريق ، بلا هدف ، كما لو كان من المتعة الجسور لا زال منوما . ويالها من جسور تلك المتعة التى حظى بها .

(٥٨)

عندما تتقلب

تشبث بها ، واحتفظ ، أيها الشاعر :
مهما كان قليلا ما يبقى منها .
احتفظ برؤى حبك
سربلها فى أبيات حبك
لذ بها ، أيها الشاعر ،
عندما تتقلب بالليل فى رقادك
أو يصحو عقلك فى وهج الظهيرة .

(٥٩)

امام تمثال انخيميون

فى عربة ناصعة البياض ، يجرها أربعة بغال بيضاء ، موشاة بزخارف من الفضة ، وصلت الى لاتموس ، قادما من ميليتوس . وكنت من قبل قد أبحرت من الاسكندرية على سفين ، ارجوانى ، سداسى المجاديف .

جئت لتقديم القرابين ، واداء الفروض المقدسة ، تكريما لانذيميون ، وذكراه المباركة .

وانى لأرنو الى التمثال ، ها هنا ، منبهرا بالوسامة التى اشتهر انذيميون بها .

ينثر عبيدى ، أمام طلعته البهية زهر الياسمين ، ويفرغون من السلال عطايا خفية الدلالات ، توقظ فى القلوب ما مضى من متع السنين .

(٦٠)

رماديتان

بينما انظر الى حجر كريم اشهب ، تذكرت عينين جميلتين بلون الرماد ، لعلنى رأيتهما منذ ما يقرب من عشرين عاما مضت . تبادلنا الحب شهرا ، ثم رحل الحبيب . الى ازمير ، فيما أظن ، رحل ، للعمل هناك . ولم نلتق مرة أخرى ، بعد ذلك .

العينان الرماديتان ــ لو كان الحبيب لا يزال على قيد الحياة فقدتا ما كان لهما من جمال . ولابد أن الوجه الوسيم بسدوره قد علته التجاعيد .

فيا أيتها الذاكرة ، احتفظى بهما ، على ما كانتا عليه .

ويا أيتها الذاكرة ، أيا ما كان بامكانك أن تفعليه ، استرجعى الليلة ، كل ما بامكانك ، من حبى القديم أن تسترجعيه .

(٦١)

في مدينة اسروين

على أثر مشاجرة فى الحانة ، أحضروه مصابا ،
أحضروا صديقنا ريمون ، قرب منتصف الليل ، أمس .

تركنا النوافذ مفتوحة ،

فاضاء القمر جسده الجميل ، المسجى على السرير .

كنا فرسا ، وسوريين ، ويونانيين ، وارمن . كلنا هكذا مخلطون ، وبالمثل كان ريمون . ولكن عندما رأينا وجهه الحبيب يشع ، ليلة أمس ، فى ضياء القمر ، سرح بالنا عائدا الى الشاب خارميذيس الأفلاطونى .

(٦٢)

واحد من آلهتهم

عندما كان يمر ، قبيل هبوط الليل ، من أسواق سورية ، كان المـــارة ينظرون اليه ، ويسأل كل منهم الآخر عمن يكون هذا الشاب سامق القامة ، الذى ضمخ شعره الأســـود بالعطور ، وبلغت وسامته حد الكمال والجسامة . من يكون هـــذا الشاب الذى امتلأت عيناه بفرحة الاحساس بديمومة الشباب .

يسأل كل منهم الآخر عما اذا كان يعرفه ، وعما اذا كـــان يونانيا من سوريا أو أجنبيا وافدا الى البلاد . ولكن البعض ممن كانوا أعمق وعيا بالأمور ، وأكثر حصافة ، كانوا يفهمون فيتنحون على الفور مفسحين له الطريق .

وبينما كان يختفى تحت البواكى ، فى خضم ظلال المســاء وأنواره ، متجها الى الحى الذى لا يحيا الا بالليل ، فى أحضـــان اللهو والرذيلة ، وكل أنواع المجون والدعارة ، كان يؤرقهم التفكير فيمن يكون حقا عابر السبيل هذا ، ولأى متعة من متعة المريبـــة ، نزل الى ســـورية ،

من الديار المقدسة للأبدية .

(٦٣)

قبر ياسيس

هنا أرقد ، أنا ياسيس ، الشاب الذى عرف فى هذه المدينة الكبيرة ، بوسامته .

أعجب بى الحكماء ذوو العلم ، كما أعجب بى العامة وبسطاء القوم . وكنت لاعجاب هؤلاء وهؤلاء أطرب .

ولكن من فرط ما طولبت بأن أكون نركيسوس وهرميس ، ارهقت . أضاعونى . قتلونى .

يا أيها المسافر ، ان كنت سكندريا فلن تلومنى . انت تعرف حمية حياتنا هنا . تعرف تأجج العواطف ، وما أكثر ما نتعرض له من الشهوات والمتع الجامحة .

(٦٤)

مرور عابر

تلك الصبوات التى عندما كان تلميذا حلم على استحياء بها ، انكشف أمامه سبيلها ، وانفضح له المستور منها . يدور يعربد ، يقضى لياليه فى السهرات ، والى المواخير انجرف ، وانحرف .

واذ يشعر بالدماء دافئة فى عروقه (وهو من متطلبات فننا) يسلم قياده للملذات ، وتستبد بجسمه نشوة لا يردعها عقاب ، وترضخ لسلطانها كل جوارحه النابضة بعنفوان الشباب .

وهكذا يصبح مجرد الصبى العادى ملفتا وهلة لانظارنا . وبمملكة الشعر عالية المقام يمر أيضا مرورا عابرا ، ذلك الصبى العاطفى ذو الدماء الجديدة الدافئة .

(٦٥)

عند الغروب

لم تكن الأمور ستدوم طويلا . خبرة السنين تنبئنى بذلك .
ولكن القدر أسرع على اى حال ، وجاء قبل الأوان بالنهاية .

كانت الساعات الحلوة قصـــارا ، ولكن كم كانت العطور نفاذة ، والمضاجع فأخرة ، والشـــهوات التى اسلمنا لها جسدينا قهـــارة .

اصداء من أيام المتعة جاءتنى ، شذرات من خبرات الشباب .
أخذت من جديد بين يدى خطـــابا ، ورحت اقرأ وأقرأ حتى انطفأت الضياء فى عينى .

وخرجت الى الشرفة أسيفا ـــ
خرجت راجيا أن تسرى عنى حركة الشوارع والحوانيت ، ولم أر من مشاهدها الا قليلا .

(٦٦)

عن أمونيس ، الذى مات في التاسعة والعشرين من عمره عـــام ٦١٠

مطلوب منك ، يا رومانيل ان تكتب بعض الابيات ، لتوضـــع على قبر الشاعر أمونيس .

انظم شيئا مهذبا رفيع الذوق .

يمكنك أن تفعل ذلك . بل وليس غيرك أقدر منك على ابداع ما يليق بمقام أمونيس ، الشاعر الذى كان منا .

بالطبع ، سوف تتحدث عن قصائده ، ولكن ارجوك الا تفوتك الاشارة أيضا الى وسامته ، تلك الوسامة الرهيفـــة التى كنا نحبهـــا .

لغتك اليونانية على الدوام ذات انسجـــام ونغم ، ولكننا نطمع الآن فى مزيد من صنعتك المتمكنة ،

فنحن نريد بلغة غير لغتنا أن نترجم أحزاننا وحبنا .

اسكب اذن احساسك المصرى فى اللغة الأجنبية المستخدمة .

ولست بحاجة ، يا روفائيل ان انبهك الى أن تكتب ابياتك ، بحيث تتضمن فى ثناياها شيئا من حياتنا ، فينم الايقاع ، وتفصح العبارة عن أن سكندريا يكتب عن سكندرى .

(٦٧)

فى شهر هاتور

أقرأ بصعوبة نقشا على الحجر القديم :

« يا ســـ(يد)ى المسيح » ، واكمـــل الاحـــرف الناقصة ، فأتبين كلمة « ر (و) ح » ثم عبارة « فى شـــ(ه)ر هاتور ، رقـــد

ليفكيو (س) » وفى موضع ذكر العمر أقرأ « عاش الى سن .. »
ثم حرفان يشيران الى أنه رقد شابا فى مقتبل العمر .
وفى موضع مطموس أتبين « أنه ... سكندرى » .

ثم تجىء ثلاثة سطور مشـــوهة أشد التشــويه ـ وان
استطعت ان التقط منها عـلى أى حـال كلمات قـلائل مثـل
« دمو(ع)نا » و « أحـــزان » ثم « دمــوع » مــن جديــد ،
و « الحسرة لنا ، نحن أصـدقاؤه » ولهذا ، فـاننى أعتقـد أن
ليفكيوس ، لابد كان محبوبا أشد الحب .
فى شهر هاتور رقد ليفكيوس رقاد الموت .

(٦٨)

قبر اغناتيوس

لست هنا كليون الذى ذاع صيته
بالاسكندرية (حيث يصعب أن ينبهر أحد بشىء)
لبيوتى الفخمـــة ،
لبساتينى ، وجيادى ، وعرباتى ،
ولمـــا اعتدت أن أرتديه من جواهر وحرير .
لست هنا كليون . كليون ذلك انتهى ،
وانمحت سنوات عمره الثمانية والعشرون .
أنا اغناتيوس ، قارىء الأناجيل ، الذى ثاب الى رشـــده
متأخرا ، ولكننى عشت على أى حـــال ، عشرة شـــهور ، انعم
بالسكينة ، والايمان الراسخ بالمسيح .

(٦٩)

من فرط ما تأملت

من فرط ما تأملت الجمال انتشت به عيناى

أجساد بديعة التكوين ، مشتهاة ، شفاه حمراء ،

خصلات شعر كما لو كانت لتماثيل أغريقية ، متهدلة
وعلى الدوام جميلة ، تسقط على الجباه البيضاء مائلة قليلا .

وجوه التقيت بها سرا ، فى ليالى الشباب ،

وجوه للحب ، كما أرادها شعرى .

(٧٠)

أيام ١٩٠٣!

لم أجدها مرة أخرى . ضاعت منى بسرعة . العينان الشاعرتان ، والوجه الشاحب .. فى ظلمة المساء المخيمة على الطريق .

لم أجدها مرة أخرى ــ تلك التى ظفرت بها صدفة ، وأعرضت عنها غير مكترث ، ثم عدت أطلبها بلهفة . العينان الشاعرتان ، والوجه الشاحب ، وتلك الشفتان ــ لم أجدها مرة أخرى .

(٧١)

عند دكان السجائر

وقفا ضمن كثيرين ، بالقرب من باب دكان يبيع السجائر . فى ضوء الدكان التقت نظراتهما مصادفة . ثم بحياء ، عبر كل منهما للآخر على عجل ، عن توقه الى اختلاس متعة للجسد ، وليس بذى بال أن تكون غير مشروعة .

وفى الشارع ، سارا ، خطوات مرتبكة ، الى أن ابتسما بعد قليل ، وأومأ كل منهما ايماءة خفيفة لصاحبه .

وبعد ذلك ، فى العربة التى ضمتهما ، تحقق احساس الجسد بملامسة الجسد .

اليدان تشابكتا ، والشفاه التقت .

(٧٢)

المتعــة

بهجتى ومنتهى حياتى ، ذكريات ساعاتى ،
التى لقيت فيها متعتى ، وبها تشبثت قدر مشيئتى .
هى لى بهجتى ومنتهى حياتى ، أنا الذى
أعرضت فى متعة الحب عن كل رتابة .

(٧٣)

قيصرون

من ناحية ، كى أحقق عصرا
ومن ناحية أخرى ، كى أقضى وقتا
أخذت ليلة أمس مجلدا
مصورا رحت أتصحفه .
الاطراءات ذاتها ، والمداهنات الفياضة
على الجميع تغدق متشابهة . الجميع لامعون
مجيدون ، أقوياء ، أهل بر وكرامات
وكل مشاريعهم من الحكمة آيات
فاذا جرى الحديث عن النساء ، فهؤلاء
كلهن برنيس وكليوباترا ، رائعات .
عندما تحققت من العصر وتيقنت
هممت ان أترك الكتاب ، لولا اشارة قصيرة
عابرة عن قيصرون الملك الصغير
لم تسترع من قبل انتباهى ..

آه ، ها أنت قد بعثت الى سحرك

الغامض تغرينى . فى التاريخ عنك بضعة سطور

فحسب .

ولهذا ، خلقتك فى خاطرى بحرية أكبر .

خلقتك وسيما ، رقيق العاطفة ،

واكتسى وجهك من فنى حسنا حالما محببا .

ومن شدة وضوحك فى خيالى

لحت لى ليلة أمس فى ساعة متأخرة

عندما انطفأ مصباحى — وقد تركته ينطفىء عامدا —

تدخل غرفتى .

بدا لى أنك وقفت أمامى

كما لو كنت فى الاسكندرية المغلوبة على أمرها .

شاحبا ، متعبا ، وفى حزنك متفردا ،

لازلت آملا أن يشفق عليك

الأشقياء الذين كانوا بأسمك يتهامسون .

(٧٤)

في مدينة ساحلية

على ظهر سفين غير معروف الهوية ، وصل ايميس الى هذا المرسى السورى . كان شابا فى الثامنة والعشرين ، وجاء يتمرس على تجارة العطور .

أثناء الرحلة مرض . وما أن نزل الى البر حتى أدركته المنية . شيع جثمانه فى جناز فقير ، ودفن مجهولا هنا .

وقبل مماته بسويعات ، تمتمت شفتاه ببعض الكلمات عن « دار » وعن « أقرباء مسنين » ، لكن لم يعرف أحد من كان أهله ، ولا عرف أين كان بلده ، فى هذه الديار اليونانية المترامية الأرجاء .

هذا أفضل ، على أى حال ، لأنه وهو يرقد فى هذه المدينة الساحلية ، ميتا ، سوف يظل أقرباؤه يأملون دوما أنه لا زال حيا بين الأحياء .

(٧٥)

أيها الجسد ، تذكر

أيها الجسد تذكر مراقد المتعة ، وكم كنت محبوبا . بل تذكر أيضا الرغبات التى توهجت فى العيون التى لم تقو على كبتها عندما رأتك ، وارتعاشة الأصوات تحت وطأة تلك الرغبات ، التى ما أحبطت الا لغير المتوقع من عقبات .

والآن ، وقد اضحى كل ذلك فى عداد الماضى ، أكاد أقول بانك أنت أيضا أيها الجسد المشتهى استسلمت لتلك الرغبات .

تذكر ، كم توهجت العيون التى رأتك . تذكر ، أيها الجسد ، الرعشة أيضا فى الأصوات .

(٧٦)

قبر لانيس

ان لانيس الذى احببته ليس هنا ، يا ماركوس . ليس فى هذا القبر ، هنا ، حيث تأتى ، وتبقى الساعات تلو الساعات تبكى .

انما لانيس الذى أحببته كل هذا الحب ، ستجده فى موضع آخر أكثر قربا منك .

ستجده هناك ، فى بيتك ، عندما تخلو الى نفسك ، وتطيل النظر الى صورته .

الصورة التى احتفظت ، على نحو ما ، بأغلى ما عنده ،

الصورة التى احتفظت ، على نحو ما ، بكل ما جعلك تحبه .

اتذكر ، يا ماركوس ، عندما استحضرت من قصر نائب القنصل ، ذلك المصوز الذائع الصيت من كيرينيا ،

بأى براعة فى الفن ، وبأى صنعة ، أراد أن يقنعك ، ان الأجدر تعلما ، أن يصوره على هيئة يكينثوس ، بمقولة أن لوحته

على هذا النحو سيقدر لها مزيد من ذيوع الصيت والشهرة
(فسوف يكثر الكلام ، بالطبع ، عن لوحته لو على هذا النحو
رسمت)

ولكن صفيك لانيس لا يرضى أن يعير وسامته لأحد ، هكذا .
وبكل حزم ، رفض ، مبديا معارضة حامية . فهو لن يبدو
فى هذه اللوحة على انه يكينثوس ، ولا غيره ، بل ان الذى
سيصور هنا ، سيكون حتما لانيس بشخصه .

(لانيس راميتوخوس ، واحد من ابناء الاسكندرية)

(٧٧)

نهاية نيرون

لم ينزعج نيرون عندما سمع
فى ديلفى نبوءة العراف تقول :
« عليك أن تخشى الثالثة والثمانين »
انه فى الثلاثين ، والمهلة التى منحتها له الآلهة
مديدة ، فلا داعى أن يشغل باله منذ الآن بما يدخره له
الغد من أخطار السنين .

سيعود الآن الى روما ، مجهدا بعض الشىء ،
ولكنه مجهد بنفائس رحلته ،
التى كانت أيام متعة كلها —

فى المسارح ، فى الحدائق ، فى الملاعب ، مقضاة
وآه ، على الأخص ، من متع الأجساد العارية
بالأمسيات فى مدينة أخياس .
كان هذا شأن نيرون . وفى أسبانيا راح غالفاس
يجمع جيشه ويدربه ـــ
غالفاس ، ذلك العجوز الذى كان فى الثالثة والثمانين .

(٧٨)

المنضدة المجاورة

لابد انه ، على الأكثر ، فى الثانية والعشرين من عمره . ومع ذلك ، فاننى على يقين من اننى ، منذ بضع سنوات خلت ، كنت بهذا الجسد ذاته قد استمتعت .

ليس ما استبد بى ســـورة شـــهوة قط . وما كنت جئت المنتدى الا منذ بضع دقائق ، فلم يكن وقتى اتسع كى أفرط فى الشراب بعد . كنت بهذا الجسد ذاته قد استمتعت .

واذا كنت لا أذكر أين ، فان غياب هذه الجزئيـــة لا يعنى شيئـــا .

والآن ، ها أنا ذا ، وهو جالس الى المنضدة المجـــاورة ،

أعرف كل حركة يأتى بها ، وتحت ثيابه ، أعود ، فـــأرى الأطراف الحبيبة ، عارية .

(٧٩)
المغـزى

سنوات شبابى ، طلبى للمتعة ، يتضح الآن مغزاها .

كم كانت انشغالاتى فانية ، توافه تثـير الندم ، وما كنت أدرى انذاك مغزاها .

من مجون شبابى تشكلت مقاصد شعرى ، وارتسمت لفنى مجالاتـه .

لهذا فان ندمى لم يكن عـلى الاطـلاق قاطعا ، وما كانت قراراتى بأن أغير من نفسى تدوم سوى اسبوعين على الأكثر .

(٨٠)
رسل من الاسكندرية

منذ دهور ، لم ير أهل دلفى هدايا مثـل هذه المرسلة من أخويهم الملكين البطلميين المرموقين .

على أن كاهنات معبد دلفى ، بعد أن تلقين الهدايا ، انتابهن القلق ، عما سيطلب منهن تقديمه مقابل هـذه الهدايا القيمة . وقد استخدمن حنـكتهن كلها ليقررن من من الاثنين ، من ذينك الاثنين ، ستصدر النبوءة فى غير صالحه ، ومن ثم يجب أن يتقى غضبه .

رحن يتداولن بالليل سرا . يتداولن فى شئون الملكين الأسرية.

ولكن الرسـل سلموا الهدايا ، والى الاسكندرية عادوا ، هكذا يقولون ، دون ان يطلبوا أى مقابل من أحد .

وسمعت الكاهنات بذلك ، وفرحن (لأن هـذا يعنى أنهن سيحتفظن بالهدايا الثمينة ، دون اعطاء نبوءة) ولكنهن على أى حال دهشن أشد الدهشة ، فهن لا يدركن ماذا يعنى عدم الاكتراث المفاجىء هذا .

انهن يجهلن أن أنبـاء جساما وفدت بالأمس الى الرسل . ففى روما أدلى بالنبوءة ، وحسم الأمر الذى كان الرسل من أجله قد جاءوا بهداياهم يخطبون الود .

(٨١)
منذ التاسعة

الثانية عشرة والنصف . مضى الوقت سريعا منذ أن أوقدت المصباح في التاسعة وجلست هنا . جلست دون أن أقرأ ودون أن أتكلم وحيدا فى هذا البيت .

منذ أن أوقدت المصباح فى التاسعة جاءنى طيف جسدى فى شبابه وذكرنى بغرف مغلقة تفوح منها العطور ، وبمتع غابرة — وكم كانت متعا جسور ! كما مثلت أمام عينى شـوارع لم تعد معروفة ، ودور للهو اندثرت وكانت حافلة بالحركة ، ومسارح ومقاه كان لها وجود ذات يوم .

جاءنى طيف جسدى فى شبابه وذكرنى بالأحـزان أيضا .. بالفراق وبحداد الأسرة على من مات من أفرادها .. بأحاسيس ذوى ، وأحاسيس موتاى ولم أقدرها من قبـل حق التقديـر .

الثانية عشرة والنصف . كيف مضى الوقت سريعا .

الثانية عشرة والنصف . كيف مضت السنون وولت .

(٨٢)

أريستوفولوس

يبكى القصر ، ويبكى الملك أيضـــا ،
الملك هرونس مقيم على أحزانه ، ولا يتعزى .

المدينة بأسرها تبـكى اريستوفولوس الذى مــات ميتــة لا يستحقها . غرق فجأة ، بينما كان فى المـــاء يلعب مع أقرانه .

وعندما سيسمع عن هذا فى سورية ، وفى ســـائر الأنحاء تسرى الأنباء ، سوف يحزن كثيرون من أهـــل اليونان ، شعراء ومثالون ستدركهم الأشجان ، لأن اريستوفولوس أصبح معروفا لديهم . فاق حسن هذا الغلام كل صورة يمكن فى الخيال أن تكون عليه وســـامة الشباب .

كيف بلغ مأريه ! أى مؤامرة جهنمية تلك التى لم تدر حتى ماريامنى بها ! ولو كانت ماريامنى قد اشتمت أو لاحظت شـــيئا مما دبروا ، لوجدت سبيلا لانقاذ أخيها ، فهى فى النهاية ملكة ، وكان بامكانها أن تفعل شيئا .

يالنشوة الانتصار ، ومشاعر السعادة التى ستغمر كلا من كيروس وسالومى فى الخفاء ، هاتين المرأتين الوضيعتين ، هاتن المرأتين السافلتين ، كيروس وسالومى .

وهى مغلوبة على أمرها ، ستتظاهر انها تصدق أكاذيبهما ولن تكون بقادرة أن تخرج الى الناس رغم أنفها .

وما من اله فى سورية حظى بتمثال فى بهاء هـــذا الفتى من فتيان بنى اسرائيل .

تبــكى وتنوح كبيرة الأمـــيرات ، أمـــه ، سيدة السيدات اليهوديات . تبكى اليكسندرا وتنوح لهول المصاب ،
لكنها عندما تختلى بنفسها تتبـــدل لواعجها . تئن وتصرخ وتكيل السباب واللعنات .

كيف تآمروا عليها ! كيف خدعوها ! كيف أمكنهم فى النهاية أن ينفذوا ما دبروا ! خراب صار بيت الاسامونيين ، ، خراب !

كيف بلغ الملك الشرير مآربه ، الملك الخـــائن ، الآثم ، الوضــــيع .

تخرج لتنادى اليهود بأعـــلى صوتها ، وتقول لهم ، تقول ان فى الأمر جريمة .

(٨٣)

تحت البيت

قادتنى قدماى بالأمس الى ضاحية نائية .
مررت بالبيت الذى كنت فى شبابى ، أتردد عليه ،
وأترك جسدى هناك ينصاع لسلطان الهوى .

وبالأمس ، عندما كنت أسير فى الشارع القديم ،

دب الجمال بسحر الحب فجأة ، فى كل شىء ،
فى الدكاكين والأرصــفة ، فى الحجــارة ، فى الحيطــان
والشرفات والنوافذ ، وزالت عن أرجاء المكان كل دمامة .

وبينما أقف تحت البيت ، أرنو الى الباب
مترددا فى الانصراف متلكئا ،
فاض كيانى كله بما اختزنه من لواعج العشق الذى مضى .

(٨٤)

ايميليانوس مونائى ، السكندرى

٦٢٨ ـ ٦٥٥ ميلادية

بكلام ، وتظاهر ، وأحابيل ، سأصنع لنفسى درعــا فائقا ،
أواجه به الأشرار دون ان ينتابنى منهم خوف أو خوار .

سيريدون الاضرار بى ، ولكن ما من أحد يقربنى سيعرف
أين تكمن جراحى ، وأين نقاط الضعف فى ، تحت درع الخــداع
الذى ارتديــه .

بهذا راح ايميليانوس مونائى يتفــاخر . ترى هل صــنع
هــذا الدرع لنفســه حقا ، واحتمى بــه ؟ انه لم يرتده طويلا ،
على أى حــال ، ففى السابعة والعشرين من عمره أدركته المنية
فى صقلية .

(٨٥)

عن اليهـــود

٥٠ ميلاديــة

يانثيس انطونيوس ، من أسرة على صلات وثيقة بمجمـــع اليهود ، شاعر ، ورسام ، وعداء ، ورام للقرص ،

وفى وسـامة انديميون .

« ان أغلى أيامى هى تلك التى أعرض فيها عن متع الحس ، واتحلل من الالتزام بصرامة الجماليات الاغـــريقية ، بفيض ولائها الفاسق للبشرة البضة والشكل المتقن للجسم .

وأصبح ما سوف كنت أريد أن أكون حقا ، أن أبقى على الدوام ابنا لليهود الصالحين » .

ويالـه من اعلان متحمس فيـــه ، اذ يقول « ... أن ابقى على الدوام ابنا لليهود الصالحين » فهو لم يقو على البقاء كذلك ، بل ان املاءات الفن والجمال الحسى المسيطرة على الاسكندرية ، أبقته لها ، لها هى ، ابنا وفيا » .

(٨٦)

جـاءت لتستقر

لابد انها كانت الواحـدة ، أو الواحدة والنصف ، صباحا ،

فى ركن من الحـانة ، وراء سـاتر خشبى .

كان المكان خاليا فيما عدانا . ولا يضيئه سـوى مصباح غازى خافت ، وعند الباب ، راح الساقى فى النـوم من عنـاء السـهر .

ما من أحد بامكانه أن يرانا ، ولكن الشوق فينا ،

كان قد وصل أيضا الى الدرك الذى لا ينفع فيه الحذر .

لم نكن نرتدى ثيابا كثيرة ، ولا كانت ثيابنا محكمة الأزرار ، فقد كان شهر يوليه يلفحنا بقيظه المبـارك .

ذكرى متعة جسد عابرة ، من ثنايا ثياب غير محـكمة ، وعناق على غير انتظار ــ ذكرى عبرت ستة وعشرين عاما . وجاءت الى هذه القصيدة لتستقر الآن فيها .

(٨٧)

ايمينـوس

« ... بل ان الذى يجب أن يبتغى فضـــلا عن ذلك ، هو المتعة التى تستبد بالجسد حتى لتنحرف به الى حد المرض ، حيث لا يجد ذلك الجسد الا نادرا الجسد الذى يتلاقى معه فى المرتجى — ولكن تلك المتعة المرضة توفر على أى حال من ممارسات الحب ما ليس بامكان الأسوياء أن يعرفه » .

(هذه فقرات من خطاب للشـــاب ايمينوس ، وهو سليل أسرة رومانية نبيلة ، اشتهر بالانحلال فى ســـيراقوسة فى العهد المنحل لميخائيل الثالث) .

(٨٨)

على ظهر سفين

تشبهه بطبيعة الحال الصورة الصغيرة المرسومة له بالقلم .

أنجزت على عجل . كنا على ظهر سفين ، ذات أمســـية ساحرة ، والبحر الأيونى مترامى الأطراف يمتد حولنا .

تشبهه ، لكني أذكره على أى حال أكثر وسامة من صورته .

كان عاطفيا الى حد المرض . فيشع هذا ضياء على قسماته .

الآن ، وروحى تستحضر ذكراه عبر الزمن يبدو لى أكثـــر وســـامة .

وعبر الزمن أضحت هذه الأشياء أيضـــا ..

الصورة والسفين ، والأمسية ..

بالغـــة القـــدم .

(٨٩)

عن ديمتريوس سوتيروس

(١٦٢ ــ ١٥٠ قبل الميلاد)

خاب أمله فى كل ما يرجوه .

كثيرا ما تخيل نفسه ينجز أعمالا جساما ، تنهى الذل الذى ذاقته بلاده ، منذ معركة الهزيمة .

تخيل نفسه ، وقد أعاد سوريا من جديد دولة ذات نفوذ ، بجيوشها ، وأساطيلها ، وثرواتها ، وقلاعها الضخام .

وقد عانى فى روما كثيرا ، وذاق كؤوس المرارة ، كلما لمس فى أحاديث الندامى ، رغم أدبهم الجم ، وبالغ رقتهم نحوه ، اذ كان

شابا من أسرة كبيرة ، ابنا للملك السوري فيلوباتور ـ كلمة لمس ، رغم هذا ، شعورا خفيا بالاحتقار للاسر المالكة اليونانية على الدوام ، يؤكدون أن دولتها دالت ، وما عاد ملوكها صالحين لشيء جاد ، بل صاروا حتى عن الامساك بمقاليد الحكم عاجزين .

كان ينسحب من صحبتهم ، مستاء ، مؤكدا لنفسه أن الأمور ليست بالقطع على ما يصورنها . وكيف لا ، اليس هو ممتلئا بالعزيمة ؟ سوف ينشط اذن ، سوف يحارب ، وسوف يعيد الأمور من جديد الى نصابها .. فقط ، لو أمكنه أن يجد طريقا للوصول الى المشرق .. لو استطاع فقط أن يدبر وسيلة للهرب من ايطاليا هذه .

وحينذاك ، فان كل هذه القوة المتأججة بداخله ، كل هذه الطاقة ، سوف ينقلها الى شعبه ، ويبثها فيه .

لو تواجد فقط فى سوريا !

كان صغيرا عندما غادر وطنه ، ولا يكاد يذكر كيف يبدو ذلك الوطن . ولكنه لم يكف عن التفكير فيه ، وكأنه شيء مقدس تقترب منه باجلال وخشوع ، وطن جميل ، مدائن وموان يونانية .... اما الآن ، فياللتعاسة ، يا للأسى .

أن الشباب فى روما على حق . لم تكن تلك الممالك التى شيدها المقدونيون هناك بعد الفتح لتدوم . ما عاد هذا بالأمر المهم،

وانما المهم انه صمد وجاهد . وفى خضم شعوره الأسود بالاحباط ما عاد يعتز الا بشيء واحد ، فرغم كل الاخفاق المخيم حوله ، لا زالت شجاعته ، لا تلين .

اما ماعدا ذلك ، فأوهـام ، أضغاث احـلام . بـل أن سوريا ذاتها لتبدو وكأنها ما عادت وطنه .. هى ليست سـوى وطن للأفاقين اللئام .

(٩٠)

شمس الأصـيل

هذه الغرفة ، كم أعرفها . تؤجـر الآن ، هى والغـرف المجاورة ، مكاتب تجارية . البيت كله أضحى محـال سماسرة ، وتجار ، ومقرا لبعض الشـركات .

آه ، هذه الغرفة ، كم هى مألوفة .

بجـوار الباب ، هنا ، كانت الأريكة ، وأمامها سـجادة تركية .. قريبا من الرف ذى الانائين الأصفرين .

الى اليمين ، كلا ، بل فى المواجهـة ، دولاب بمرآة . فى الوسـط ، المنضـدة التى كان يجـلس اليها ويكتب ، وكراسى الخيزران الثلاثة الكبيرة .

بجوار النافذة ، كان السرير الذى تبادلنا عليه الحب مرارا .

لا زال لهذه الأشياء المسكينة ، ولا شك ، فى مكان ما وجود .

بجوار النافذة ، كان السرير .
كانت أشعة الشمس تدرك منتصفه فى الأصيل .

... الساعة الرابعة بعد الظهر افترقنا .
تواعدنا على اللقاء بعد أسبوع ، أسبوع لا أكثر .....
ولكن يا للقدر ، صار ذلك الاسبوع الدهر كله .

(٩١)

لو كان قد مات

« أين انسحب الحكيم ، أين اختفى ؟
بعد معجزاته الكثيرة ، وما لقيته من ذيوع الصيت تعاليمه التى انتشرت بين شعوب عديدة ، اختفى فجأة ، ولم يعد يعلم أحد علم اليقين ، ماذا حدث .

(ما من أحد رأى حتى قبرا لـــه) .

اذاع البعض أنه مات فى افيسوس ، ولكن ذاميس لم يدون هذا الأمر ، فعن موت ابولونيوس لم يكتب ذاميس شيئا .

آخرون قالوا انه انمحى عن العيان فى ليندو ،

أو ربما كانت الحقيقة أقرب الى تلك الحكاية التى تروى عن صعوده فى كريت الى معبد نكتينيس القديم .

على انه لدينا رغم ذلك تجليه الرائع ، الخارق للطبيعة ، لدارس شاب فى تيانا .

على أنه ربما لم يحن الأوان بعد كى يعود ، فيظهر فى دنيا الناس من جديد .

أو ربما هو يجول بيننا فى هيئة أخرى ، فلا يتسنى لنا أن نتعرف عليه .

ـــ ولكن هل سيتجلى بالهيئة التى كانت له من قبل ، يهدى الى الصواب ، وينشر تعاليم الحق ، ومن ثم ، ولا شك ، يعيد عبادة الآلهة التى آمنا بها ، والاحتفالات اليونانية البديعة ؟

هكذا ، راح يحلم يقظانا ، فى داره الفقيرة ـــ

على اثر قراءة ما كتبه فيلوستراتوس عن

« حياة ابولونيوس التيانى » ـــ

هكذا راح يحلم يقظانا واحد من التراثبين القلائل ، بل ومن القلة القليلة التى بقيت منهم .

أما فيما عدا هذا : فهو رجل نكرة وجبان . تظاهر باعتناق المسيحية ضمن من اعتنقوها ، وواظب على حضور القداديس .

وذلك فى العهـد الذى جلس عـلى العـرش يوسـتينوس العجوز ، وكانت الاسكندرية آنذاك فى منتهى الخشوع ، معرضة وجهها عن الوثنيين المبغضين .

(٩٢)

أنـاه كومنينوس

فى مقدمة سيرة أبيها اليكسيوس التى كتبتها ،
اناه كومنينوس تفيض نحيبا على ترملها .

روحها فى دوامة تائهة .

تقـول « عيناى فى انهـار من الدمـوع غـارقتان .. تبا للامواج » وعن روحها « الحسرة متأججة النيران بالأعماق تحرق الكيان حتى النخاع » .

ولكن الأسى الوحيد الذى عرفته هذا المراة الطموح ،

وتكاد تكون هذه حقيقة مؤكدة ، الأسى الوحيد القاتل ،
الطعنة النجلاء التى لم تتلق غيرها
(على الرغم من أنها لا تعترف أبدا بذلك)
انها لم تفلح ، رغم كل دهائها ،
فى الاستيلاء عـــلى المملكة ،
وقد استولى عليها ، بل ويكاد يكون من بين يديها اختطفها ، يوانيس ، ذلك السفيه الوقح .

(٩٣)
كى تــأتى

شمعة واحدة تكفى . ضوؤها الخفيض أنسب للمقـــام . ســـوف يكون ذلك مستحبـــا عندما تأتى ظـــلال الحب ، تأتى الظـــلال للمكان .

شمعة واحد تكفى . الأفضل الليلة الا تكون الغرفة شديدة الضـــياء .

مستغرقا فى الحلم والخيالات . وفى هـــذا الضوء الخافت الوديـــع ، ســـوف أكون مهيئـــا كى تأتى ظـــلال الحب ، كى تأتى للمكان .

(٩٤)

شبان سيذونوس (٤٠٠ ميلادية)

القى الممثــل الذى أحضروه ليرفـــه عنهم بعض القصـــائد المختــارة أيضـــا .

كانت القاعة مفتوحة على الحديقة ، وقد وفد منهـــا شذى رقيق من زهور ، اختلط بأريج الفتيان ، فتيان سيذونوس الخمسة المضمخين بالعطور .

قرأت قصائد لميلياغروس وكرينئاغوراس وريانوس ، ولكن عندما شرع الممثل ينشد قائلا : « ان اسخيلوس أيوفورون الاثينى يرقد هنا » . ثم استطرد ، ولعله بالغ فى التركيز بعض الشىء على أبيات المرثية القائلة أنه حارب فى أحراش المارثون ابان شبابه المتدفق حيوية ونضارة ، هب شاب غض الأهاب ، غيور من عشـــاق الأدب ـــ هب واقفا وصاح :

« لا أحب هـــذه الأبيـــات . أرى فيها نكوصا عما يجب أن يقال . ومنك أيها الشـــاعر أرى تخـــاذلا . كان يجب أن تقصر القصيدة همها على صنعة الشعر . وأنت أهيب بك ، فكر فحسب فى صنعتك حتى ساعة محنتك ، ولو اودت بك .

هذه دعوتى ، وما أتوقعه منك . فلا يغرين عن فكرك ما فى التراجيديا من حجة تجادل حجة . ولست بحاجة أن اذكرك بما فى اغاميمنون أو بروميثيوس أو كسندرا وأورست أو فى السبعة ضد طيبة من ساحر القول .

فلا تطرح ذلك جانبا ، وتكتفى بأن نكتب فى الشهادة عليك انك حاربت بدورك فيما سلف ، مثل سائر الجند الذين اصطفوا لمحاربة ملك الفرس وقائده » .

(٩٥)

ذاريوس

الشاعر فيرنازيس يعمل فى الجزء الحاسم من ملحمته :

كيف استولى داريوس هيستاسبيس على مملكة الفرس (وعن داريوس هذا ينحدر مثريداتيس ، ملكنا العظيم ، الملقب ديونيسوس الآب العطوف) .

ولكن الأمر يستدعى هنا ، جهدا من التفكير كبير :

فعلى فيرنازيس أن يحلل ما استحوذ على ذاريوس من مشاعر . أكان ما استبد به خيلاء ، ونشوة انتصار ، أو ربما لم يكن هذا ولا ذاك ، بل مجرد ادراك لما فى الأمجاد من زيف وخواء .

واستغرق الشاعر فى التأمل ،

الى أن جاء خادمه يقطع حبل الأفكار ، معلنا عليه الأخبار الجسام .

لقد بدأت الحرب مع الرومان ، وعبر الجزء الأكبر من جيوشنا الحدود .

الجم الشاعر ، ولزم الصمت . يا لها من كارثة !

هل يمكن للملك العظيم ، هل يمكن لميثريداتيس ، ديونيسوس الأب العطوف ، أن يعير الآن قصائد الشعر اليونانى أدنى اهتمام ؟ قصائد الشعر اليونانى ـــ هل تتصور ذلك ـــ فى خضم الحروب والمعارك !

انتاب فيرنازيس قلق وانزعاج ـــ يالسؤ الحظ !

يحدث ذلك ، فى اللحظة التى تملك فيها ناصية الشعر ، وسيطر على قصيدته ، وسوف يبرز بها حقا بين الشعراء ، ويسكت نقاده الحقودين ، ويخرس ألسنتهم الى غير رجعة .

ياله من احباط لكل مشاريعه . ياله من احباط !

ولو كان الأمر مجرد وقف لهذه المشاريع وارجاء لضؤل الأمروهان .

ولكن هل يمكن أن نعتبر انفسنا آمنين فى اميسوس ؟ ليست هذه المدينة محكمة التحصينات ، والرومان اشد الأعداء ضراوة ، فهل من المعقول ان نصمد أمامهم ؟ لسنا نحن أهل كابادوكية بانداد لهم . وانى لنا ان نتعادل بأسا مع فيالق الرومان ؟

يا أيتها الآلهة العظيمة ، حماة آسيا من كل عدوان ،
ساعدينا ، ساعدينا الآن —

وبالرغم من كل شيء ، فى خضم المعاناة والاضطراب ، ظلت فكرة القصيدة تناوشه باصرار .

الأرجح أنها كانت الخيلاء ونشوة الانتصار . لابد أن ذاريوس حقا امتلأ خيلاء ونشوة انتصار .

(٩٦)

نبيل بيزنطى ينظم شعرا في المنفى

السطحيون وحدهم هم الذين يتكلمون عن سطحيتى .

فانا بكل ما هو جاد من الأمور كنت على الدوام منشغلا . وانى على استعداد أن أؤكد ان ما من احد افضل معرفة منى بكل ما هو كنسى ، منقوانين ، وكهنوت ، ونصوص . وقد ألف فوتانياتيس أن يستشيرنى ، وان يستشيرنى قبل كل الآخرين ، كلما أعيته فى أمور الكنيسة مشكلة .

اما الآن ، فانا مقصى هنا ، حيث تأكلنى الهموم .
(آملا أن تراجع ايرينى ذوكيانى ما أوقعت بى من عقاب)
ولذلك ، فليس غريبا اذن ، أن أسلى نفسى بنظم بضعة
أبيات من الشعر ، فى المنفى ،

أو ان أكتب ، اذا استهوانى ذلك ،

عن هيرميس ، وذيونيسوس ، وابوللو ،

وعن أبطـــال من البوليبونيز أو ثيســـاليا ـــ عن كل هؤلاء الاسطوريين حكايات .

وانى فما أنظم من مقطوعـــات ، التزم أكثر قوانـــين النظم صرامة ، بينما فى القسطنطينية ـــ وليسمح لى ان أقول ذلك ـــ لا يعرف رجال الأدب حتى كيف كتبون .

ولعل هذا فى الغالب ما يوغر صدورهم ضدى ، فيعترضون على ما أكتب ، ويحظرون نشره .

(٩٧)

صفى اليكساندروس فالا

لا أكترث ان كانت قد انكسرت عجلة من مركبتى ،

وخسرت بذلك سباقا من أطرف السباقات .

بين اقداح النبيذ المعتق ، وباقات من الورد الجميل ،

سأقضى الليـــل .

ان انطاكيـــة كلها ملكى ،

وليس لشاب حظوة أكثر منى .

أنا بالنسبة لفالا نقطة ضعفه . هو يعبدنى .

سوف ترى ماذا سيحدث غدا . سوف يقولون ان السباق من أساسه خطأ (بل ولو كنت قليل الذوق ، وأمرت بذلك سرا) فسوف يعلن أن مركبتى العرجاء ، هى التى فازت بالمكانة الأولى فى السـبـاق .

(٩٨)

صنعت بالفن

اجلس ، وأحـلم .

صنعت بالفن رغبـات وعواطف ، أشياء منبهمة ، قامات ووجـوه ، وذكريات غير مؤكدة عن حب لا نهائى .

فلأكرس اذن للفن حيـاتى .

يعرف كيف يجسم الجمـال ، وبكل رهافة هو للحياة مكمل ، وللمشاعر منسق ،

وهو أيضا خير مدبر للأيـام .

(٩٩)

البدايــة

تحققت لهما المتعـة المحرمـة .

نهضا ، دون أن ينطقا بكلمة ، تأهبا للانصراف ، عـلى عجـل .

تسللا من المنزل ، خارجين ، منفردين .

واذ يمضى كل منهما فى طريقه ، وقد شاب بعض الارتباك خطوته ، يتوجس أن هيأته علق بها شىء يفصح عن أى متعة محرمة ، كانا منذ برهة يستمتعان بها .

ولكن ، كم اثرت هذه اللحظات حياة الشاعر .

غدا أ أو بعد غد ، أو ربما بعد سنين ، ستكتب القصيدة العارمة التى كانت بدايتها ، ها هنا .

(١٠٠)

نيماراتوس

« شخصية نيماراتوس » كانت الموضوع الذى اقترحه عليه بورفيريوس للمحاورة . وقد أوجز السفسطائى الشاب موضوعه فيما يلى (مزمعا أن يعود اليه بمزيد من التفصيل فى أطروحة قادمة) :

« فى البداية ، انضم الى حاشية الملك ذاريوس ، ومن بعده الى حاشية الملك كسيركسيس ، الذى هو الآن فى معيته ، يرافقه فى حملته .

أخيرا سوف يرد الى نيماراتوس اعتباره .

لحقه ظلم كبير . كان ابنا لاريستون . ويا للعار ، رشا خصومه العراف . ولم يكفهم أن حرموه من ملك أبيه ، وانما عندما رضخ وانصاع لهم ، مقررا أن يحيا فى صبر وأناة مثل مواطن عادى ، شتموه أيضا أمام الناس ، وحقروا من شأنه فى المهرجان .

ولهذا ، فهو يخدم كسيركسيس بحماس ، فمع الجيش الفارسى سوف يعود الى سبارطة .

واذا أصبح ملكا مثلا كان فى سالف الأوان ، سوف يطرد ذلك النذل ليوتيخيذيس فورا ، وسوف يعرضه أمام الملأ لأشد الاهانات .

وتمضى أيامه ، مفعمة بالقلق ، مقدما للفرس نصائحه ، شارحا لهم ماذا يجب أن يفعلوا لغزو اليونان .

مشاغل ، وهموم كثيرة . وميضى ذيماراتوس أياما ثقالا .

مشاغل ، وهموم كثيرة . ولا يعرف ذيماراتوس لحظة فرح .

اما ما يعيه فليس فرحا (ولا يمت بأدنى صلة للفرح . وهو يرفض التسليم بذلك . وكيف يمكنه أن يسميه فرحا وأحزانه تزداد وتطغى) عندما تؤكد له الأحداث أن اليونانيين سوف يخرجون من الحرب منتصرين » .

(١٠١)

صانع الآنيـة

على الاناء المصنوع من اجـود الفضة ـــ

على هذا الاناء الذى سوف يتخذ مكانه فى بيت هيراكليديس. حيث يسود الامتياز ورفعة الذوق والدقة ـــ صبى عريان. وسط رياحين وزهور رقيقة ومساقط مياه ، ولا زالت احدى ساقيه تداعب اللجة ، وهو خارج منها توا .

هكذا وضعته فى تصميمى .

والآن ، فلتساعدنى الذاكرة .

صليت طالبا من ذاكرتى ، أن تســاعدنى أن ارسم ذاك الصبى الحبيب باتقان ، وان أنجز قسماته على أكمل وجه .

صادفتنى فى هذا السبيل صعوبات جمة ، اذ مضت خمسة عشر عاما طوالا منذ اليوم الذى سقط هذا الجندى فى معركة الهزيمة بمغنيسيا .

(١٠٢)

معاناة شـاعر

شيخوخة جسدى وهيئتى ، جرح من طعنة سكين رهيب ، لا طاقة لى على احتماله .

اليك أهرع ، يافن الشعر ، يا من تعـرف من العقاقـير ما يداوى ، وقد يكون لديك من الخيال والكلمات للآلام مسكن .

من طعنة سكين رهيب أعانى ، فلتجلب ، يافن الشعر ، أدويتك ، تزيل بها — ولو لبرهة قصيرة — شعورى بالجـرح ووقـع الألم .

(١٠٣)

من مدرسة الفيلسوف المشهور

ظل تلميذا لأمونيوس ساكاس مدة عامين ،
لكن الفلسفة أضجرته ، كما أضجره ساكاس .

ثم انصرف الى السياسة ، لكنه ما لبث أن تخلى عنها .

كان الحاكم أحمق ، وأولئك من حـوله دمى رسمية بوجوه جهمـة .

وكان هؤلاء التوافه يتحدثون اللغة اليونانية بطريقة بربرية .

وما لبث فضوله ان انجذب الى الكنيسة ، وتهيأ كى يصبح مسيحيا ، لكنه سرعان ما غير رأيه ، فلابد أن ذلك كان سيوقعه فى شجار مع أهله ، الذين كانوا من أعلى الوثنيين مقاما ، ولسوف يقطعون على الفور عنه اعانتهم السخية ، وياللهول ذلك ..

كان عليه ان يفعل شيئا ، على أى حال .

بدأ يرتاد مواخير الاسكندرية ، وكل بيت

موبوء من بيوت الدعارة .

وفى هذه الأوساط كان موفقا .

ينعم بقدر كبير من الوسامة ، وعرف كيف يتمتع بالنعمة التى وهبته السماء .

سوف يدوم حسن محياه ، عشر سنوات أخرى على الأقل . وبعد ذلك ؟

ربما عاد الى ساكاس ، فاذا كان الرجل العجوز فى هذه الاثناء قد مات ، فسوف يجد فيلسوفا أو حكيما آخر ، فثمة من هو مناسب من هؤلاء على الدوام .

أو ربما عاد فى النهاية الى السياسة ، تؤازره فى هذا تقاليد الأسرة .

وسوف يمتدح هذه التقاليد ، وينادى بالواجب نحو الوطن ، وبأمور أخرى طنانة من هذا القبيل .

(١٠٤)

الى ملك سورية

قال الشاب الأنطاكى للملك :

ـ يخفق قلبى بأمل عزيز ، يا مولاى الملك السورى ! عاد المقدونيون الى الكفاح من جديد ، وهم باقتدار يحاربون الآن ، فلتباركهم الآلهـــة ، ولتكتب لهم النصر ! وانى عن طيب خـــاطر لأنذر من أجل ذلك الأسدين اللذين اقتنيهما ، وخيلى ، وتمثالى الوردى الرخامى لالهى الحبيب بان ، وقصرى الأنيق بحدائقه ، بل واضحى بكل الخيرات التى انعمت بها على ، يا مولاى .

ولعل الملك قد تأثر بهذا الكلام برهة ، لكنه ما لبث أن تذكر ما كان قد حدث لأبيه ثم أخيـــه ، فلم يجب بشىء . ربما كان ثمة خائن يتسمع ، فيشى بما يقال .

وفضلا عن ذلك ، وكان هذا واردا فى الحســـبان ومتوقعا ، فلم تتأخر الأحداث فى بيدنا ، حيث وقعت المعركة ، عن الاتيـــان بالنهاية المنكودة .

(١٠٥)

أولئك الذين حاربوا من أجل الوحدة الأيونية

يا أيها الشجعان الذين حاربوا ،

دون أن يخشوا أولئك الذين خرجوا من كل الحروب منتصرين.
لا تثريب عليكم أن كنتم قد هزمتم ، فلم يكن الخطأ منكم ، وبكل
أباء وجلال هزمتم .

كلما أراد أهل اليونان أن يفخروا بامجادهم يوما ،
سوف يذكرونكم قائلين « هؤلاء بنو قومنا ، انظروا
الى أفعالهم »
وبالروعة المديح الذى ستلقون .

كتبت هذه السطور بالاسكندرية من
أحد الآخيين فى السنة السابعة
من حكم بطليموس لاثيروس .

(١٠٦)

في طيات كتاب قديم

فى طيات كتاب قديم — يرجع تاريخه الى ما يقرب من مائة
عام — وجدت منسية بين الصفحات ، صورة بالألوان المائية
غير ممهورة بتوقيع ، ولابد انها كانت عملا لفنان قدير .

وتحمل الصورة عنوان « رسم للحب » والاجدر أن يكون العنوان « شهوة الحب » .

لأنه كان يبين بوضوح ، من النظر الى العمل ، ما انتوى الفنان ان يقول :

لم يكن الشاب الذى فى الصورة ، قد صور من أجل الذين لا يعرفون الحب الا فى النطاق المسموح ، ولا يمارسونه الا ممارسة الأسوياء .

ـ ذلك الشاب ، بعينيه فى لون الكستناء الداكن ، ووجهه بالغ الوسامة ، والشفاه التى لا يفوقها فى الجمال شفاه ، جلابة الى جسم الحبيب المتعة المشتهاة ، لم يصور من أجل هؤلاء . ان مفاتنه الطاغية ، انما خلقت للملذات ، وهو ما تحرمه الأخلاق الجارية ، وتنعتها بالحسية الداعرة .

(١٠٧)

كلمات على ضريح انتيوخوس ملك سورية

على اثر عودتها من جناز شقيقها ، الملك السورى الذى أمضى حياة وادعة ، قانعا بالتزود بالثقافة ، التى حصل منها على الكثير ، قررت ان تكتب على الضريح بضع كلمات فى رثاء الفقيد .

وبناء على توجيهات من رجال البلاط السوريين ، كتب

كاليستراتوس ، معلم الفلسفة الزائر ، الذى كثيرا ما تردد على الدويلة السورية ، ونزل فى ضيافة البيت الملكى حيث لقى الترحيب ، كتب مرثية ، بعث بها الى السيدة العجوز .

« يا أهل سورية ، أوفوا الملك المبجل النبيل حقه من التكريم .
كان ملكا على البلاد حكيما ، وكان عادلا ، وبالاضافة الى كل ذلك ، وليس ثمة ما يفوق ذلك كان يونانيا .

أما ما زاد على ذلك من أوصاف ، فلن يتحلى به سوى الآلهة»

(١٠٨)

يوليانوس يسجل عدم الاكتراث

صفوة القول :

« انى أسجل عليكم عدم الاكتراث بالمقدسات »

قال ذلك بطريقته المهيبة !

قال « عدم الاكتراث » . تصور !

ولكن ، ما الذى كان يأمله فى النهاية ؟

فليهتم بتنظيم أمور الكهنوت ، قدر ما يحلو له .

وأن يكتب فى ذلك الى كبير الكهنة فى غالاتيا ، قدر ما يحلو له أيضا ، أو الى غيره ممن هم على شاكلته ، مستحثا اياهم ، مهيبا بهم أن يهتموا بالأمر !

لم يكن أصدقاؤه ، بكل تأكيد ، بالمسيحيين الخلصاء . هذا هذا هو الوضع .

ولم يكن بامكانهم أن يكونوا أكثر حماسا منـــه (هو الذى تلقى ، على أى حال ، تربيـــة مسيحية) أكثر حماسا لاصـــلاح دينى ، مثير فى نظرهم للسخرية ، سواء على مستوى النظريـــة أو التطبيق .

فقد كان هـــؤلاء فى النهاية يونانيين . هذا كل ما فى الأمر يا أوغسطوس » .

(١٠٩)

مسرح سـيخونوس
(٤٠٠ ميلاديــة)

أنا نجل مواطن محتــرم . واهم من ذلك كله ، أنا شـــاب وسيم من شبان المسرح ، ودود على أكثر من مظهر .
أكتب باليونانية فى بعض الأحيان قصائد مفرطة الجسارة ، وأوزعها ـــ بالطبع خلســـة .

وانى لأدعو الآلهة ، الا يرى قصائدى هذه أبدا ،
ذوو المسوح الداكنة ، الذين يتشدقون بالأخلاق الحميدة ،
فهى قصائد كلها عن نوع من المتع الحسية شديد الخصوصية ،
تقود الى حب عقيم ومدان .

(١١٠)

يــأس

ضـــاع الحبيب .

والآن ، على شفتى كل غريب ،

يبحث عن شفتى ذلك الحبيب

وفى كل حضـــن جديــد ، تخبــدع النفس نفســـها بانها فى أحضان الحبيب الأول .

ضاع الحبيب الى الأبد، كما لو لم يكن له ذات يوم وجود ،

كان ـــ على حو قوله ـــ يريد أن ينجو من شهوة الجسد :

بينما لازالت فرصـــة الخلاص من هذه اللعنة سانحة .

ضاع الحبيب الى الأبد ، كما لو لم يكن له ذات يوم وجود

أما هو فلا زال فى الخيال ، مستسلما لبعض الرؤى المتتالية

يتوق على شفاه أخرى أن يجد مرة أخرى ، تلك الشفاه

وأن تعاين هذه الأخرى حبه القديم من جديد .

(١١١)

يوليانوس في نيقوميديا

ان امتداح المثل اليونانية السابقة على المسيحية ، وممارسة السحر الخارق للطبيعة ، وارتياد معابد الوثنيين ، والتحمس للآلهة القدامى ، وتكرار الأحاديث مع خريسانثوس ، ومناظرة ماكسيموس الذى كان يعد من قبل فيلسوفا ثاقب الفكر — هى كلها تصرفات رعناء ، خطيرة العواقب .

وها هى النتيجة : بدا القلق الشديد على غالوس ، وانتابت الشكوك قوستانديوس .

لم يكن مستشارو يوليانوس على الاطلاق حكماء .

اتسع الخطب كثيرا ، على حد قول مارادونيوس ، ولابد من وأد الشائعات فى الحال .

ولهذا ، يعود يوليانوس الى كنيسة نيقوميذيا ، قارئا للأناجيل .

بخشوع وبصوت جهورى يقرأ آيات من الكتاب المقدس ، آيات كثيرة ، وينتزع من الجماهير الاعجاب بتقواه ، وايمانه العميق بالمسيحية .

(١١٢)

قبل أن يغيرهما الزمن

امتلأ حزنــا ، عندما افترقــا .

ما كان يريدان هذا الفراق ، لكن الظروف جعلت منه ضرورة .

الجأت الحاجة الى كسب لقمة العيش احدهما أن يرحــل بعيدا ــ الى نيويورك ، أو كندا .

لم يكن الود الذى يشعر به كل منهما للآخر ، بالطبع ، كما كان آنفا ، فقــد خبا هــذا الانجــذاب فى النهايــة . ولكن ، أن يفترقا ، هذا ما لم يكن يريدانه .

انها الظروف . أو ربمــا كان القدر الفنــان قد تدخــل ، مقررا أن يفرق الآن بينهما ، قبل أن تموت عواطفهما تماما ، قبل أن يغيرهما الزمن :

سوف يظل كل منهما بذلك يذكر الآخر دوما ، على انــه الفتى الوسيم ، ابن الرابعة والعشرين .

(١١٣)

في الاسكندرية : ٣١ قبل الميلاد

وصل البائع الجوال من قرية على مشارف المدينة .

وفى الشوارع ، راح ينادى على « بخور ! » و « زيتون ممتاز ! » و « عطور للشعر ! » و « لبان ! »

ولكن أنى للضجيج الكبير ، وصخب الموسيقات والمواكب ان يتيح لأحد سماع نداءات البائع الجوال .

الجموع تدفعه بالمناكب . تجرفه فى طريقها . تلقى به أرضا . واذ تطبق عليه الحيرة ، ينتهى به الأمر أن يسأل مرتبكا ما معنى كل هذا الجنون الذى يجرى هنا . ويلقى واحد من الجموع اليه بدوره الأكذوبة الضخمة التى روجها القصر :

ان انطونيوس يمضى هناك فى اليونان من نصر الى نصر .

(١١٤)

انتصار يوانيس كانتاكوزينوس

يرى الحقول التى لا زالت ملكا له : القمح ، والدواب ، والأشجار محملة بالثمار . ومن وراء كل ذلك بيت أجداده ، ملىء بالثياب ، والأثاث النفيس ، وأوانى الفضة .

سوف يأخذون منه كل ذلك ــ يا الهى ــ سوف يأخذون منه الآن ، كل شيء .

هل يشفق عليه كانتاكوزينوس ، لو ذهب اليه ، وألقى بنفسه عند قدميه ؟ يقولون انه رحيم ، بل شديد الرحمة ، ولكن ماذا عن المحيطين به ، والجيش ؟ أم عله يذهب الى ايرينى يجثو أمامها متوسلا ؟

كم كان أحمق ، عندما انحاز الى صف أناه !

ألم يكن يكفى ليثنيه عن ذلك أن اندرونيكوس ذهب ، وتزوج بها ! هل عملت عملا طيبا قط ، أو حتى تصرفت تصرفا انسانيا واحدا ؟ حتى الفرنجة ما عادوا يحترمونها . مخططاتها سخيفة ، وتدابيرها مثيرة للضحك . أما كانتاكوزينوس ، ففى الوقت الذى كانوا من القسطنطينية يتوعدون ويتهددون ، كان هو الذى ينفذ ، الملك يوانيس ينفذ كل وعد وتهديد .

ومن المؤسف ان يتصور حقا انه كان قد خطط كى ينضم الى يوانيس ! كان سيفعل ذلك ، ويظل سعيدا ، معززا ، مرموقا ، حتى الآن . وذلك ، لو لم يكن الأسقف قد جعله يغير ، فى آخر لحظة ، ما اعتزمه . خدعه بمظهره الكهنوتى ، ومعلوماته المزيفة من الألف الى الياء ، ووعوده ، وكل ذلك الهراء الذى أطلقه على عواهنه ، وذهب أدراج الرياح .

(١١٥)

جـاء ليقـرأ

جاء ليقـــرأ الكتب .

أمامه كتابان مفتوحان أو ثلاثـــة كتب ، لمؤرخين وشعراء .

لا تمضى عشر دقـــائق حتى يتخلى عن ذلك ، ويلقى بنفسه على الأريكة حيث يروح فى اغفاءة .

انه مرتبط أشد الارتباط بالكتب ، ولكنه أيضا شاب غض الاهاب ، وسيم ، فى الثالثة والعشرين من عمره .

وهو ، فى هـــذا المساء ، قد جمح الهوى بكيانه .

نفث فى شفتيه ، وفى جسمه الفتان كله ، شهوة لا يحول دون اشباعها أى خجل سخيف .

(١١٦)

على الشاطىء الايطالى

الشاب كيموس مينيذوروس ، يحيا فى ولاية يونانية على الشاطىء الايطالى ، ومثلما يفعل غالبية مواطنيه من الشـــباب فى اليونان الكبرى ، حيث يشبون فى أحضـــان البذخ والثـــراء والدعـــة ، يكرس ذلك الشاب أوقاته للمتعة والترفيه عن نفسه .

لكنه اليوم ، على الرغم مما جبل عليه من طلب المتع ، مؤرق البال ، فاقد الرغبة ، يتابع على الشاطىء ، وقد ملأته الحسرة ، سفنا تنزل شحنات من الأسلاب مجلوبة من أرض اليونان ، سبايا يونانية ، وغنائم من كورينثه .

اليوم ، ولا شك ، ليس جائزا ، بل وليس بمستطاع أن يرغب الشاب اليونانى بأى حال ، فى أى متعة من المتع .

(١١٧)

من زجاج ملون

تأثرت كثيرا لجزئية صغيرة ، رواها فلاخيرينوس ، عن زفاف يوانيس كانتاكوزينوس وايرينى اندرونيكوس أسان .

لم يكن لديهما سوى القليل من الأحجار الكريمة ، فتزينا بحلى مقلدة ، بعديد من قطع زجاجية ، حمراء ، وخضراء ، وزرقاء لا زوردية .

فقد كان شعبنا المسكين يعانى من فاقة شديدة .

لم أر ثمة ما يشين أو يحقر من شأن العروسين فى قطع الزجاج الملون هذه ، بل على العكس بدت احتجاجا شجنيا على ظلم الفقر ، وايماءة الى ما كان يجب أن يحظيا به فى زفافهما من أوتيا مقام السيد يوانيس كانتاكوزنوس والسيدة ايرينى اندرونيكوس أسان ، ورفعة شأنهما .

(١١٨)

تيميثوس الانطاكى (٤٤٠ ميلادية)

أبيات كتبها تيميثوس ، المحب الولهان .

والعنوان « ايمونيذيس » ــ شاب من ساموساتا ، على غاية من الوسامة ، اصطفاه انتيوخوس المبرز .

واذ جاءت الأبيات حارة ، مفعمة بالاحساس ، فلنذكر ايمونيذيس (المنتمى الى ذلك الزمن الآخر البعيد ، عام ١٣٧ لمملكة اليونان ، أو ربما قبل ذلك بقليل) ليس فى الأبيات سوى الاسم ، ولكنه اسم موح ، على أى حال .

وتبوح القصيدة بحب تيميثوس ، وهو حب جميل ، يليق به . ونعلم نحن المطلعون ، أصدقاؤه المقربون ، عمن كتبت هذه الأبيات . أما أهل انطاكية الذين ليسوا على علم ، فيقرأون « ايمونيذيس » فحسب .

(١١٩)

أبولونيوس التيانى
فى رودس

تحدث أبولونوس عما هى التربية والثقافة حقا ، مع شاب يبنى فى رودس بيتا غخما .

وفى النهاية قال الرجل القادم من تيانا :

« عندما أمر بمعبد مهما كان صغيرا ، فأرى هناك تمثالا ، من العاج والذهب ، فهذا افضل عندى من أن أدخل معبدا كبيرا ، فأرى تمثالا من « الطين العادى » « الطين الرخيص » منصوبا فى رحابه .

ومع ذلك ، فالبعض ممن لم يحظوا بحسن المران والدراية ، ينبهرون بما هو من الطين العادى — بالطين الكبريه — مجرد تقليد رخيص .

(١٢٠)
في القريـة المضجرة

شاب فى ريعان شبابه ، يعمل مستخدما بمحل تجارى ، فى قرية مضجرة . لم يبق سوى شهرن أو ثلاثة ، وتركد الأعمال . شهران أو ثلاثة تنقضى ، ثم يعود الى المدينة ، حيث ينكب توا على اللهو والصخب .

الليلة ، فى القرية المضجرة ، القى بجسده على السرير ، معانيا تباريح الهوى . استبد بشبابه عشق الجسد . وفى منامه ، تمثلت الطلعة التى تغياها ، والجسد الذى اشتاق له .

(١٢١)

العام الخامس والعشرين من عمره

يتردد بانتظام على الحانة التى التقى فيها الشهر المـــاضى بالحبيب .

سأل ، لكنهم لم يكونوا يعرفون شيئا يجيبون به عليه .

من كلامهم فهم انه لابد تعرف بشخص مجهول ، واحد من تلك النكرات العديدة ، المثيرة للريب ، من الشبان الذين يمرون من هنـــاك .

ورغم ذلك ، فهو يتردد بانتظام عـــلى الحانة فى الليـــل . ويجلس مثبت الأنظار على المدخل ، فربما يخطو الحبيب داخلا ، وربما هذا المساء يجىء .

يفعل ذلك منذ ما يقرب من ثلاثة أسابيع . أصـــاب فـــكره الاعياء من فرط الشوق . لا زال طعم القبل باقيا على شفتيه . جسده كله من الرغبة المقيمة فى أشد حالات المعاناة . لمســة ذلك الجسد تلح ، وتثقل وطأتها . ويتوق الى الوصال ، من جديد .

يجاهد بطبيعة الحال كى لا يستسلم وينهار . وفى بعض الأحيان أيضا ، يكاد لا يعير الأمر أدنى اكتراث . هذا فضلا عن انه يعرف أى خطر يعرض نفسه اليه ، فليس من المستبعد أن تقوده حياته هذه الى فضيحة مدمرة .

(١٢٢)

كليتوس على فراش المرض

ألم المرض بكليتوس ، وهو شاب وسيم ، فى الثالثة والعشرين من عمره . نال أعلى مراتب التعليم ، ويعـرف اللغة اليونانيـة معرفة يندر مثيلها .

أصابته الحمى التى اجتاحت الاسكندرية ، وحصدت هـذا العام النفر الوفير . وحتى قبل أن تدركه الحمى ، كان قد أعيته الأحزان ، لمـا علمه من أن صديقه ، الممثل الشـاب ، كف عن مبادلته الود ، وزهد فى صحبته .

وها هو الآن على غاية من المرض ، الأمر الذى أقلق ذويه أشد القلق .

وازاء ما ألم بكليتوس ، امتـلأت جـزعا عـلى حياتـه ، خادم عجوز كانت قد عكفت على تربيته .

وفى خضم رعبها ، تذكرت وثنا صغيرا ، اعتادت فى صباها أن تعبده ، قبل أن تجىء الى هنا ، وتلتحق بهـذا البيت ، بيت المسيحيين المرموقين هذا ، خادمة ، وتعتنق المسيحية بدورها .

فأحضرت خفية بعض الفطائر والنبيذ والعسل . وضعتها قربانا أمـام الوثن ، وراحت ترتل كل ما تزال من الصـلوات القديمة تذكره ، دون أن تعـرف هذه المرأة البلهاء أن الآلهـة السوداء ، لا تكترث ، ولن تكترث بما اذا كان مسيحى يشفى أو يموت من المرض .

(١٢٣)

في الحانات

فى حانات بيروت ومواخيرها ، اتضور . لم أعد أريد البقاء بالاسكندرية . تركنى تاميذيس ، وفضل عـلى صحبتى صحبة شاب آخر ، هو ابن عمدة المدينة ، وذلك ليقتنيه قصرا على ضفاف النيل ، وبيتا فخما فى المدينة .

ما عاد لى بقاء بالاسكندرية . فى حانات بيروت ومواخيرها ، صرت أحيا متخبطا بين دناءات الغواية ... وما عاد شيء ينقذنى من حمأتى ، مثل رؤيا جمال لا يتبدل ، مثل عطـر لا زال شـذاه لصيقا بجـلدى ، سوى اننى نعمت بصحبه تاميذيس سنتين ، هذا الشاب الذى يفوق كل وصف . ولم يكن ذلك لقاء شيء ، ولا حتى قصر على النيل أو بيت فى المدينة .

(١٢٤)

الحكيم الراحل عن سورية

أيها الحكيم المحنك ، الراحـل عن سورية ، وقـد اعتزمت الكتابة عن انطاكية ، جـدير أن تشـير الى ميفيس فى كتابك ، ميفيس صاحب الشهرة ، الذى ليس من ينكر انه أحب الشـبان فى انطاكيـة ، وأكثـرهم وسـامة ، وما من أحد من الصـبيان الذين يحيون على شاكلته ينقد أجرا اكبر منه .

يبلغ اجره عن يومين او ثلاثة ، مائة قطعة من الذهب ـ اقـــول فى ســــورية ، ولكن حتى فى روما أو فى الاســـكندرية ، ليس ثمة من هو أكثر منه جاذبية .

(١٢٥)

في مدينة بآسيا الوسطى

كانت أنباء اكتيوم عن نتيجة المعركة البحرية غير متوقعـــة بالطبع ، ولكننا لسنا بحاجة ، على أى حال الى صياغة بلاغ جديد . كل ما هناك اننا سنجرى على البلاغ القديم تعديلا فى الاسم .

هناك ، فى السطور الأخيرة ، فى مكان « مخـــلصين بذلك الرومان من تلك النكبة المدعوة أوكتافيوس » سنضع « مخلصين بذلك الرومان من تلك النكبة المدعـــوة انطونيوس . اما بقيـــة النص ، فهو فى مجمله يفى بالغرض .

مرحبا بأعظم الفاتحين ، الذى لا يدانيه فى ساحات المعارك أحد ، والموفق فى شئون السياسـة كلها .

مرحبا بانطونيوس (هنا غيروا الاسم ، واجعلوه كما قلنا اوكتافيوس) الذى دعت له المدينـــة بالنصر ، من كل قلبها ، كما دعت لزيوس ان يهبها اعظم العطايا به . مرحبا بحـــامى حمى

اليونانيين ، الذى يولى عاداتهم كل تبجيل ، وفى انحاء اليونان هو حبيب الجماهير ، المستأهل عن جدارة لفائق المديح ، والذى تستحق فتوحاته أن تدون بالتفصيل وباللغة اليونانية ، نثرا وشعرا ، باللغة اليونانية التى هى أداة الشهرة والمجد الخ .. الخ .. كل هذه العبارات لن يدخل عليها تعديل .

(١٢٦)

يوليانوس وأهل انطاكية

« يقولون : لا حرف « الميم » ولا حرف « القاف » الحق ضررا بالمدينة .. وقد وجد شراحنا البحاثة ان كلا من هذين الحرفين يرمز الى اسم يبدأ به . فالأول يرمز للمسيح ، والثانى لقسطنطيوس »
يوليانوس — كاره الذقون

أكان ممكنا أن يتنكروا
للنمط البديع الذى تجرى عليه حياتهم ،
للتنوع فى أساليب الترفيه التى يستمتعون بها كل يوم ،
لمسرحهم الرائع ، حيث يلتقى الفن بنزوات الجسد !

الى حد ما ، بل الى حد بعيد ، لم يكونوا فى حياتهم تلك على حق ، لكن قناعتهم تمثلت فى أن حياتهم ، تلك الحياة العامرة بالذوق الرفيع وبالبهجة ، كانت أكثر انماط الحياة فى انطاكية اثارة للغط .

هل كانوا سيتنكرون لكل هذا ،
ومن أجل ماذا كانوا سيتنكرون ،
بل وما الذى كانوا سوف ينصتون اليه بدلا من ذلك ؟

أمن أجل الانصات لاراجيفه الفطيرة عن الآلهة المزيفة ،
ام لاراجيفه المضجرة عن نفســـه ؟
عن مخاوفه الصبيانية من المسرح ،
عن تحشمه الخبيث ، عن لحيته المثيرة للسخرية ؟

لا لهذا ، ولا ذاك . بل أغلب اليقين ، لأنهم كانوا يفضلون حرف « الميم » وأغلب اليقين أيضا انهم كانوا يفضلون حرف « القاف » ـــ وذلك مائة مرة ، على كل ما تقدم ذكره .

(١٢٧)

موكب كبير من رجال الدين وعامة الشعب

موكب من رجال الدين وعامة الشعب ، مثلت فيه كل المهن ، يجوب الشوارع والميادين والبوابات ، فى انطاكية ذائعـــة الصيت . وعلى رأس الموكب المهيب شاب جذاب ، يرفل فى ثياب بيضاء . يرفع بيديه عاليا الصليب ، الصليب المقدس ، مصدر قوتنا ورمز الرجاء .

فقد الوثنيون الكبار ، الذين كانوا من قبل شديدى الاستعلاء

ـ فقدوا السيطرة الآن على أعصـــابهم ، وتســـللوا عن الركب مبتعدين . وليبقوا عـــلى الدوام بعيدين عنا (طالما لم يرجعـــوا عن غيهم) .

ويمضى الصــليب المقدس فى المقدمة ، جالبا البهجة والعزاء ، لكل الأحياء التى يســـكنها المسيحيون . وهؤلاء القوم ، الممتلئون بخشية الله ، يقفون ، وقد غمرتهم الفرحة ، عند أعتاب بيوتهم ، يحيون بكل اجـــلال ـ يحيون الصليب ، رمز خلاص العالم ، وسر قـــوته .

هذا احتفال يقيمه المسيحيون ، كل عام ، ولكن الاحتفـــال اليوم ، كما ترى ، أكثر لفتا للأنظار .

نال الشعب خلاصه ، فى النهاية .

لم يعد يوليانوس فى السلطة ، لم يعد هذا البغيض الملعون يحكم الآن .

فلنتوجه بالدعوات اذن ، للمبجل يوفيانوس .

(١٢٨)

كاهن معبد سيرابيس

أبكى أبى العجوز الطيب ، الذى أحبنى على الدوام .
أبكى أبى العجوز الطيب ، الذى مات قبيل الفجر ، أول أمس .

سيدى المسيح ، انى أتبـــع تعاليم كنيستك المقدســـة ، فى كل ما أفعل ، وفى كل ما اقـــول ، وفى كل ما أفـــكر . هـــذا

مسعاى اليومى ، بل وكل من ينكرك اقطع به صلتى توا .

أما الآن يا سيدى المسيح ، فانى أندب أبى ، وأذرف الدمع من أجله . أبى الذى — ويا له من أمر فظيع أقوله — كان كاهنا فى معبد سيرابيس الذى أجحده ، استغفر ربى .

(١٢٩)

آنــاه ذالاسينى

فى المرسوم الملكى الذى أصدره اليكساندروس كومنينوس خصيصا لتكريم والدته ،

السيدة النابهة أناه ذالاسينى ،

صاحبة الأعمـــال والخصال الحميدة ،

فى هذا المرسوم الملكى وردت عبارات كثيرة فى مديحها .

وانى لاقتصر هنا على أن أنقل مما قيل فى هذا المقـام ، عبارة واحدة ، عبارة واحدة فحسب ، عبارة بديعـــة سامية ، وهى :

(كلمات جوفاء مثل « هذا مالى أنا » و « هذا مالك انت » ما نطقت بها قط) .

(١٣٠)
مدينة أغارقة قدامى

تزهو أنطاكية بمبانيها الفخيمة ، بشوارعها البديعة ، وضواحيها الخلوية الرائعة ، ووفرة السكان الذين يعيشون فيها .

تزهو بأنها عاصمة ممالك لحكام مجيدين ، وبمن يؤمها من فنانين ، وحكماء ، وتجار واسعى الثراء ، حويطين .

ولكن أكثر من كل شيء ، وبلا منازع ، تفخر انطاكية بأنها مدينة اغارقة قدامى ، ينتمون بوشائج قربى الى أهل أرغوس ، الذين أتوا فى اثر ايونوس ، وشيدوا تلك المدينة تكريما لذكرى ابنة ايناخوس .

(١٣١)
أيام ١٩٠١

الشيء الفريد من نوعه ، أنه على الرغم من كل رذائله ، وخبرته الحسية الواسعة ، وعلى الرغم من أن مسالكه لم تكن لتخفى عادة من سنه — على الرغم من كل ذلك ، ثمة لحظات ، نادرة بالطبع ، أعطى فيها الانطباع بأن العشق لم يمسس من قبل جسده .

والغريب فى الأمر ، أن وسامة التاسعة والعشرين التى هدمها اهتبال الملذات ، كانت قادرة فى بعض الأحيان على الايهام بأنها المرة الأولى التى ينصاع فيها الجسد العذرى لملذات الهوى .

(١٣٢)

شابان في الثالثة أو الرابعة والعشرين من العمر

منــذ العاشرة والنصـــف ، انتظر فى المقهى . وكان يترقبه ظهوره بين لحظة وأخرى . مضى منتصف الليل ، ولا زال بانتظاره . مضت الواحدة والنصف ، وكاد المكان الآن يخلو تماما . تعب من قراءة الصحف ، بطريقة آلية . ومن شلناته الثلاثة اليتيمة ، لم يبق سوى واحد ، بعد أن طال الجلوس بالمقهى . أما الآخران ، فأنفقهما على الكونياك والقهوة . كما دخن سجائره كلها .

أجهده هذا الانتظار ، فقد بدأت تستبد به ـــ وقد خلا لنفسه هذه الساعات الطوال ـــ هواجس قلقة عن حياته المنحرفة .

لكنه عندما رأى صديقه مقبلا ، تبددت فى التو هواجسه ، وزايله الاستياء والتعب .

جلب له صديقه خبرا لم يكن فى الحسبان . كسب ستين جنيها فى بيت للقمار .

دب الانتعاش فى أساريرهما الوسيمة . سرت الانتفاضة فى شبابهما الرائع . واستيقظ حسهما للحب المشتهى ، وذلك بفضل الجنيهات الستين التى جاءتهما من لعب الورق .

وذهبا ، منعمين بالبهجة والحس والجمال والحمية — ذهبا ، لا الى بيوت أهليهما المحترمة (حيث أيضا ما عادا مرغوبين) بل الى بيت يعرفانه ، بيت شديد الخصوصية ، بيت سيء السمعة . ذهبا . طلبا غرفة ، ومشروبات غالية ، ومضيا يشربان . وبعد أن أجهزا على المشروبات الغالية ، وكانت الساعة تقترب من الرابعة ، استسلما للحب سعيدين .

(١٣٣)

أيـام ١٨٩٦

انحدر به الحال تماما . كان السبب فى ذلك ميوله الشبقية . محرمة كانت ، رغم تأصلها فيه . وكانت منهيا عنها بشدة .

كان المجتمع محافظا الى أقصى حد ، ومتزمتا .

وقد راح يخسر ماله ، وكان قليلا على أى حال . ثم راح يخسر بالتدريج مكانته الاجتماعية ، ومن بعدها سمعته .

وهو الآن يقترب من الثلاثين . لم يواظب على عمل مألوف أكثر من عام .

وقد حدث أن كسب فى بعض الأحيان ما يكفيه من الوساطة فى صفقات تعتبر جلابة للعار . وانتهى به الأمر أن صار من أولئك الذين يدعو كثرة الاختلاط بهم الى اثارة الريب .

ولكن من باب الانصاف ، لا يجب أن يقف ما يروى عنه عند هذا الحد . بل يجدر أن تذكر أيضا وسامته ، وأن يكون لها فى الرواية القدح المعلى .

هناك زاوية أخرى ، لو نظر للأمر منها ، فسوف تنجذب نحو هـذا الشاب القلـوب ، اذ سـيبدو للحب ابنا أصيلا غير مزيف . لم يتردد فى أن يضع الحس الخالص بالجسد المصفى فى مقام أعلى من السمعة والشرف .

أى سمعة ، وأى شرف ، وذلك المجتمع المتزمت ضـيق الأفق ، كانت قيمه خاطئة كل الخطأ .

(١٣٤)

كلمات أديب شاب في الرابعة والعشرين من عمره

والآن ، أطلق أيها العقل ، كما تشاء ، لفكرك العنان .
تهده متعة لا تكتمل . ويضحى فى حالة من توتر الأعصاب .
يمضى يقبـل الوجـه الحبيب ، كل يوم . وتتحسس يداه الأطراف الرائعة . ما أحب من قبل بمثل هذه العاطفة ، ولكن يبقى مفتقدا الاكتمال الرائع للحب ، ذلك الاكتمال المتبادل الذى يتـوق اليه الطرفان .

(ليس كل منهما موهوبا ، بقدر الآخر ، المتعة الجامحة ، بل هو وحده من استبدت به) .

يذوى ، ويضحى عصابيا . فضلا عن انه بلا عمل ، وهو ما يسهم كثيرا فى سوء الحال .

بصعوبة ، يفترض بعض المبالغ الصغيرة (بل ويكاد يذهب فى بعض الاحيان يستجديها) ويتظاهر بأنه على ما يرام .

يقبل الشفاه التى يحبها حب العبادة . فى هذا الجسد الرائع وجد متعته ، وان كان يفهم الآن . ما يلقاه منه هو مجرد اذعان .

ينكب على الشراب ، ويدخن . ويمضى طوال اليوم . فى المقاهى ، يجرجر نفسه . يجرجر متألما أشجان الجسد الرائع الذى لا يلقى ارتواء .

والآن ، أطلق أيها العقل ، كما تشاء ، لفكرك العنان .

(١٣٥)

في مستوطنة يونانية كبيرة
٢٠٠ قبل الميلاد

ان الأمور فى المستوطنة لا تسير على ما يرام . هذا أمر لا يتطرق اليه أدنى شك .

وعلى الرغم من أننا على نحو أو آخر نمضى قدما ، فربما ، كما يعتقد من ليسوا بالقليل ، قد آن الأوان ان نجلب مصلحا سياسيا يمسك بالزمام .

على أن المشكلة ووجه الاعتراض أن هؤلاء المصلحين (وانه لنعمة الا تعن الحاجة اليهم على الاطلاق) يبالغون فى تضخيم النقائص ، أينما وجهوا تقصياتهم ، وتغلغلوا وراء أدق التفاصيل . وفى التو تتفتق أذهانهم عن اقتراح تغييرات جذرية ، وتعديلات لا تحتمل التأخير .

كما أن بهم ميلا الى المطالبة بالتضحيات : يقولون تخلص من هذا المال . خطر أن تمضى فى اقتنائه . ملكية أعيان مثل هذه خراب للولاية . تخلص من هذه الثمار ومما شائهها أيضا من ثمار ، بل ومن كل ما عداها . انها عائدات جوهرية ، ولكن لا مفر من ذلك ، فالمسئوليات التى تستوجبها لا تخلو من ضرر .

واذ يمضون فى تقصياتهم ، يجدون أعدادا لا حصر لها من أشياء عديمة الجدوى ، يوصون بالغائها ، وان كانت أشياء من الصعب على أى حال التخلص منها .

واذ يضعون الأمور على بركة الاله فى نصابها ، بعد أن شخصوا كل جزئية ، وبمبضع الجراح شرحوها ، يفرغون من مهامهم ، فيعتزلون العمل (حاملين معهم الأتعاب التى استحقت لهم) .

ولنر الآن ما اذا كان ، بعد كل هذه الجراحات التى مورست جانتقان ، قد بقى شىءعلى الاطلاق .

ربما لم يحن الوقت بعد للحكم على فعالية اصلاحاتهم . ولنتحاشى العجلة ، فالعجلة أمر خطر ، والقرارات السابقة لأوانها تجلب الندم .

لا شـــك ثمـــة أمـــور كثيرة فى الولاية للأســـف لا يقبلها العقل ، ولكن هل هناك ما هو انسانى ومعصوم من الخطأ ؟

وبعد كل شىء ، أنت ترى اننا نمضى قدما بالفعل .

(١٣٦)

صورة شاب في الثالثة والعشرين من عمره

رسمت بريشة صديق ، هاو ، من ذات سنه .

أنجز الصورة ، بالأمس فى منتصف النهار . والآن ، هو يتأملها مدققا فى التفاصيل .

صوره فى سترة رمادية مفتوحة الازرار ، بلا صـــدرية أو رباط عنق ،

وفى قميص وردى داكن اللون ، مفتوح الياقة عند العنق ، ومن ثم يمكن أن يبين شىء من وسامته ، ولمحة من اختلاجه الصدر عند تنفسه .

يكاد يكسو شعره ، شعره اللامع الجميل ، الجانب الأيمن من جبينه (وقد صففه على النحو الذى اختاره لنفسه مؤخرا) .

حقا ، نجح فى التقـاط التعبير الحسى المفصح عنه ، وعنى بتسجيله وهو يرسم العينين ، وهو يرسم الثغر والشفتين ... الشفتين اللتين خلقتا للوفاء بحاجات الحب المشتهى .

(١٣٧)

لم يحدث أن فهمت

علق يوليانوس أصم القلب على معتقداتنا الدينية قائلا : « قرأت ، وفهمت ، وأدنت » كما لو كان هذا الرجل الأضحوكة قد محانا من على الأرض بكلمته هذه « أدنت » .

ولكن ، نحن المسيحيين لا تنطلى علينا أقوال الذكاء السطحية هذه ، فأجبناه على الفور « أجل ، قرأت ، ولكن لم يحدث أن فهمت ، لأنك لو كنت فهمت لما أدنت » .

(١٣٨)

كيمون بن ليارخوس
في الثانية والعشرين ، طالب للأدب اليونانى
(في كيرينيه)

« نهايتى جاءت ، ولقيتنى سـعيدا . اتخذنى هيرموتيليس صديقا ، وما كنا نفترق . وفى آخر أيامى ، وقد دنت ساعتى ، على الرغم من تظاهره بعدم قلقه على ، لاحظت الدموع تكـاد تطفر مرارا من عينيه . وكلما دار بخلده اننى غفوت وهلة خـر كالمجنون عند حافة سريرى جاثيا على قدميه .

وما كنا سوى اليفين فى الثالثة والعشرين ، لكن الأقـدار خئون .

ولشد ما كنت أخشى أن ينصرف هيرموتيليس عنى لشأن آخر من الشئون يملك عليه حواسه . ولهذا فقد جاءت نهايتى على خير ما يرام . جاءت ، ونحن متحابين لا نفترق » .

هذه المرثيــة لماريلوس بن اريستوذيموس ، الذى مات منذ شهر بالاسكندرية ، تلقيتها ، انا ابن عمه كيمون ، وقد اغرورقت عيناى بالدموع .

كان كاتبها ، وهو شاعر اعرفه ، هو الذى أرسلها الى .

وقد أرسلها ، لأنه كان يعرف ان ماريلوس يمت بصلة قرابة الى . ولم يكن يعرف شيئا عنا غير ذلك .

أن قلبى مفعم بالحزن على ماريلوس . شـــببنا نحن الاثنان معا ، مثل شقيقين .

يقلقنى الأمر الآن بشدة . محت وفاة هيرموتيليس الباكرة كل ما كان فى أعماقى عليه من لوعج ضغن ، حتى لو كان قـــد سلبنى ذات مرة ما كان يكنه لى هيرموتيليس من ود .

ولهذا ، فلوســـعى هيرموتيليس الآن الى صداقتى ، من جـــديد ، فلن يكون الأمر مثلما كـــان من قبل . أعـــرف طبعى وحساسيتى . سوف تتدخل صورة ماريلوس بيننا ، وسوف يخيل لى أنه يقول « واضح الآن ، كم أنت راض . انظر ، ها أنت ، يا كيمون استعدت صديقك كما كنت تريد . انظر ، اذن ، لا عذر لك الآن أن تفترى على » .

(١٣٩)
في اسـبارطة

لم يكن الملك كليومينيس يعرف كيف يصارح أمه ، ولا حتى يجرؤ أن يصارحها ، بقول مثل هذا :

أصر بطليموس ، كضمان للاتفاق معه ، على استجلابها الى مصر —

فياله من قول رخيص هذا ، ومهين .

وكلما جاء يحدثها بالأمر تردد ، وما ان يشرع فى القــول. الجم لسانه .

ولكن المرأة الرائعــة فهمت ما لم يجهــر به (وكانت قــد سمعت بهذا الخصوص أيضا بعض الأقاويل) فشجعته أن يفصح عما فى صدره .

ثم ضحكت . وقالت « بالتأكيد سأذهب » .

بل وسعدت أن تكون لازالت قادرة ، حتى فى شيخوختها ، ان تسدى نفعا لاسبارطة ، وطنها .

أما بالاهانة ، فما كانت لتكترث .

أن حكمة اسبارطــة ، ليست ، ولا شك ، مما يمــكن أن يستوعبها ملك غرير ، ابن البارحة .

وما كان طلبه الذى ألح عليه لينتقص ، حقا ، من قــدر سيدة مبجلة مثلها ، هى أم الملوك فى اسبارطة كلها .

(١٤٠)

أيام ١٩٠٩ و ١٩١٠ و ١٩١١

كان ابنا لبحار كادح فقير . (من جزر بحر ايجه).

اشتغل فى دكان حداد . رث الثياب ، ممزق حذاؤه الذى كان يرتديه أيضا ، أثناء العمل ، وفى أسوأ حال . ويداه ملوثتان بالزيت والصدأ .

وفى المساء ، بعد أن يغلق الدكان ، لو تاقت نفســـه ارباط عنق لأيام الآحـــاد ، بعض الشيء غـــالى الثمن ، أو اجتذبه فى واجهة أحد المحال ، قميص أزرق جميل افتتن به ، كان ينحرف لقاء ريال أو ريالين .

وانى لأتســـاءل ، لو انـــه فى الأزمـــان الخوالى ، عرفت الاسكندرية المجيدة شابا يضارع هذا الشاب وســـامة ، وراح هكذا كماله بددا وضاع . أعنى لم يصنع له رسم أو تمثال .

وفى غياهب دكان الحداد ، ظل ملقى به ، مهملا . ومن فرط العمل الشاق ، سرعان ما أهلكه الاجهاد . ومن وطأة الحـــاجة والرذائل الرخيصة لحقه الخراب .

(١٤١)

أمير من ليبيا الغربية

ابـــان العشرة أيـــام التى قضـــاها بالاسكندرية حـــاز ارسطومينيس مينيلاوس ، الأمير القادم من ليبيا الغربية ، الاعجاب بصفة عامة فقد بدا ، باسمه ومسلكه وهندامه ، يونانيا عـــريق الأصل .

كان يتقبل برضاء مراسم التكريم التى تقام له ، ولكنه لم يكن يجد فى طلبها ، فقد كان عفيفا متواضعا .

أخذ يشترى كتبا يونانية ، وبالأخص فى التاريخ والفلسفة . وفــوق كل شىء ، كان رجلا مقــلا فى كلامه . فشــاع انــه ، ولابد ، من رجال الفكر وخدامه . فالناس من أمثال هؤلاء ، لا يتحدثون بطبيعة الحال كثيرا .

هو لم يكن من رجال الفكر ، ولا كان شيئا على الاطلاق ، بل كان تافها ، مثيرا للضحك . انتحل اسما يونانيا ، وارتدى كأهل اليونان ، وتعلم كيف يتصرف ، على نحو أو آخر ، مثل واحد منهم . وكانت نفسه ترتعد خوفا أن يفسد ما أحدثته صورته من انطباع لا بأس به لو فتح فمه ، وتفوه بفمغمات همجية ، فعندئذ سوف يشرع السكندريون ، بطريقتهم المعتادة ، فى السخرية منه ، وهم سفلة أوغاد لا يتورعون عن ذلك .

هذا هو الذى الجم لسانه ، فلم ينبس الا بكلمات معدودة ، وجعله يولى حسابا شديدا لتراكيب كلامه ، والنطق به ، حتى كاد كبته للكلام بداخله يفقده صوابه واتزانه .

(١٤٢)

في الطريق الى سينوبوس

فى طريقه الى سنوبوس ، مر ميثريداتيس ، الممتلىء جبروتا وعظمة ، بدرب ريفى ، قريب من محل اقامة عراف .

أرسل ميترايداتيس واحدا من أتباعه ، كى يسأل العراف ، أى أشـــياء جميلة لازال عليه أن يظفر بها فى مســـتقبل أيامه ، وأى صلاحيات أخرى ينصحه باكتسابها .

أرسل واحدا من ضباطه لهذا الغرض . ثم واصـــــل الى سينوبوس مسيرته .

انسحب العراف الى صومعته .

وبعد ما يقرب من نصف ساعة خرج غارقا فى تفكير عميق . وقال للضابط :

« لم أستطع على نحو مرض أن أميز ما أرى . لمحت بعض الظلال المبهمة . ليس اليوم يوما مناسبا للنبوءات ، ولم أفهم حق الفهم ما رأيت . ولكن ، لعمرى ما الذى يجعل الملك لا يقتنع بكل ما بين يديـــه » .

(١٤٣)

ميريس : الاسكندرية ٣٤٠ ميلادية

كانت فجيعتى كبيرة ، عندما علمت بوفاة ميريس .
هرعت الى بيته ، رغم اننى أتحاشى زيارة بيوت المسيحيين ، وعلى الأخص عندما يقيمون مآتم أو أفراح .

وقفت فى الردهة . لم أرد أن اخطو مقتربا أكثر من ذلك ، لأننى تبينت أن أقرباء الميت كانوا ينظرون الى فى دهشة ملحوظة وباستياء .

وضعوه فى غرفة فسيحة . كانت فى جزء منها مكسوة بطنافس نفيسة . ورأيت هناك آنية من الذهب والفضة .
وقفت ابكى فى أحد أطراف الردهة ، وأقول لنفسى لن تساوى ولائمنا ورحلاتنا بغير ميريس شيئا ، بعد الآن . ويروعنى اننى لن أراه فى سهراتنا الرائعة العربيدة ، ينعم ، ويضحك ، وينشد ابياتا بحسه المتقن لايقاع الشعر اليونانى .

ورحت افكر اننى فقدت الشاب الذى كنت أكن لـه الحب . فقدت وسامته ، والى الأبد .

الى جوارى ، راحت نسوة عجائز يحكين بصوت خفيض ، عن اليوم الأخير فى حياته .

لم تكف شفتاه عن ذكرِ اسم المسيح ، وامسك بصليب فى يديه —

ثم دخل الغرفة أربعة من الكهنة المسيحيين ، يقرأون بحرارة صلوات ، وابتهالات ليسوع أو لمريم (ولا أعرف ديانتهم حـــق المعرفة) .

كنا نعلم ، بالطبع ، أن ميريس من اتباع المسيح .

منذ البداية ، عرفنا ذلك عنه ، أول ما انضم الى صـــحبتنا منذ عامين ، لكنه كان يعيش تماما مثلما كنا نعيش ، بـــل وكان أكثرنا انهماكا فى الملذات ، يبعثر ماله بسخاء على الحفلات .

ومن فرط تكالبه على الدنيا ، كان بلا اكتراث يلقى بنفســـه راضـــيا فى مشـــاجرات الشوارع بالليالى ، عندما كانت صحبتنا تصطدم بصحبة أخرى تعترض طريقنا .

لم يكن يحدثنا عن ديانته قط ، ذات يوم ، قلنا له ، اننـــا سنأخذه معنا الى السرابيوم . آه ، لكننى تذكرت الآن . بدا كما لو كان قد استاء من مداعبتنا هذه . آه ، وثمة مرتان أخريان وغدتا الآن الى خاطرى . عندما كنا نقدم الى بوسيذون قرابـــين خمر انسحب من جماعتنا ، وأدار أنظاره ناحية أخرى وعندما صـــاح أحدنا فى حمية وقال «لنكن جميعا اصفياء صاحب الجلالة أبوللونوس العظيـــم ، وليشـــملنا برعايتـــــه » — همس مـــيريس ، دون أن يسمعه الآخرون : « لست محسوبا فى ذلك منكم » .

كان الكهنة المسيحيون يصلون بصوت مرتفع ، من أجل روح الميت الشاب . ولاحظت بأئ مثابرة ، وبأى اهتمام عميق بطقوس ديانتهم كانوا يجهزون كل شيء من أجل الجناز المسيحي .

وفجأة ، تملكني احساس مباغت غريب . شعرت شـعور اليقين كما لو كان ميريس يمضي مبتعدا عني . شعرت أنه ، وهـو المسيحى ، يتحد باهله المسيحيين ، واضحى أنا غريبا ، غـريبا تماما . بل ان شكا انتابني بانني كنت مخدوعا في تعلقي الشديد به . واني على الدوام كنت غريبا عنه ، وهو منبت الصلة بي .

اندفعت خارجا من بيتهم ، هذا المخيف . وأسرعت الخطى مبتعدا قبل أن تنتزع مسيحيتهم مني ذكرى ميريس ، واضل عنها .

(١٤٤)

في المكان ذاتـه

يا أيها الحي الذى به أحيا وألهو ، وتجـوس بين جنباتك عيناى ، وبين ارجائك أسير يوما بعد يوم ، وأسعى .

في لحظـات فرحي وحـزني ، ومن ثنايا شـتي الخطوب والأحداث ، اعدت خلقك ،

وما عدت ، بالنسبة لى ، سوى عالم ، من صنع أحاسيسى وعاطفتى .

(١٤٥)

الكساندروس والكسندرا

الملك الكساندروس ، وزوجته الملكة الكسندرا ، وقد غمرتهما الفرحة لما تحقق ، وأفعمت قلبيهما البهجة ، يطوفان شوارع أورشليم فى موكب بادى الثراء والنعمة . الموسيقيون فى المقدمة ، يعزفون الألحان الصاخبة ، والموكب الفخم يمضى ببهاء متهاديا .

الخطة بدأها يهوذا ماكافيوس الكبير ، واخوته الأربعة الذائعو الصيت . عمل دؤوب فى خضم أهوال ومتاعب . وها هى الآن قد تحققت الخطة بشكل رائع .

انتهى الخضوع والاستبعاد لملوك أنطاكية ذوى الصلف والكبرياء . وأصبح الملك الكساندروس والملكة الكسندرا زوجته يتساويان فى كل شىء مع آل سليفكيوس ملوك سوريا اليونانيين ، أنهما يهوديان صالحان ، أصيلان ، متدينان . على أنهما بالطبع أيضا يتشدقان باليونانية فى طلاقة ، نزولا على مقتضى الحال ، لأنهما يتعاملان ، وعلى قدم المساواة ، مع يونانيين ، ومع ملوك تطبعوا بطباع أهل اليونان .

وإذا كانت المعاملة الآن على قدم المساواة ، ونجحت الخطة هذا النجاح الرائع ، فلعله لا ينسى ان الخطة بدأها يهوذا مكافيوس الكبير ، وأخوته الاربعة ذائعو الصيت .

(١٤٦)

هيا ، يا ملك اللاقيديمونيين

لم تسمح كراتسيكليا للناس أن يروها تبكى وتنوح .

سارت فى صمت وإباء ، لا ينم وجهها الساكن عن شىء من الأحزان والعذابات التى بداخلها .

ولكن على الرغم من كل تماسكها ، فانها فى لحظة من اللحظات لم تتمالك نفسها ، وقبل أن تصعد ظهر السفينة اللعين الذى سيبحر بها الى الاسكندرية ، اصطحبت ابنها الى معبد بوسيذونوس .

وهناك ، عندما صارا وحيدين ، وكان كما يقول بلوتارخوس « مزعزع الجنان » و « فى كرب شديد ».

ضمته الى صدرها ، وقبلته بحنان .

وما لبثت عزيمتها القوية ، ان تغلبت على ضعفها ، فاستردت هدوءها من جديد . وقالت المرأة الرائعة الى كليومينيس :

« هيـــا ، يا ملك اللاقيديمونيين ، عندما نخرج من هنا ، لا تدع أحدا يرانا نبكى ، أو نأتى تصرفات باسبارطة لا تليق .

على الأقل ، هذا لازال بمقدورنا .

أما ما بعد ذلك ، فهو مقدر لنا ، ومكتوب »

ثم صعدت السفينة ، المتجهة الى حيثما « هو مقدر لهـــا ، ومكتوب » .

(١٤٧)

زهور جميلة بيضاء

دخل المقهى الذى ألفا ارتياده . فى هذا المكان ، منذ ثلاثة شهور ، قال له صديقه « كل منا صبى فقير . لا نملك شروى نقير . تدهور بنا الحال . هوينا الى مدارك البؤس والحضيض . وانى أقول لك صراحة لا أستطيع أن أمضى معك . ثمة آخر يسعى الآن لصداقتى » وكان هذا الآخر قد وعده سترتين ، وبعض مناديل من حرير .

وكى يستميله اليه من جديد ، سعى بشتى الطرق . قلب الأرض رأسا على عقب ، حتى دبر عشرين جنيها ، فعاد اليه من أجل هذه الجنيهات العشرين . اجل من أجل ذلك ، ولكن أيضا من أجل المشاعر القديمة ، والود القديم . كما كان الآخر كذابا ، نذلا صعلوكا .

لم يعطه سوى سترة واحدة ، وذلك بعد عديد من التوسلات ، وبكل تقتير .

أما الآن ، فما عاد يريد ثيابا على الاطلاق . لا يريد مناديل من حرير ، ولا أيضا يريد العشرين جنيها ، بل ولا حتى من البنسات عشرين .

يوم الأحد دفنوه ، فى العاشرة صباحا . يوم الأحد ، منذ قرابة اسبوع ، واروه التراب .

على تابوته الرخيص ، وضـــع من اجله بعض الزهـــور البيضاء ، زهور جميلة بيضـــاء . وكانت مناسبة له ، ولوسامته وسنى عمره الأثنتى والعشرين .

وعندما اقتضته لقمة العيش ، أن يذهب ، فى المساء ، الى المقهى الذى الفا ارتياده معا ، أحس بالمقهى الكئيب طعنة فى قلبه نجـــلاء .

(١٤٨)

كان يسأل عن الصنف

خرج من المكتب الذى أسندت اليه فيه
وظيفة تافهة ، زهيدة الأجر ،
(حوالى ثمانية جنيهات فى الشهر ، بما فى ذلك المنح)
يظل من أجلها منكفئا على عمله طوال اليوم ، محنى الظهر .
خرج فى السابعة بعد أن أنجز عمله بالمحل بعد الظهر ،
وراح يسير الهوينا ، متسكعا فى الشوارع . حسن المظهر ،

ملفتا الانتظار الى طلعته التى تعلن عن بلوغه سن النضج
فقد أتم الشهر الماضى التاسعة والعشرين من عمره ،

تسكع فى الشارع الرئيسى ثم فى الشوارع الجانبية الفقيرة
التى تقود الى بيته .

وفى مروره أمام حانوت صغير ، يبيع خردوات رخيصة للعمال،
لمح فى الداخل وجها استلفته ، رأى طلعة دفعته الى الدخول .
تظاهر بأنه يريد أن يشترى بعض المناديل الملونة .
سأل عن الصنف ،
وعن الثمن ، مبحوح الصوت ،
منطفئا من فرط الرغبة .
وجاءته الاجابات على ذات النحو ،
مرتبكة ، هامسة ،
منطوية على رضاء وقبول .

ظلا عن السلعة يتحدثان
ولكن الغرض من ذلك ، كـان أن تتلامس الأيـدى ممسكة
بالمناديل ، وان يتقارب الوجهان والشفاه ،
كما لو كان ذلك عرضا ، ومبحض الصدفة .
وأن يحظى الجسدان بمنحة اللقاء .
كل شىء يجـرى سريعا ، وفى طى الكتمان ، حتى لا يتنبه
صاحب الدكان الجالس فى أغوار المكان لما يجرى بينهما ،
هما الاثنان .

(١٤٩)
كان الأجـدر بها

انحدر بى الحال ، حتى كدت أفلس ، وصرت بلا مأوى .
هذه المدينة الفانية ، أنطاكية ،
هذه اللعوب بتكاليفها الباهظة ،
التهمت كل مال عندى .
ولكنى احتفظ بشبابى ، وصحتى على أكمل حال .
أجيد اليونانية اجادة فائقة
(أعرف ، وأى معرفة ، أرستطاليس وأفلاطون
كما أعرف خطباء وشعراء . أعرف كل من ببالك يخطرون)
عن الفنون العسكرية لدى فكرة .
وتربطنى ببعض قواد المرتزقة صداقة قوية ،
وفى شئون الادارة لدى خبرة ،
فقد أقمت ستة أشهر بالاسكندرية فى السنة الماضية .
وألم الى حد ما (وهذا مفيد)
بتدبير المؤمرات ، واقتراف الأعمال القذرة ، بل وأقوم .
أيضا بغير ذلك من مهام ،
ومن ثم كلما ذكرت اننى بهذه الصلاحية
ادركت اننى أهل لخدمة هذا البلد ،
وطنى الحبيب سورية .

سوف ابذل قصارى جهدى فى أى عمل يسند الى
كى اكون نافعا . هذا هو مطمحى
ولكن لو وضعوا فى وجهى العراقيل بأساليبهم —
ونحن على علم بما يفعل هؤلاء الشطار ، وهل نميط اللثام
عن المستور الآن ؟
لو وضعوا فى وجهى العراقيل ، فما ذنبى أنا ؟
سأتوجه الى سافينا أولا

فاذا لم يقدرنى هذا الأحمق حق قدرى
سألجأ الى خصمه ، غريبو ،
فاذا لم يقبلنى هذا الغبى بدوره
سأمضى توا الى ايركانو .
سوف أكون مرتاح الضمير
لهذا الاختيار الذى لا يعنينى فى قليل أو كثير
فثلاثتهم فى الأضرار بالوطن سواء .
ولكن ما ذنبى ، وأنا الرجل المعوز المسكين
الذى يلتمس لفقره سترا ؟
أما كان الأجدر بالهة الشعوب ،
أن تخلق حاكما رابعا يتصف بالصلاح ،
وقد كنت سأنضم الى هذا الأخير بكل سرور وارتياح .

(١٥٠)

المرآة في القاعة

فى قاعة البيت الثـرى ، مرآة كبيرة ، عجـوز ، اشتريت منذ ثمانين عاما مضت .

وقف هنـاك فتى وسيم ، يعمل صبيا لدى حائك ثياب ، وأيام الآحاد يمارس الرياضة هاويا ــ وقف هناك يحمل لفافة ، سلمها الى واحد من أهل البيت . أخذها منه ، ودخل يحضر لـه ايصال الاستلام .

ترك الصبى وحيدا فى القاعة ، فمضى ينتظر .

ذهب الى المرآة . وشرع ينظر الى صورته المنطبعة هناك .

أصلح من رباط عنقه . وبعد خمس دقائق ، خمس دقائق قصار ، أحضروا له الايصال ، فأخذه ، وانصرف .

على أن المرآة العجوز ، التى رأت ، ورأت ، على مـدى سنى عمرها المديد ، آلاف الأشـياء وآلاف الوجـوه ــ المرآة العجوز كانت سعيدة الآن وفخـورا أن تلقت عـلى اديمها تلك الوسامة كلها ، لبضع لحظات .

(١٥١)

وصفة لسحرة يونانيين قدامى
من أهل سورية

قال باحث عن الجمال :

« وددت أن أجد أكسيرا من أعشاب سحرية ، أكسيرا لسحرة يونانيين قدامى من أهل سورية ، يعيدنى (أن لم يقو مفعوله على الدوام أطول من ذلك) ليوم واحد ، أو حتى لسويعات قصار ، الى الثالثة والعشرين من عمرى ، ويعيد الى الثانية والعشرين رفيق صباى .

كما يعيد الى وسامته ، ومودته .

أكسيرا لسحرة يونانيين قدامى من أهل سورية ، يستعيد الماضى ، فيستحضر من جديد غرفتنا ، غرفتنا الصغيرة ، التى كانت لنا » .

(١٥٢)

في عام ٢٠٠ قبل الميلاد

« الاسكندر بن فيليب واليونانيين بغير اللاقيديمونيين »

يمكننا ان نتصور جيدا ، كيف أن أهل اسبارطة ما كانوا يكترثون على الاطلاق بهذا النقش القائل : « .. بغير اللاقيديمونيين »

فما كان أهل أسبارطة ليرضوا بطبيعة الحال ، ان يقادوا ،
ويؤمروا ، مثل ارقاء غلا ثمنهم .
هذا فضلا عن أنهم ما كانوا ليتصورون بعثة تمثل اليونانيين
بدون ملك من بينهم ، يتولى الرياسة ، واعتبروا أن مثل هـذه
البعثة بغير ملك اسبارطى اجراء لا قيمة له .
وعلى ذلك ، فان التحفظ الذى أورده النقش فى قوله « بغير
اللاقيديمونيين » انما نم ، ولا شك ، عن موقف ملموس .

وهكذا فانه « بغير اللاقيديمونيين » فى جرانيكوس ، ثم فى
ايسوس ، وبعد ذلك فى المعركة النهائية ،
اكتسحت جيوش الفرس الساحقة ، عند اربيل ،
حيث خرجت للحرب جيوش الرعب تلك ، ومنيت بالدمار .

من هذه الحملة اليونانية الشاملة ، المنصورة ، الباهرة ،
التى طبقت شهرتها الآفاق ، ولم يدان أى نصر فى الشهرة نصرها .
— من هذه الحملة التى لم يسبق لها مثيل ، خرجنا نحن .

نحن السكندريين ، وأهل انطاكية وربوع الشام وعـديد
غيرنا من يونانيى مصر وسورية ،
وأولئك الذين فى بـلاد الفرس وميديه ، وسائر الآخرين
كلهم .

خرج عالمنا اليونانى الجديد شامخا .
بأقاليمنا الواسعة ، وأنشطتنا المتنوعة ،
وتحررنا الفكرى ،
ولغتنا اليونانية الواحدة التى حملناها
حتى فاكتريا ، بل والى الهنود نقلناها .

ثم بعد ذلك كله ، تتحدث عن « لاقيديمونيين » .

(١٥٣)

أيــام ١٩٠٨

كان ذلك هو العام الذى بقى فيه دون عمل .
يلعب النرد والورق ، ويستدين ، لأجل سد الأود .

عرضـــت عليه وظيفة فى مكتبة ، مقابل ثلاثة جنيهـــات فى الشهر .
لم ير ذلك العرض مناسبا ، ولم يكن الأجر على الاطلاق لائقا ، فرفضه على الفور .
كـــان فى الخامســـة والعشرين من عمره ، وعلى قدر من التعليم لا بأس به .

لا يكـــاد يكســـب فى اليوم شـــلنين أو ثلاثة شلنات ، من لعب النرد والورق . وماذا يمكن أن يكسب أكثر من ذلك صـــبى

مثله فى المقاهى الرخيصة التى يرتادها من هم على شاكلته ، رغم انه يلعب بمهارة ، وينتقى لاعبين بليدى الفهم .

أما عن الاستدانة ، فلم يكن فيها موفقا . ونادرا ما كان يجد من يرضى أن يقرضه ريالا ، والأغلب انه كان ينزل الى النصف ريال ، وفى بعض الأحيان كان يقتنع بشلن .

وعندما كان ينجو بجلده أسبوعا أو أكثر فى بعض الأحيان من مجالس السهر المرهقة ، كان يلطف حرارة جسمه بالنزول الى البحر ، للسباحة فى الصباح ، والاستجمام .

كانت ملابسه فى حالة من السوء بالغة . يرتدى على الدوام سترة واحدة ، سترة متهرئة ، بنية حائلة اللون مثل القرفة .

يا أيام ذلك العام ، عام التسعمائة والثمانية ، اختزنتك ذاكرتى ومن صورتك ، انمحت رويدا رويدا السترة المتهرئة البنية الحائلة اللون مثل القرفة .

واحتفظت به ، يخلع سترته المتهرئة . يلقى بها من عليه ، ثم ينفض عنه ملابسه الداخلية المرتقة . ويبقى أمامى عارى القوام، بالغ الكمال مثل تحفة لا تشوبها شائبة . شعره مشدود الى الوراء غير ممشط . وقد لوحت الشمس قليلا أطرافه ، بسبب عرى الصباح ، أثناء الاستحمام فى البحر ، والاستلقاء للاستجمام على الشطئان .

(١٥٤)

عـلى مشــارف أنطاكية

انتابتنا الدهشـة عندما علمنا بالجديد من تصاريف يوليانوس .

أوضح أبولون لسيادته الوضع فى ذافنى !
لن يتكهن له بالغيب (وماذا يعنينا الأمر !) ولن يدلى لــه بنبوءة ، ما لم يزل من فنائه فى ذافنى كل قذارة .

كان يشعر بالضيق من جيرانه الموتى .

توجد فى ذافنى قبور كثيرة .

وكان أحد المدفونين هنـــاك المستأهل للحمد ، فخر كنيستنا ، القديس المنتصر فافيلاس .

وهذا من كان يعنيه المتأله الدعى ، ويخشـاه .

فما كان ليجرؤ ، وهو يشعر به الى جواره ، أن يمارس ألوهيته ، أو ينطق من نبوآته بكلمة .

(الالهة الدعية يتملكها الرعب من شهدائنا)

على أن يوليانوس الدنس شمر عن ساعديه ، وكان متوتر الاعصاب ، فشرع يصيح :

« ارفعوه ، ازيحوه . القوا حالا بفافيلاس هذا ، خارجا . هل يعقل ؟ أبولون يتأذى من وجوده ونتركه ؟ احكموا وثاقه فورا ، وأنزعوه من قبره . احملوه ، وخذوه أينما شئتم . وهل هذا وقت اللعب ؟ أمر أبولون بأن ينظف فناؤه . اطرحوه اذن خـــارجا . اطردوه » .

أخذنا الرفات المباركة ، وبكل الاجلال والحب لها ، ذهبنا بها الى مكان آخر .

ومع ذلك ، لم يطل الوقت ، وحلت بالمكان البركات . شب حريق ، حريق مدمر ، كبير ، أتى على الفناء كله ، فاحترق ، واحترق أبولون معه .

صار فحما ، رمادا يكنس ، ويلقى به الى القمامة .

كاد يوليانوس ينفجر غيظا . أشاع ــ وماذا كان بامكانه أن يفعل غير ذلك ؟ ــ ان النار اشعلناها نحن المسيحيين . فليقل ما يحلو له أن يقول ، فلم يثبت فى حقنا شىء ، والقـــدر المتيقن والمهم انه كاد ينفجر غيظا لما حدث .

الحـواشي (*)

(*) الأرقام الواردة بالصفحات التالية تشير الى أرقام القصائد ،

٤ ــ الراجح أن المشهد ، واسم افيمينيس من ابتكار كافافيس . اما ثيوكريتوس فهو الشاعر الرعوى اليونانى الكبير الذى عاش فى الفترة من ٢١٠ الى ٢٤٠ ق.م ، وقد ولد فى صقلية وأمضى فترة من حياته بالاسكندرية . ويبدو أن شكوى هذا الشاعر الشاب ، والنصائح التى يسديها اليه الشاعر ثيوكريتوس تتضمن تعبيرا من كافافيس عما كان يتوقعه هو أن يقدمه بفنه الشعرى اى ان هذا الحوار فى الواقع هو بين كافافيس ونفسه ، فهو افيمينيس وثيوكريتوس معا .

٧ ــ وقد أشار هيرودوت (٧ ــ ٢٢٣/٢١٣) الى افيالتيس هذا ، الذى خان بلده ، وقاد جيوش الفرس عبر ممر جبلى كان خافيا عليهم من أجل مهاجمة مؤخرة القوات اليونانية التى كانت تحمى ممر ثيرموبيليس تحت قيادة الملك الاسبرطى ليونيذاس (عام ٤٨٠ ق.م) .

٨ ــ عنوان القصيدة مكتوب باللاتينية ، وهو مقتبس من جحيم دانتى (٣ ــ ٦٠) وهى عبارة منسوبة الى البابا سيليستينوس الخامس وكانت تجرى فى الأصل بالآتى « ذلك الذى أقدم على الرفض الكبير بسبب جبنه » وقد حذف كافافيس من عنوان قصيدته « بسبب جبنه » فظل العنوان « ذلك الذى أقدم على الرفض الكبير » .

١٠ ــ لم يصبح كل من أخيل وديموفون خالدا لأن بيلوس ملك فيثيا والد أخيل وميتانيرا ملكة اليفسيس والدة ديموفون ، تدخل كل منهما من جانبه ومنع الأول الهة البحر تيتيس (انظر حنث

بالوعد » ١٧) ومنع الثانى الهة الحصاد دبميترا من اكمال طقوس النار التى كان من شأنها جعل الطفلين خالدين ، لا يمسهما الموت أبدا . ويحكى نشيد هوميروس الى ذيميترا أن ميتانيرا زوجة بيليوس، ملك اليفسيس تلقت فى قصرها ذيميترا متنكرة فى هيئة امرأة عجوز ، فعهدت اليها بعناية ابنها ديموفون . وذات ليلة استيقظت الملكة ميتانيرا على ضوء باهر فى القصر ، فنهضت ، ووصلت فى اللحظة الأخيرة لتمنع ذيميترا من أن تزج بطفلها فى النار كى تكفل له بذلك الخلود . ولهذا بقيت ميتانيرا فى الأساطير الاغريقية رمزا لتدخل الأرعن فى الشئون المقدسة .

وثمة أسطورة أخرى مماثلة تحكى عن الرعب الذى عاين الملك بيليوس ، وهو يعاين ما تفعله ثيتيس لتكفل لأخيل الخلود . فقد كان بيليوس ، ملك ثيساليا ، قد تزوج ثتيس ابنة الـه البحر ، التى أرادت أن تعرف ما اذا كان أولادها من بيليوس قد ورثوا عنها الخلود ، الا أن بيليوس تدخل فى الوقت المناسب ليوقفها عن تنفيذ ما أنتوته ، وينقذ بذلك اخيل من الالقاء به الى النار . وهذا ما تجرى به الاسطورة فى روايتها المألوفة ، الا أن قصيدة كافافيس تنحو منحى آخر فتومىء الى أن ثيتيس انما قصدت أن تحرق الجزء غير الخالد فحسب من ابنائها ، لتكفل لهم بذلك الخلود .

١٢ ــ كان برياموس أثناء حرب طروادة ملكا عـلى طروادة وكانت هيكوبا ملكة عليها (انظر أيضا القصيدة ٢٠) .

١٣ ــ كان نيرون (انظر « نهاية نيرون » ٧٧) ابن دوميتيوس اينوباريوس واغريبينا . وقد تزوجت أغريبينا فيما بعد الامبراطور كلوديوس ، ثم قتلته بالسم ، وأعطت العرش لابنها ، الذى ما لبث أن ارتكب أكبر المعاصى بقتلها . وقد الف الرومان أن يضعوا فى أرجاء بيوتهم أصناما صغيرة معبودة ، يطلقون عليها اسم لاريس معتقدين أن بث هذه الالهة الصغيرة فى أرجاء البيت فيه حماية لــه وأمان . وما كان يوضع من هذه المنحوتات المعبودة بجوار المدفأة كان يسمى لاراريوم . ولكن ماذا تجــدى هذه الالهة الصــغيرة ازاء مطاردة الهة العقاب لنيرون على معصيته الكبيرة ، قتل أمه ؟ لابد ان الالهة الصغيرة سوف تولى الادبار أمامها ، أو تنزوى فى الأركان القصية من البيت طالبة الحماية .

١٥ ــ كتبت فى أول ســبتمبر ١٨٩٦ . تحت عنــوان « سجون » . ومن المرجح انها طبعت فى يناير ١٨٩٧ مع ترجمة انجليزية لها بقلم شقيق الشاعر تحت عنوان « كم أعانى من أشياء جــائزة » وهى كلمات ايسخيلوس فى تراجيديتــه « بروميثيوس مقيدا » . ورغم أن هذه القصيدة لم تكن من القصائد التى رفضها كافافيس مثل كثير من قصائده الباكرة التى سبق أن نشرها ما بين عامى ١٨٨٦ و ١٧٩٨ الا أنه لم يدرج هذه القصيدة فى مجموعتيه اللتين طبعهما طبعة خاصة عام ١٩٠٤ وعام ١٩١٠ .

١٦ ــ المشهد من الخيال ، ويجرى فى مدينة تقليدية من مدن الدولة الرومانية ، دب فيها الفساد .

١٧ — بالنسبة للشخصيات الرئيسية فى القصيدة يمكن الرجوع الى قصائد « جوادا أخيل »(٢٠) و « جناز ساربيذون »(١٨) و « ايقاف » (١٠) والتعليقات على هذه القصائد .

والعبارة التى اثبتها كافافيس على رأس قصيدته مسترشدا بها ، مستقاة من « جمهورية » افلاطون (٢ — ٣٨٣) وهى تتضمن بعض ابيات من ثلاثية مفقودة لايسخيلوس .

١٨ — هذه القصيدة مأخوذة من الالياذة (١٦ — ٦٦٥/٦٨٣) وفى جزء كبير منها هى مترجمة ترجمة حرفية عنها . وقد نشرت أول الأمر فى ديسمبر ١٨٩٨ تحت عنوان « الأيام القديمة » ثم أعيد كتابتها ونشرت فى أغسطس ١٩٠٨ وعلى الرغم من أن كافافيس على ما يبدو لم يرفض هذه القصيدة فانه لم يضمنها مجموعاته الخاصة عام ١٩٢٠ بعنوان « قصائد ١٩٠٨ — ١٩١٤ » وعام ١٩٢٦ بعنوان « قصائد ١٩٠٧ — ١٩١٥ » وعام ١٩٣٠ بعنوان « قصائد ١٩٠٥ — ١٩١٥ » وعلى خلاف « الخطوات » (التى نشرت أول مرة عام ١٨٩٧ ثم أعيد كتابتها عام ١٩٠٨ ونشرت عام ١٩٠٩) يبدو ان هذه القصيدة ظلت معتبرة من قصائد ١٨٩٨ .

وقد قتل ساربيذون ملك ليكيا بيد باتروكولوس بن مينيتيوس (انظر « جوادا أخيل » ٢٠) ويعود أبوللو الى الظهور فى قصيدتى « حنث بالوعد »(١٧) و « على مشارف انطاكية »(١٥٤) .

وبحسب رواية هوميروس فان ساربيذون أو ساربيذونوس

كان ابنا لزيوس كبير الالهة،وكان قائدا لأهل ليكيا،وحليفا لبرياموس وهو أحد الأبطـال الاسطوريين للالياذة ، وملك طروادة وزوجا لهيكافى وابا لهيكتور وباريس وهما من أبطـال حـرب طروادة المبرزين .

١٩ ــ الغالب أن كافافيس لا يصف فى هذه القصيدة عملا بعينه من أعمال النحت الأغريقى ، وليس دامون سوى شخصية وهمية . وذلك على الرغم من التفاصيل المنتقاة بحرص وتبـدو وكأنها حقيقية .

٢٠ ــ كان باتروكولوس (انظر « جناز سرابيذون ») صديق اخيل (انظر « حنث بالوعد » و « أهل طروادة ») وابنا لبيلوس وثيتيس (انظر « ايقاف » و « حنث بالوعد ») . وهذه القصيدة مستوحاة من « الالياذة » كما كان كافافيس قد كتب عام ١٨٩٣ قصيدة أخرى مستوحاة من الالياذة بعنوان « نزهــة برياموس الليلية » وقد ظلت هذه القصيدة غير منشورة حال حياة مؤلفها . (وقد خصصنا لقصائد كافافيس التى لم تنشر حال حيـاته كتابا آخر فى طريقه الى الصدور قريبا) .

٢١ ــ عنوان القصيدة الذى يتردد فى بيت منها عبارة مستقاة من « الحلم » للوقيانوس حيث يروى هـذا السفسطائى والكاتب ذائع الصيت الذى كان أيضا من أهل مدينة سوموصات السورية كيف انه فى شبابه اختار مهنة الأدب ، فقد رأى فى حلم له طيفا يرمـز للثقافة . وقـد وعـده الطيف ، ضـمن وعـود أخرى بالمجـد والشـهرة ، قـائلا : لو انـك رحـلت الى الخـارج ، فـانك حتى عـلى التـراب الأجنبى لن تـكون نـكرة ، لأننى

سأضفى عليك من الامارات المميزة ما سيجعل كل من يراك يشير اليك ، ويقول لجاره « هذا هو الرجل ! » أو « انه لرجل عظيم » .

أما المشهد الذى تدور فى اطاره القصيدة ، وبطلها فهما من صنع الخيال . وقد كانت أديسا عاصمة اسروين (انظر « فى مدينة من اسروين » ٦١) وكانت انطاكية بالطبع عاصمة سوريا ، ولايدانيها فى حب كافافيس للمدن القديمة سوى الاسكندرية . وقد كان ذلك الرجل القادم من أديسا يتحدث فى الأصل اللغة السورية ، وان كان يكتب قصائده ، باليونانية. وبذلك يكون منتميا الى ذلك النمط الشرقى المتأغرق ، وهو النمط الذى كان كافافيس يهواه ويكن له التقدير ، لأنه هو بدوره كان يعتبر نفسه من هذا النمط .

٢٢ ــ كان ديمتريوس بوليورخيتيس ملكا على مقدونيا ، وقد خلع عن العرش عام ٢٩٤ ق.م اذ تخلت قواته المقدونية عنه وانحازت لخصمه بيرثوس بعد ان كان ديمتريوس قد أنهكها بحروبه . وقد اتخذ كافافيس مدخلا لقصيدته ما أورده بلوتارخوس عن حياة ديمترويوس ويجرى بالآتى :

« .... وليس كملك ، بل كممثل ، ترك أرديته الملكية ، مكتفيا بعباءة قاتمة اللون ، وانصرف دون أن يلحظه أحد » .

وتختلف وجهة نظر كافافيس عن وجهة نظر بلوتارخوس . فهذا الأخير اعتبر ديمتريوس أميرا مكروها ، رغم اعجابه بحضور بديهته وقت الخطر . اما كافافيس فقد اعتبر ديمتريوس مثلا أعلى على عدم الاكتراث بالملك ، والزهد فى الجاه والسلطة . فهو غير متكالب على المنصب ، بل انه بمجرد أن خذله من أدلوا بالأصوات

مفضلين عليه بيرثوس ترك كل شيء ورحل ، فى رداء بسيط ان دل على شيء فعلى التقشف والاعراض عن متع الدنيا ، وكأنه يقول أن الملك ليس سوى متعة زائلة من متع الدنيا . وقد عرف ديمتريوس ذلك ، فلم يحزن على ما فاته من هذه المتع بعدم انتخابه ، بل ودع النفوذ والسلطان فى هدوء وصمت . ومضى لحال سبيله منسحا بلا صخب ، وبلا مراسم ، وبلا طقوس ، ولعله بذلك قد استمع الى الصوت الذى أسمعه كافافيس لانطونيوس ، وهو مهزوم أخر على شاكلته ، عندما قال له ان هذه الاسكندرية تبتعد عنك ، أى هذا الملك ما عادت لك ، فودعها ، لاكجبان عديد بل بيقين انك قد فقدت اللعبة ، وسحب البساط من تحت قدميك ، فامض ، انصرف بهدؤ وبلا صراخ أو جلبة .

وبالاضافة الى النبذة المأخوذة من بلوتارخوس والتى وضعها كافافيس على رأس قصيدته رغم انه ناقضها ، فقد وصف اوقيانوس ما حدث لديمتريوس بقوله :

« وهكذا ذهب الى خيمته ، ولف حول وجهه عباءة سوداء ، بدلا من الدثار الثمين الفاخر الذى الف أن يرتديه ، وكممثل عادى ، وليس كملك ، تسللبعد ذلك خارجا » .

٢٣ ــ كانت « المدينة » أو « الولاية »(٢٤) فى مقدمة القصائد الباكرة الناجحة ، وذلك على الأقل حتى عام ١٩١٦ .

٢٤ ــ الولاية اقليم يرأسه وال تحت حكم ملوك الفرس .

وربما تأثر كافافيس فى قصيدته هذه بما أورده بلوتارخوس (٢٥ ــ ٤) عن السنوات الأخيرة من حياة ثيميستوكليس التى

اضطر فيها هذا السياسي الأثيني المبرز (حوالى ٥٢٥ — ٤٦٠ق.م) وقد عاني من عدم وفاء مواطنيه وجحودهم نحوه ، أن يرحل الى « سوسا » (السوس) (عاصمة فارسية) حيث أواه ملك الفرس وأكرم وفادته حتى نهاية عمره .

وعلى الرغم من أن الاشارة فى القصيدة الى ارتاكسيركسيس أو ارتحشستا (وربما كانت هذه الاشارة الى أول ملوك الفرس الثلاثة الذين حملوا هذا الاسم) وقد حكم فى الفترة من ٤٦٤ الى ٤٢٤ قبل الميلاد) الا انه قد روى عن كافافيس قوله ان بطل هذه القصيدة ليس بلازم أن يكن ثيمستوكليس ، أو حتى ذيماراتوس (انظر قصيدة ١٠٠) أو أى سياسى آخر فى الحقيقة ، بل ليس ثمة ما يمنع أن يكون البطل أى فنان أو عالم . وقد كانت سوسا (السوس) عاصمة ملوك الفرس من أسرة الاخيمنيد (٦٤٥ — ٣٣٠ ق.م) .

٢٥ — روى أن أحد العرافين حذر يوليوس قيصر (انظر قصيدة « ثيوذوتوس » ٤٦) من اليوم الخامس عشر من مارس . وفى صباح هذا اليوم من عام ٤٤ ق.م ، حاول ارثيميذوروس بلا جدوى أن يسلم يوليوس قيصر رسالة تكشف المؤامرة التى دبرها له بروتوس وكاسيوس . (راجع حياة يوليوس قيصر لبلوتارخوس . انظر ايضا مسرحية « يوليوس قيصر » لشكسبير) .

وارتيميذوروس المشار اليه فى هذه القصيدة هو أحد الحكماء من افيسوس وهى من مدن آسيا الصغرى ، عاش فى القرن

الثانى بعد الميلاد وكان بارعا فى تفسير الأحلام ، وألف كتابا باكرا فى الموضوع ترجمه الى العربية بعنوان « تعبير الرؤيا » حنين بن اسحاق (المولود عام ٨٠٩ أو ٨١٠ ميلادية والمتوفى حوالى عام ٨٧٦) . ويلاحظ أن كافافيس فى قصيدته يعمد من جديد الى خلط الأوراق التاريخية فارتيميذوروس هذا لم يكن معــاصرا ليوليوس قيصر ، ولكن مفسرى الأحلام من أمثال آرتيميذوروس كثيرون فى كل زمان . ولهذا فليس بمستبعد أن يكون ارتيميذوروس هذا ـــ على حد قول كافافيس ذاته فى قصيدته ـــ أي ارتميذوروس ، أو بعبارة أخرى « واحد مثل ارتميذوروس من مفسرى الأحلام » .

٢٦ ـــ لمزيد من الاشارات الى انطونيوس انظر القصائد « فى الاسكندرية ٣١ ق.م » (١١٣) و « فى مدينة بآسيا الصغرى » (١٢٥) وعنوان القصيدة مقتبس من كتابات بلوتارخوس عن حياة انطونيوس . والأكثر دقة أن يقال الاله يتخلى عن انطونيوس . وهذا الاله هو ديونيسيوس الذى لقبه الرومان باخوس (انظر القصـــيدة ١٩) فقبيل مقتل انطونيوس بساعات قليلة سمع فى الاســكندرية موكب باخوس وحاشيته من الالهة الثانويين ، بكل صخبه ، يمر بشوارع الاسكندرية . ويروى بلوتارخوس فى «حياة انطونيوس» إنه نحو منتصف الليل ، بينما كانت المدينة غارقـــة فى الصمت والأسى ، تنتظر مرتعبة معركة الغد الفاصلة ، سمعت فجأة الأنغام المتناسقة المنبعثة من شتى آلات العزف الموسيقية يصاحبها تهليل الجماهير ، وأغانى الباخوسيات ، وصخب المساخيط الماضيين ، كما لو كانوا فى مظاهرة تخترق المدينة ، فى اتجاه معسكر الأعداء وبالقرب من أسوار المدينة زاد هذا الصخب ارتفاعا ، ثم أعقب ذلك الصمت وتساءل

الناس عن سبب هذه الواقعة ، وقالوا ان الاله الذى دأب انطونيوس على خدمته ، واتخذ منه قدوة ومثلا أعلى هجره الآن ، وتخلى عن مؤازرة قضيته .

وقد استخدم الحادثة المروية هذه شيسكبير بدوره فى مسرحيته انطونيوس وكيلوباترا (الفصل ارابع) .

٢٩ — المشهد فى هذه القصيدة وبطلها من صنع خيال الشاعر . اما «تيانا» (انظر « لو كان حقا مات »٩١) فكانت مدينة فى كابادوكيا . وكانت « ريا » ابنة السموات والأرض ، وزوجة ساتيرون ، وأما لآلهة الاليمب . وكان ماريوس (١٥٧ — ٨٦ ق.م) وايميليوس باولوس (مات عام ١٦٠ ق.م) وسكيبيو افريكانوس (٢٣٦ — ١٨٣ ق.م) من أشهر قناصل وقواد الرومان . اما عن بومبى فراجع قصيدة « ثيودوتوس » (٤٦) وعن باتروكولوس راجع « جناز ساربيذون » (١٨) و « جوادا اخيل » (٢٠) .

ويفترض أن هذا المثال اليونانى الذى تخيله كافافيس قد مارس صنعته فى روما ، ربما بعد اغتيال يوليوس قيصر بقليل ، ما دام ان تمثال قيصرون ، وهو ابن قيصر وكيلوباترا ، يوجد ولو حطاما فى ورشته . وسوف نرى فيما بعد قصائد أخرى عن هذا الأمير الصغير التعس . انظر « قيصرون » (٧٣) و « ملوك الاسكندرية (٣٥) . وتعتبر الآراء التى يعرب عنها الفنان فى القصيدة هى الآراء المعروفة عن مفهوم افلاطون للعمل الفنى .

٣٠ ــ تجرى القصيدة أثناء الحكم المشترك لابنى قسطنطين الاكبــــر (٣٣٧ ــ ٣٥١م) قســــطانس وقســــطنطنيوس وقــد خــلفاه فى العــرش مشــاركة مــع أخيهمــا قسطنطين الثــانى ، أثر وفــاته ،عــام ٣٣٧ . ثم انفــرد قسطنطينيوس بالحكم بعد وفاة كل من أخويه .

والطالب السورى ميرتياس الذى تحكى عنه القصيدة يبدو من بنات أفكار الشاعر . راجــع أيضــا قصيدة « يوليانوس فى نيقوميديا » (١١١) .

٣١ ــ لم يحدد كافافيس اى « لاجيدى » يقصد أو بعبارة أخرى أى « بطلسى » ، ممن حكموا مصر ولا أى « سليفكى » ممن حكموا سوريا ، ولكن الحقبة المتحدث عنها على اى حال ، هى ما بين عامى ٣٢٣ و ٣٢١ قبل الميلاد وربما كان كافافيس ــ على حد ما ورد فى ترجمة مارجريت أورسنر وقسطنطين ديماراس من تعليقات ص ٢٤٦ ــ قــد قصــد بحديثــه عــلى وجــه الخصــوص بطليموس الثانى « فيلادلفوس » أى المحب لأخيه وقد كان راعية الفنــون والآداب ، وحــكم بالاسكندرية فى الفتــرة من ٢٨٥ الى ٢٤٧ ق.م .

والبطالسة أو البطالمــة ملوك مصر الهلينيستية ذوو الاصل المقدونى ، وقد أرسى حكم هذه الأسرة بطليموس الأول «سوتيروس» أى المخلص ، وذلك لأنه كان قد خلص أهل رودس من الطاغيــة ديمتريوس بوليورخيتيس ، فمنحه أهل الجــزيرة هذا اللقب الذى صار يعرف به .

وقد كان بطليموس هذا ابنا للاجوس ، وهو الملك المقدوني ، وارسينوى احدى سيدات بلاط الملك فيليب الثاني . وقد التحق بطليموس ضابطا بجيش الاسكندر الأكبر ، وبرز فى المعارك التى خاضها تحت قيادته ، وعند موته حصل على حكم مصر (٣٢٣ق.م) وقد اشترك فى حروب خلفاء الاسكندر ، ولكنه احتفظ على الدوام بحكم مصر ، التيجعلها مملكة له ولأولاده من بعده ، وجعل من الاسكندرية عاصمة ، ودعا اليها العلماء والشعراء من العالم الهليني كله ، بعد أن كان قد أنشأ فيها « المكتبة » و « المتحف » وقد أشرك فى الحكم معه ابنه المفضل لديه « فيلاديلفوس » ، أى « المحب لاخوته » . ومات بعد سنتين من ذلك .وقد واصل بطليموس الثانى جهود أبيه فى الداخل . وبالنسبة لسياسته الخارجية أبرم معاهدة مع الرومان مكرسا وقته كله للشئون الداخلية فارتقى بمصر الى مستوى عال من الرخاء حيث أسس عديدا من المدن على غرار الاسكندرية . وقد خلفه فى الملك بطليموس الثالث الملقب افيرغيس أى المحب للاحسان . (٢٤٦ — ٢٢٢ ق.م) وقد قاد حملة عسكرية الى الشرق ، وصل بها الى بابيلون ، وعاد منها باسلاب وغنائم كثيرة ، مما جعله يستحق لقب افيرغيتس أى المحب للاحسان . كما أبحرت سفنه فى البحر الأحمر ، واخضع لسلطانه جزءا من الحيشة كما ذاع صيته كراع للفنون والآداب والعلوم . وبعد موته بدأت مصر البطلمية طريقها الى الانحدار . وقد عرفت خليفته بطليموس الرابع بجرائمه وانحرافاته وانصرافه عن شئون الحكم تاركا مقاليد البلاد فى أيدى وزيره سوسيبيوس . ومع ذلك ، فقد أوقع بانطيوخوس الثالث

الكبير هزيمة فى رفح ، عام ٢١٧ ق.م واستولى على اقليم فلسطين كما سار على نهج سلفه فى رعاية الأدب والأدباء . اما بطليموس الخامس الملقب ابيفانيس أى الظاهر (٢٠٥ — ١٨١ ق.م) فكان يبلغ من العمر خمس سنوات عند وفاة أبيه ، فعمد ملوك مقدونية وسورية الى تجريده من اقاليم مملكته حتى تدخل لصالحه الرومان معززين حكمه ، فعاش فى نعمة بفضل حكمة وزيره اريستومينيس الذى أجبره الملك على الانتحار بشرب السم . على أن بطليموس الخامس نفسه مات بدوره مسموما بعد ذلك . ومن ذلك الحين عاشت مصر تحت السيطرة الرومانية ، الى أن خفضها أوغسطوس الى مجرد اقليم من أقاليم الامبراطورية الرومانية ، بعد أن كانت مصر ولاية تابعة للأمبراطور .

واذا كان بطليموس الأول قد أسس فى الاسكندرية ملك البطالسة ، فقد أسس قائد آخر من قواد الاسكندر الأكبر يدعى سليفكيوس ملك السلفكيين فى سوريا .

وآل سليفكيوس « سليوكس » أو « السيلوكيين » أسرة حكمت سوريا من ٣١ الى ٦٥ ق.م . وقد كان سلبفيكوس الأول الملقب بالمنتصر « نيكاتور » والمولود حوالى عام ٣٥٨ ق.م ضابطا فى جيش فيليب الثانى ثم الاسكندر الأكبر ، وقد برز فى ساحة المعركة بالهند . وعند موت الاسكندر عام ٣٢٣ ق.م . تتبع « بيرديكاس » الى مصر ، ولكنه انقلب عليه مع سائر العسكريين من خلفاء الاسكندر المتنازعين على أقاليم تركته بعد وفاته عام ٣٢١ . فعهد اليه بولاية بابليون التى انتزعها منه أول الأمر « انطيجونوس » ثم عاد فاستردها عام ٣١٢ ق.م . ومن هذا التاريخ يبدأ ملك سورية . وشرع بذلك سليفكيوس فى اعادة بناء

الامبراطورية الشرقية للاسكندر الأكبر . وبفضل نفوذ زوجته الفارسية « أباميا » استطاع أن يبسط نفوذه حتى بلاد الهند . وفى عام ٣٠٦ ق.م حصل رسميا على لقب « ملك » وقد كان لانتصاره فى افسوس عام ٣٠١ ق.م الفضل فى بسط نفوذه أيضا على جزء من آسيا الصغرى وأرسى سلطانه نهائيا على سوريا . وأرسى عاصمة ملكه فى انطاكية . وحوالى عام ٢٩٣ ق.م اشرك معه فى الحكم أنطيوخوس ابنه من أباميا . وفى عام ٢٨٦ ق.م وبعد خمس سنوات من انتصاره فى كوروبيذون على ليسيماخوس اغتيل عام ٢٨١ ق.م بيد بطليموس كيرافنوس (الصاعقة) ابن بطليموس الأول الذى كان قد أخذه فى حمايته . وبعد سليفكيوس الأول لم يرق عرش السلفكيين (السلوقيين) ملك ذو بال سوى انطيوخوس الثالث . وقد خلف سليفكيوس الأول ابنه انطيوخوس الأول (سوتيروس) أى المخص (٣٢٤ — ٢٦١ ق.م) وقد كان ملكا صغيرا عرف بولائه الشديد لحماته ستراتونيكى (انظر القصيدة ٥٠) . وقد خلفه على العرش ابنه انطيوخوس الثانى (٢٦١ — ٢٤٦ ق.م) الذى تزوج ابنة بطليموس فيلادلفوس ، وقد خلف ابنين ، ظلا يتنازعان الحكم الى أن اكتسح مملكتهما بطليموس افيرغيتيس المحب للخير ، واستولى على انطاكية بلا مقاومة ، لكنه اضطر الى الانسحاب حيث دعته الى ذلك بعض المشاكل الداخلية فى مصر . وقد خلف سلفيكوس بن انطيوخوس الثانى على عرش سورية سلفيكوس الثالث (٢٢٦ — ٢٢٣ ق.م) الذى اغتيل بيد بعض ضباط جيشه ، فخلفه فى الحكم انطيوخوس الثالث ، الملقب بانطيوخوس الكبير (٢٢٣ — ١٨٧ ق.م) وقد بدأ باخماد ثورات التمرد التى كانت قد شبت فى بعض ولاياته .

على أنه فى عام ٢١٧ ق.م هزمه بطليموس الرابع عند رفح واضطره ذلك الى التنازل عن أرض فلسطين . وفى الفترة من ٢١٢ الى ٢٠٤ ق.م قاد حملات عسكرية الى الشرق ، مما جعله يرسخ أركان مملكته حتى تخوم الهند . ثم ما لبث أن عاود الحرب ضد ملوك مصر ، واسترد منهم فلسطين وتوجه غربا فوصل الى ثراكى . وفى عام ١٩٨ ق.م بلغ أوج سلطته . وفى عام ١٩٢ ق.م سارت جيوشه متوغلة فى أرض اليونان الا أنه اصطدم هناك بالرومان الذين ردوه على أعقابه ، وفرضوا عليه الجزية . واتجه الى بلاد الفرس من أجل اقامة معبد هناك ، فهلك فى الطريق . وقد خلفه فى العرش ابنه سليفكيوس الرابع « فيلوباتور » أى « المحب لأبيه » (١٨٧ـ١٧٥ ق.م) الذى ما لبث ان اغتيل على يدى أحد وزرائه ، فحل محله أخوه انطيوخوس الرابع ابيفانيس (١٧٥ ـ ٢٦٤ ق.م) وقد تمكن من غزو مصر ، وكان على وشك الاستيلاء على عاصمة الملك وهى الاسكندرية ، لولا أن تصدى له الرومان .

وقد عرف انطيوخوس الرابع بحروبه ضد اليهود تحت قيادة آل مكافيوس الذين تحرروا من سلطان السليفكيين . ومثل ابيه فقد حياته وهو فى طريقه الى بناء المعبد الذى أراد أبوه من قبله بناءه . وقد تتابع بعد ذلك على عرش آل سليفكيوس على مدى مائتى عام ملكان حملا اسم سليفكيوس ، وملكان حملا اسم ديمتريوس ، وتسع ملوك حملوا اسم انطيوخوس . وكان آخرهم انطيوخوس الثالث عشر الملقب بالأسيوى . وقد نصبه على عرش سورية الامبراطور الرومانى لاكولوس ولكنه أقصى عن العرش بأمر بومبى أو بومبيوس ، الذى ضم سورية الى الامبراطورية الرومانية، جاعلا منها

مجرد ولاية من ولايات تلك الامبراطرية وليست مملكة مستقلة .

٣٢ — جاء فى الأصل المترجم « لا تخش الليستريجونات والسيكلوبات ولابوسيدون الغاضب » وقد آثرنا أن تأتى ترجمتنا العربية متخففة من ذكر « الليستريجونات » و « السيكلوبات » وهى فى حقيقتها غيلان ومردة ورد ذكرها فى الأساطير الاغريقية . كما ورد فى النص المترجم « أسواق فينيقية » وترجمناها « أسواق سورية » ذلك أن فينيقية هذه هى أرض الشام وسورية .

وبوسيدون فى الميثولوجيا اليونانية القديمة اله البحر ، يخشاه البحارة ، ويسعون الى اتقاء غضبه . وهو يسكن أعماق البحار ، ويطلق العواصف والأعاصير ، فتعلو الأمواج وتتلاطم . فتغرق السفن ويهلك من عليها .

وقد كان بوسيذون هو الاله الوحيد الذى لم يتورع عن الاتصال بالميديوزا ، التى كانت جدائل شعرها ثعابين متلوية ، وأنيابها طويلة جارحة ، ونظراتها تحيل من يقع بصره عليها الى حجر . وقد أنجبت ميديوزا من بوسيدون بناتا لا تقل عنها دمامة ، واثارة للذعر ، هى السيكلوبات اللاتى يوقعن الرعب فى القلوب ، ويفترسن البحارة .

اما الليستريجونات ، فكانت مردة عمالقة من أكلة لحوم البشر . وقد هاجمت أوديسيوس ورفاقه عندما رست سفنهم باحد الموانىء الايطالية ، والقت عليهم الحجارة الضخمة ، وخربت

سفنهم . وان كان ملك ايثاكا أوديسيوس قد استطاع أن ينجو منهم فى رحلة العودة الى جزيرته الا أن عددا كبيرا من ملاحيه وقعوا فى أيدى الليستريجونات فافترستهم ، ولقوا حتفهم على أيديها .

٣٣ ـ كان هيروديس اتيكوس (١٠٣ ـ ١٧٩ أو ١٠١ ـ ١٧٧ ميلادية) رومانيا من أثرياء اثينا . وكان راعيا للفنون . ولعل واحدا من أفضل الأبنية التى شيدها فى أثينا هو «الأوذيون» ولازال مستخدما لاحياء حفلات الموسيقى وتقديم العروض المسرحية . وهذه القصيدة هى الاشارة الوحيدة لاثينا فى مجموع أعمال كافافيس الناضجة . وقد استقى كافافيس واقعة كرم ضيافة هيروذيس اتيكوس الحكيم النابه فى القرن الثانى الميلادى لغريمه اسكندر السليفكى ـ استقاها من كتاب « حياة الحكماء » لفيلوستراتوس اما تعليقات التلاميذ على نجاح هيروذيس فهى كافافية تماما .

٣٤ ـ المشهد والشخصيات متخيلة . والمتحدث هو ملك شرقى من الأصاغر ، يفترض انه كان يسود فى القرن الأخير قبل الميلاد فى منطقة جبال زاغروس ، فى غرب ايران . وهو فى القصيدة يعطى تعلماته الى سيثاسبيس ، والاغلب انه من ناقلى الرسائل ، بشأن اقامة نصب تذكارى له أو سك عملة لدويلته . و « ايفراطا » مدينة فارسية ، يبدو انها كانت فى الشمال الغربى من آسيا الوسطى على مقربة من بحيرة « فان » . وقد اتخذت مقرا شتويا للملكة . (انظر أيضا ٥٠) .

٣٥ ـ هذه الرواية عن تتويج أبناء كليوباترا مأخوذة مع شىء

من التعديل عن « حياة انطونيوس » لبلوتارخوس ، وكان « ملك الملوك » هو اللقب الذى أسبغه انطونيوس على قيصرون عام ٣٤ قبل الميلاد . (انظر ايضا مسرحية انطونى وكليوباترا لشكسبير) ونقلا عن بلوتارخوس ، نصب قيصرون الذى كان ابنا ليوليوس قيصر مع امه كليوباترا ملكا على مصر ، ومنح أخواه الآخران ، اسكندر وبطليموس (المحب لأخيه) ممالك عدة ذكرها كافافيس فى قصيدته . وكان من ابتداع مخيلة كافافيس ما أضفاه على قيصرون من وسامة ، وأيضا تلك التفاصيل فى ملبسه ، مثل باقة زهر الياكانثوس والاشرطة ، والماسات الوردية .

أما بلوتارخوس فقد اقتصر على ذكر أن الاسكندر الصغير كان يرتدى لهذه المناسبة حلة فارسية ، ايماء الى احدى ممالكه الجديدة . اما بطليموس الصغير ، فكان يرتدى زى قائد عسكرى مقدونى . والطريف فى الأمر أن الرومان — وليس أهل الاسكندرية كما تقول القصيدة — هم الذين ارتأوا فى كل ذلك مجرد مشهد فى مسرحية .

٤١ — من الجدير بالذكر أن كافافيس كان قد كتب فى عام ١٩٠٣ قصيدة بعنوان « زهور صناعية » . وقد ظلت هذه القصيدة غير منشورة رغم أن موضوعها شبيه بموضوع القصيدة الحالية ، لكنها على أى حال لا يمكن أن تعتبر صياغة باكرة لهذه القصيدة .

٤٢ — ليسياس اللغوى أو فقيه اللغة شخص متخيل . وقد نشر كافافيس بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ خمس قصائد عن أضرحة هى « قبر ليسبياس » (٤٢) و « ضريح أفريونوس » (٤٤) و « قبر يلسيس » (٦٣) و « قبر اغفاتوس » (٦٨)

و « قبر لا نيس » (٧٦) .. وفيما بعد ، وعلى الأخص خــلال عام ١٩٢٨ نشر كافافيس قصائد فى هذا الاتجاه ذاته . ومن هذه القصــائد قصــيدة « كيمــون بن ليارخــوس » (١٢٨) التى كانت فى أول الأمر تحمل عنوان « قبر ماركوس » .

٤٣ ــ راجع التعليق على القصيدة (٥٣) .

٤٤ ــ كل الشخصيات المنوه عنها فى هذه القصيدة متخيلة . وينحدر افريونوس الوسيم عن أب اغريقى ، وعن أم يهوديــة ، وكان يدرس فى طيبة الأدب الدينى لمصر القديمة . ومن ثم تلاقت عند هذه الشخصية ثقافات ثلاثة .

٤٦ ــ كان الرقيق المعتق وعالم الخطابة ثيذوتوس عميــلا البطالمة من جزيرة خيوس . وقد حرض المصريين على قتل ومبيوس أو بومبى (٢٨ سبتمبر ٤٨ ق.م) وذلك عندما جاء هذا الاخير للاقامة بمصر كلاجىء بعد هزيمته من يوليوس قيصر فى فارسالوس (انظر ٢٥) . ولكن ثمة شواهد مؤكدة على أن ثيوذوتوس هو الذى جلب رأس بومبيوس الى يوليوس قيصر . (حياة يوليوس قيصر لبلوتارخوس) .

وفى النصف الأول من القصيدة ، كما فى قصيدة «الخامس عشر من مارس » يتحدث الشاعر عن قيصر رمزى . وليس بلازم أن يكون محددا فى التاريخ والمكان . أما فى النصف الثانى من القصيدة، فان كافافيس يوجه خطابه الى اى شخص يستمع اليه .

٤٧ ــ تحمل القصيدة كعبارة تمهيديــة سطورا ثلاثــة من

« حياة أبولونيوس التيانى » لفيلسوستراتوس . ثم فى بداية القصيدة يقدم كافافيس ترجمة غير حرفية لها .

٥٠ — كان أورفيرنيس ابناء مزعوما للملك ارياراثيس الرابع ملك كابوذوكيا وكانت أمه ابنة الملك انتيوخوس الثالث الكبير (انظر « معركة مغنيسيا » ٥٤) وكانت جدته ستراتونيكى ابنة انتيوخوس الثانى ملك سوريا . وقد أولاه ديمتريوس ملك سوريا حمايته (انظر « أوجه استياء الملك السورى » ٥٦) و « ديمتريوس سوتيروس » ٨٩) وساعده على ارتقاء عرش كابوذوكيا لفترة قصيرة حوالى عام ١٥٧ ق.م . ولكن أورفيرنيس انقلب بعد ذلك على حاميه وولى نعمته ، وحاول أن يسلب العرش منه .

ويقول مافروكورذاتوس أحد مترجمى ديوان كافافيس الى الانجليزية انه عثر فى كتاب المؤرخ البريطانى ادوين بيفان عن « أسرة سليفكيوس » (طبعة ١٩٠٢) على لوحة تصور عملة اغريقية قديمة نقش عليها رأس أورفيرنيس . كما أشار المؤرخ البريطانى الى أورفيرنيس فى كتابه (ص ١٥٧ ومن ص ٢٠٥ الى ٢٠٩) وليس ثمة شك كبير لدى مافروكورذاتوس فى ان ما ورد فى مؤلف بيفان عن أورفيرنيس كان مصدر الهام كافافيس عندما كتب قصيدته .

٥٤ — كان فيليب الخامس ملك مقدونية قد هزم عام ١٩٧ ق.م من الرومان فى معركة كينوسكيفاليا دون أن يهرع انتيوخوس الثالث ملك سوريا الى نجدته . وبعد هذه الهزيمة بسبع سنوات هزم « انطيوخوس ملك سوريا من الرومان فى معركة

مغنيسيا ، مما أرسى السيادة الرومانية على الشرق الهليني (انظر قصيدة « صانع الآنية » ١٠١) .

ولم يغتفر الملك فيليب المقدونى منذ معركة الهزيمة الأولى للسوريين انهم لم يهرعوا لنصرته والوقوف الى جانبه ساعة الخطر .

واذا كان فيليب قد اعتبر فى حديثه السوريين والمقيدونيين أبناء جنس واحد ، فذلك لأن الأمراء السوريين ، مثل فيليب نفسه ، ينحدرون عن القواد المقيدونيين الذين رافقوا الاسكندر الأكبر فى حملته الى الشرق والتى وصل فيها الى مشارف الهند .

٥٥ ــ عمانويل كومنينوس امبراطور بيزنطى (١١٢٠ ــ ١١٨٠ ميلادية) كانت له طباع الفرسان الاشداء ، لكنه كان أيضا يؤمن بالخرافات ، وكان شغوفا بالأسفار وبالحسان . وقد تزوج مرتين من أميرتين من الفرنجة الأولى ألمانية والثانية فرنسية . وراح يتشبه بالأمراء الغربيين ، الذين دخل معهم فى احلاف تارة وناصبهم العداء تارة أخرى . وقد انتهى الأمر به الى هزيمة نكراء على أيدى الأتراك عام ١١٧ فى معركة ميريوكيفالون بآسيا الصغرى، وقد بدا فى هذه المعركة أدنى بكثير مما كانت تمليه عليه واجبات الامارة . وقد وقع فى نهاية حياته فريسة للمنجمين وقراء الطوالع . وعلى فراش موته أوعز اليه رجال الدين أن يرتدى حلة من حلل الرهبان ، هو ما كان شائع الحدوث فى بيزنطة . وقد استقى كافافيس رواية ممات كومنينوس مما كتبه المؤرخ اليونانى نيكيتاس عن هذا الامبراطور البيزنطى فى مطوله التاريخى . وقد تفرد هذا المؤلف بالحديث عن السنوات الأخيرة لحكم هذا الامبراطور الذى توفى فى العشرين من سبتمبر ١١٨٠ .

٥٦ ـــ هذا الملك السورى هو ديمتريوس الاول ، وهو واحد من الملوك المتأخرين من أسرة سليفكيذيس (سليوكوس) وكان قد نفي فى العشرين من عمره الى روما . وفى عام ١٦٤ ق.م جاء الى روما ابن عمه بطليموس المحب لأمه ، ساعيا لدى مجلس الشيوخ أن يعينه على أخيه بطليموس المحب للاحسان الذى كان قد أقصاه عن عرش مصر . (انظر أيضا ٥٠ و ٨٠ و ٨٩ و ١٤٩) .

٥٩ ـــ المتحدث فى القصيدة شخصية متخيلة . اما انديميون فيروى عنه انه كان اكثر البشر وسامة . وقـد وقعت سـلينى (أى القمر) فى غرامه ، وطلبت من زيوس كبير الآلهة أن يبقية نائما الى الأبد ، حتى تستطيع أن تزوره كل ليلة . وعلى جبل لاتموس قرب ميليتوس بأسيا الوسطى عثر عى قبر منسوب اليه .

٦١ ـــ المشهد وريمون متخيلان . وقد كانت اسروين مملكة قائمة فيما بين النهرين أى فى العراق . وكان خارميذيس قريبـا لافلاطون ، وقتل فى صراع سياسى . وقـد خـلده الفيلسوف فى محاورة تحمل اسمه ، حيث نجـد سقراط ، تحت تأثير مقتـل خارميذيس الباكر ، وشبابه الذى ضاع هدرا ، ومن أجل المبادىء السياسية التى كان يعتنقها ، يحاول أن يعرف الحكمة بأنها معرفة كل من الخير والشر معا .

٦٢ ـــ المشهد يجرى فى واحـدة من المدن الاغريقيـة التى اطلق عليها اسم سليفكيا على نهر دجلة . وقد شيدت عام ٣١٢ قبل الميـلاد بواسطة سليفكيوس الأول الملقب بالمنتصر الذى اتخذها عاصمة لملكته .

٦٣ ـــ ياسيس شخصية متخيلة .

٦٦ — كل من أمونيس المصرى وروناثيل القبطى ، شخصية متخيلة .

٦٧ — فى التقويم المصرى القديم يعتبر شهر هاتور شهر آلهة القبور والتعلق بالجسد . وهو يقابل شهر نوفمبر فى التقويم الميلادى الحالى ، فهو الشهر الحادى عشر فى السنة الفرعونية (وربما القبطية من بعدها) .

ويعتبر متخيلا ما ورد فى القصيدة من أثر يفض نقوشه ، وأيضا ليفكيوس شخصية متخيلة .

٦٨ — كليون اجناتوس أو اغناطيوس شخصية متخيلة . أما تغيير اسمه عند دخوله المسيحية ، فهو تقليد متبع لدى الرهبان .

٧٠ — نشر كافافيس خمس قصائد بعنوان « أيام ... » هى أيام ١٨٩٦ (١٣٣) وأيام ١٩٠١ (١٣١) وأيام ١٩٠٣ (٧٠) وأيام ١٩٠٨ (١٥٣) وأيام ١٩٠٩ و ١٠ و ١١ (١٤٠) .

٧٣ — كان قيصرون أو قيصر الصغير أو بطليموس السادس عشر ابنا ليوليوس قيصر وكيلوباترا . وقد أضفى عليه انطونيوس عام ٣٤ ق.م لقب « ملك الملوك » (انظر « ملوك الاسكندرية » ٣٥) وبعد هزيمة انطونيوس (انظر « عندما تخلت الآلهة عن انطونيوس » ٢٦ و « الاسكندرية : ٣١ ق.م — ١١٣ » وغيرها من القصائد) أمر الامبراطور أوغسطس (جايوس يوليوس قيصر أوكتافيانوس) بقتل قيصرون بناء على مشورة من فناصله بأنه ليس

من حسن السياسة أن يكون هناك أكثر من قيصر على قيد الحياة .
وكذلك فقد جرت نهاية النص المترجم بالآتى : لازلت أملا أن يشفق عليك ، الاشــقياء الذين كانوا يتهامسون « أكثر من قيصر » وقد أجرينا فى الترجمة بعض التعديل لتجاوز هذه الخصوصية التاريخية المحــدودة .

٧٦ ــ كل الشخصيات فى القصيدة متخيلة . ولانيس اسم يونــانى ، ورامبتوخوس اسم مصرى ، وماركوس رومــانى . وياكانثوس شخصية ميثلوجية ثانوية الأهميــة ، وهو فتى من بنى البشر أحبه أبوللو وقتله زفير الغيور . ومن تدفق دمه نبتت الزهرة التى تحمل اسم ياكانثوس أو « ياسينت » .

٧٧ ــ فى ربيع عام ٦٨ بعد الميلاد ، دعى جالبا ، الذى كان حاكما رومانيا على أسبانيا ، من قبل الجيش الى أن يحل محــل نيرون (انظر « وقع الاقدام » ١٣) الذى سرعــان ما انتحــر بعد ذلك بوقت قصــير . وكان نيرون قد زار آخايا (باليونــان) واستشار العراف هناك سنة قبل ذلك . (انظر « حياة نيرون » لسيوتوس) .

٨٢ ــ يشير الناقد اليونانى تيموس مالانوس بالنسبة لهذه القصيدة الى مؤلف رينان « تاريخ بنى اسرائيل » ــ المجلد الخامس ــ الفصل الخامس .

وقد نصب هيرودس الأكبر على غير ارادته اريستوفولوس شقيق زوجته ماريامنى كبيرا للكهنة ، ولم يكن قد بلغ من العمــر

آنذاك سبعة عشر عاما ، ولكن بعد بضعة شهور من ذلك وفى عام ٣٥ ق.م على وجه التحديد دبر له أن يموت غرقا فى بركة للسباحة ، وان كان قد بدا الأمر قضاء وقدرا .

وقد كانت كيروس أم هيرودس ، وسالومى أخته . وكانت اليكسندرا حماة هيرودس ، وأم زوجته ميريامنى واخيها اريستوفولوس . وكانت على علاقات طيبة بكيلوباترا ملكة مصر ، كما حاولت أن تثير اهتمام انطونيوس بابنها وابنتها اللذين كانا على قدر غير عادى من الجمال .

ولهذا فمن أجل القضاء على تطلعات أسرة الاسامونيين (أى المكابيين) فى عرش اليهودية (انظر « اليكساندروس واليكسندرا » ١٤٥) دبرت مؤامرة اغتيال اريستوفولوس بتحريض من كيروس وسالومى .

٨٤ ــ هذه القصيدة ، مثل عدد من قصائد كافافيس الأخرى ، تبدو وكأن الشاعر قد استعرض فيها حياة شخصيته بكل تفاصيلها وظروفها التاريخية . ثم أجرى تلخيصا مبدعا لتلك الحياة وتلك الظروف فى بضعة سطور ركز فيها مصير الشخصية كله . وعلى ذلك فان ايميليانوس مونائى ، مثل ايمينوس (٨٧) وأيضا ياسونوس بن كليانذروس شاعر كوماجينى (١٠٢) يبدو كما لو انه خاتمة مطاف لقصيدة طويلة اما أن كافافيس قد كتبها أول الامر مطولة ثم عمد فى صياغة اخيرة الى ذلك الايجاز الذى بدت عليه ، واما ان كافافيس لم يكتب كل تلك التفاصيل قط ، وانما

فكر وعاش فيها فحسب وعندما جلس يكتب قصيدته أودعها العصارة واللب .

٨٥ — يانثيس بن انطونيوس شخصية متخيلة . وعلى الرغم من أنه يهودى فانه يحمل اسما يونانيا . كما يحمل أبوه اسما رومانيا . فهو اذن يهودى متأغرق يعيش فى العصر الرومانى . وتضع القصيدة بطلها هذا ، حسب التاريخ الوارد فى العنوان ، فى أعقاب الاضطرابات التى كانت قد نشبت ضد اليهود تحت حكم جايوس كاليجولا ثم حكم كلوديوس الذى أعاد امتيازات اليهود السكندريين ، رغم انه لم يمنحهم حقوقا مساوية لتلك التى كان يتمتع بها اليونانيون .

٨٧ — ايمينوس شخصية خيالية ، جعله الشاعر يعيش تحت حكم الامبراطور البيزنطى ميخائيل الثالث الملقب « بالسكير » (٨٤٢ — ٨٦٧ ميلادية) وقد اغتيل عام ٩٦٧ بيد صفية وخليفته المنتظر فاسيليوس المقدونى . وقد تخيل كافافيس بطله ايمينوس هذا يعيش فى صقلية أثناء السنين الأخيرة للاحتلال البيزنطى لهذه الجزيرة .

٨٩ — ديمتريوس سوتيروس أى المخلص هو حفيد الملك انطيوخوس الثالث الكبير ، الذى هزمه الرومان فى مغنيسيا عام ١٩٠ ق.م (انظر « معركة مغنسيا » ٥٤ و « صانع الآنية » ١٠١) وابن الملك سليفكيوس الرابع ، الملقب « فيلوباتور » أى « المحب لأبيه » وقد أمضى ديمترويوس سنى شبابه فى روما (انظر « أوجه استياء الملك السورى » ٥٦) حيث أرسل اليها فى

لطفولته كرهينة ، بينما كان عرش سوريا مغتصبا من قبل عمه انطيوخوس الرابع الملقب ابيفانيس المبرز ثم من قبل ابن عمه انطيوخوس الخامس . وفى عام ١٦٢ ق.م هرب ديمتريوس من ايطاليا وكان فى الثالثة والعشرين من عمره ، واسترد عرشه ، منتزعا من الرومان الاعتراف بحكومته . وأمضى اثنى عشر عاما يحارب من أجل استعادة وحدة وتماسك سورية تحت زعامته ، وقد جعلته كفاءته مرهوبا من جيرانه ومثار الاشتباه فى نواياه من قبل روما . وقد صنع لنفسه أعداء عديدين حتى من بين الذين بسط عليهم حمايته (انظر « أورفيرنيس » ٥٠) وقد أفضى ذلك الى أن صار متوترا حاد الطبع ، وانكب على الشراب . وفى عام ١٥٠ ق.م لقى الهزيمة ، وقتل على يدى أحد مدعى الملك ، هو المغامر الأفاق اسكندر فالا (انظر « صفى اليكساندروس فالا » ٩٧) متواطئا مع هيراكليديس الوالى السابق لبابيلون (انظر « صانع الآنية » ١٠١) واتالوس الثانى من بيرغاموس ، وبطليموس السادس فيلوميتور (المحب لأمه) (انظر « أوجه استياء الملك السورى » ٥٦ و « رسل من الاسكندرية » ٨٠) (وراجع مؤلف المؤرخ البريطانى بيفان عن « أسرة سليفكيوس » المجلد الثانى) .

ويقع الجزء الأول من مونولوج كافافيس قرب نهاية سنوات النفى . ثم يمضى فى قصيدته ، فيعكس الاحساس المرير بالاحباط الذى يفترض الشاعر انه استبد بديمتريوس قبيل وفاته .

وقد أجرينا تحويرا بسيطا فى الترجمة عندما قلنا ... « هى

ليست سوى وطن للأفاقين اللئام ، بينما النص الأصلى يجــرى بالآتى « هى ليست سوى وطن لهيراكليدس وفالا » .

٩١ ــ عنوان القصيدة مقتبس من « حياة أبولونيوس التيانى » أو « الطيانى » وهى سيرة كتبها فيلوستراتوس عام ٢٠٠ ميلادية . وقد ولد ابولونيوس أربــع سنوات قبــل المسيح فى تيانا (انظر « مثال تيانى ١٩) وبعد أن درس الفلسفة اليونانيــة ، اختار حياة الزهد التى أوصى بها فيثاغوراس الفيلسوف اليونانى ، ثم قام بعدة رحلات الى الشرق امتدت الى الهند ، وأصبح معروفــا بقدراته الخارقة . وقد أمضى السنوات الأخيرة من حيــاته فى افيسوس . رغم ان احدى الروايات تقول انه تبخــر واختفى عن العيان عند معبد الالهة اثينا فى ليندوس بجــزيرة رودس . وفى رواية أخرى يقال انه صار أثرا بعد عين عند معبد الالهة ذيكتينا ، وهى احدى الآلهات المينوتية فى كريت .

وقد روى فيلوستراتوس المولود فى ليمنوس حوالى عــام ١٧٢ ميلادية عن كثير من خوارق أبولونيوس . ويقول فى مؤلفه الذى كتبه بتكليف من جوليا رومنا زوجة الامبراطر الرومانى سيفيريوس انه اعتمد فى معلوماته عن أبولونيوس التيانى على مذكرات تلميذ أشورى من تلامذته اسمه ذاميس ، وقد استقى كافافيس قصيدته الحاليــة من كتابات فيلوستراتوس الذى راح يرصــد الروايات المختلفة عن وفاة أبولونيوس التيانى ــ وقد اختار كافافيس زمنا لقصيدته أيام حكم الامبراطور يوستينوس بين عامى ٥١٨ و ٥٢٧ ميلادية ، اى فى عهد التعصب الشديد للمسيحية . وقد اقتصرت

الصياغة الأولى للقصيدة على جزئها الأول فحسب . ثم جاء الجزء الثانى من القصيدة ليعزو هذا المنولوج الى واحد من اهل الاسكندرية لم يعتنق المسيحية عن ايمان بها ، وكان يعيش فى عهد الامبراطور يوستينوس الأول (٥١٨ ــ ٥٢٧) . وقد استخدم كافافيس نص فيلوستراتوس المذكور فى قصيدتين أخريين هما ٤٧ و ١١٩ .

ويشير نيماراس وارسنر فى تعليقهما على هذه القصيدة فى ترجمتهما الفرنسية لقصائد كافافيس (ص ٢٥٢) الى أن جوستاف فلوبير الروائى الفرنسى فى روايته « اغراء القديس انطوان » قد استوحى من ذاميس رفيق أبولونيوس التيانى صورة رمزية لما يجب أن يكون عليه التلميذ .

٩٢ ــ كانت أناه كومنينوس (١٠٨٣ ــ ١١٤٦) الابنة الكبرى للامبراطور البيزنطى اليكسيوس كومنينوس (انظر ١٢٩) وقد حاولت عبثا أن تنتزع ولاية العرش من أخيها لحساب زوجها نيكيفوروس فرينيوس الذى حرمتها وفاته عام ١١٣٧ من كل أمل دنيوى ، فاعتزلت العالم منسحبة الى الدير .

ولما كانت هذه الأميرة صاحبة قلم ، فقد كرست سنوات حياتها الأخيرة للأدب ، وكتبت « الالكسيادة » وهى سيرة أبيها التى استعار كافافيس بعض عباراتها فى قصيدته .

وقد نقلت الكلمتان « السفيه » و « الوقح » الواردتان فى نهاية القصيدة عن المؤرخ البيزنطى نيكيتاس خونياتيس الذى يقول ان الابن الأكبر يانيس كان المفضل عند أبيه ، بينما كانت أناه هى

المفضلة عند الأم التى اتهمت ابنها بعيوب كثيرة منها السفاهة والقحة .

٩٤ ـ سيذونوس مدينة غنية من المدن الاغريقية التى كانت واقعة على الساحل الفينيقى .. الشخصيات والمشهد فى القصيدة من وحى الخيال . على أن التاريخ الوارد فى العنوان يستأهل التوقف عنده مليا . فهو ذات التاريخ الذى ورد فى قصيدتى « مسرح سيذونوس ٤٠٠ ميلادية » (١٠٩) و « تيميثوس الانطاكى ٤٠٠ ميلادية » (١١٨) وربما كان فى هذا التاريخ ما يومىء الى اقتراب غروب النفوذ الهلينى عن بلاد آسيا (فى انتظار البرابرة ١٦) . وقد كان ميلياجير (١٠٠ ق٠م) وكريناغوراس (٧٠ ق٠م) وريانوس (٢٧٥ ق٠م) من أصاغر شعراء الهلينية . ويفترض أن العبارات التى أنشدها الممثل كانت قد كتبت بمعرفة ايسخيلوس (٥٢٥ ـ ٤٥٦ ق٠م) كنص يوضع على شاهد قبره بعد وفاته . وتجرى عبارات هذا النص المنسوب الى اسخيلوس بالآتى : « فى هذا القبر يرقد اسخيلوس ، ابن افوريون ، مواطن اثينى مات فى صقلية . وتعرفه أحراش الماراثون حق المعرفة ، كما يعرفه الميديون طوال الشعور (الفرس) الذين عاينوا بأسه » وقد كان ذاتيس وأرتافيرنيس على رأس الحملة التأديبية التى شنها الفرس على أرض اليونان وباءت بهزيمتهم فى معركة الماراثون (٤٩٠ ق٠م) حيث دحر اليونانيون ، ومن ضمنهم اسخيلوس ، جيوش الغزاة .

وقد كان اسخيلوس الشاعر التراجيدى المفضل لدى كفافيس وان كان ذلك لا يبدو كثيرا فى أعمال كفافيس المنشورة حال

حياته . وعلى أى حال ، فقد كتب كافافيس بعض القصائد المستوحاة مباشرة من أسخيلوس . وان ظلت هذه القصائد غير منشورة ، ووجدت بين أوراقه بعد مماته ، وهــذه القصــائد المستوحاة من اسخيلوس هى قصيدة « قسم اثينا » (١٨٩٤) و « المعركــة البحرية » (١٨٩٩) و « عندما رأى الحارس بارقــة الضــوء » (١٩٠٠) ، وقد ترجم ادموند كيلى وفيليب شيرار هذه القصيدة الأخيرة وضمناها مجموعتهما لقصائد كافافيس المترجمة الى الانجليزية، والتى نشرتها دار النشر اللندية (هوجارث بريس) عام ١٩٨٣ .

وقد وجدت مرثية اسخيلوس لنفسه ضمن أوراق مشكوك فى نسبتها اليه . وانه لمثار جدل كبير ما اذا كانت هذه المرثيــة منسوبة الى اسخيلوس أو انه كتبها بنفسه لنفسه . وهذا الجدل حول نسبتها الى ايسخيلوس أمر على جانب من الأهمية ، لأن هذه المرثية لا تقول شيئا عن تراجيدياته الشعريــة ، وتقتصر عــلى تسجيل واقعة انه حارب الفرس فى معــركة المــاراثون ، حيث هزمت جيوش الفرس تحت قيــادة ذاتيس وارتافيرنيس عــام ٤٩٠ ق.م . على ان هذا الاغفال قد يعنى فى نظر البعض مبلغ اعلاء الاغريق للوطنية على اى اعتبار آخر ، حتى على أعمــال الشعر التى خلد اسم اسخيــلوس بفضــلها ، وليس بفضــل اشتراكه فى معركة المــارثون . أما الشــاب الغيور على الأدب فى قصيدة كافافيس فيعتبر هذا الاغفال من قبل الممثل الذى جــاء الى سيذونوس منشدا روائع الاشعار « تخاذلا » ليس من قبــل ايسخيلوس فحسب ، بل ومن الممثل ذاته ، وغير مقبول منــه

أن يرضى — وهو الفنان الذى جاء ينشد قصائد من عيون الشعر — بترديد هذا النص الذى لا يغتفر .

وقد حلا لكافافيس فى هذه القصيدة أن يقرب بين مرحلتين فى التاريخ اليونانى يفصل بينهما ما يقرب من تسعمائة عـــام ، فمن ناحية مرحلة انحروب مع الميديين (أى الفرس) ويشـــير اليها فى القصيدة بالعبارة التى أوصى اسخيلوس أو يفترض انه أوصى فيها بأن توضع بعد وفاته على قبره ، رغم انه يقتصر فيها على ذكر انـــه حارب فى صفوف الجند فى معركة ماراثون ، مغفلا عطـــاءه الأدبى بأسره . ومن ناحية أخرى ، هناك مرحـــلة تنتمى الى أخـــريات الامبراطورية البيزنطية ، وعلى وجه التحديد حـــوالى عام ٤٠٠ ميلادية ، أى مرحـــلة الانحدار . وفى هذه القصيدة نجد كافافيس يجعـــل شـــبانه اليونـــانيين أبنـــاء ســـيذونوس الذين عنـــوا بزينتهم أشـــد العناية ، وضمخوا أجسامهم بالعطور الفواحـــة ، يصـــغون بشغف يصـــل الى حـــد الوله الى أبيـــات ايسخيلوس . ولا يعنى كافافيس فى قصيدته هذه أن يبين عن حال الامبراطورية البيزنطية فى انحدارهـــا ، ولكن الذى تركز عليه القصـــيدة هو استمرارية الثقافة الاغريقيـــة ، أيا ما كانت الظروف والأوضاع الواقعية . ومثلما فى قصيدة « داريوس » (٩٥) فان الشىء الذى سوف يبقى ويدوم ليس الفتوحـــات والحروب بل أعمـــال الفن والشعر الكبيرة فهذه وحدها تطاول الزمن .

٩٥ — كل من المشهد وفيرنازيس (وهو اسم فارسى) من خيال الشاعر . والراجح أن المشهد يجرى عام ٧٤ ق.م ، فى عصر

الملك ميثريداتيس السادس (وهو الملك الذى اســتلفت اهتمام راسين الشاعر التراجيدى الفرنسى أيضا) وفى مدينة أميسوس ذات الموقع التجارى الهام بآسيا الصغرى عــلى ســاحل بونطوس (أى البحر الأسود) وقد سقطت هذه المدينة بعد ذلك فى أيدى الرومان عام ٧١ قبل الميلاد .

أما داريوس او دارا الأول(٥٢١ ــ ٤٨٦ق٠م) فهو واحد من اكبر ملوك الفرس . وذلك على الرغم من ان كتاب التاريخ الأوروبيين لا يعرفونه الا بهزيمته فى معركة ماراثون عام ٤٩٠ ق٠م عندما ارسل حملة عسكرية لغزو اليونان . ويحيط الغموض والريب بالظروف التى ارتقى فيها داريوس عرش الفرس .

اما ميثريداتيس السادس الملقب بالأب العطوف فهو ملك بونطوس الفارسى المتأغرق (١٢٠ ــ ٦٣ ق٠م) وقــد ارتقى العرش حوالى عام ١١٥ ق٠م مع أخيه ، الذى مالبث ميثريداتيس أن قتله ، وانفرد بالعرش . وقد وصفه شيشيرون الرومانى بانه أعظم الملوك بعد الاسكندر الأكبر . وأشد خصوم الجيش الرومانى بأسا . وقد لقى الهزيمة فى النهاية على يدى بومبيوس عام ٦٦ ق٠م ، وخلع عن العرش بواسطة ابنه فارناسيس الذى دفعه أيضا الى الانتحــار .

٩٦ ــ المتحدث فى هذه القصيدة شخصية من وحى الخيال ، ربما كان كافافيس قد استوحاها ، ولكن ليس بحــذافيرها ، من شخصية البيزنطى ميخائيل السابع الذى نحى عن مقامه الكنسى عام ١٠٧٨ من قبل نيكيفوروس الثالث فوتانياتيس الذى ما لبث

أن أسقط بدوره عن العرش عـــام ١٠٨١ بواســـطة اليكسيوس كومنينوس زوج الأميرة ذوكيانى . وقد كان الامبراطور نيكيفوروس فوتانياتيس يتخذ من ميخائيل السابع مستشارا له . ثم مضى هذا الأخير فأصبح من رجال بلاط الامبراطور اليكسيوس كومنينوس الذى كان استيلاؤه على الحكم بفضل زوجته الشابة ايرينى ذوكيانى ، التى ما لبث أن حاول التخلص منها بعد أن حقق مأربه فى الوصول الى العرش . ويبدو أن هذا النبيل البيزنطى الذى تتحدث عنـــه قصيدة كافافيس كان ممن حرضوا اليكسيوس كومنينوس عـــلى زوجتـــه ، ولكن أسرة ايرينى ذوكيـــانى بمالها من نفـــوذ أحبطت المؤامرة ، وبقيت ايرينى فى الحكم . وقد تعرض خصومها بعد ذلك لانتقامها . وكان من جراء ذلك أن أقصى ذلك النبيل عن البلاط ، بتهمة التورط فى الاشتراك مع أحد المحاسيب الجشعين فى رفع أسعار الدقيقوالتلاعب فىالميزان ، وذلك على حد قول المؤرخ جيبون الذى يضيف قائلا ان هذا النبيل رغم تدينه ودراسته للحكمة وانخراطه فى سلك الرهبنة تورط فى تلك المخالفة المشينة . وعـــرف لذلك بلقب « بارابيناكيوس » وفى هذا كناية عن اللوم الذى وجه اليه . وكان من جراء ذلك ان اقصى هذا النبيل عن البلاط ، ونفى الى حيث ما عاد له كى يقتل الوقت سوى أن يمارس تلك الهواية المفضلة لدى متأدبى بيزنطة ، ألا وهى نظم الأشـــعار تقليدا للشـــعراء القدامى .

٩٧ ــ يبدو أن البطل المجهول الذى يتحدث عن نفســـه فى القصيدة شخصية من وحى الخيال ، وكذلك الظروف التاريخية التى يتحرك فى اطارها . اما فالا ، ملك سوريا (١٥٠ ــ ١٤٥ ق.م)

فهو ذلك الأفاق المغامر المشار اليـــه فى قصيدة « عن ديمتريوس سوتيروس » (٨٩) .

وقد كان اليكسندروس فالا ابنا مزعوما لانطيوخوس ابيفانى ، استولى على عرش سوريا علم ١٥٠ قبل الميلاد ، بعد ان اقصى ديمتريوس سوتيروس عن الملك وقد كان فالا ماجنا فاسقا ، ولم تكن له أية موهبة سياسية ، فهو لم يكن سوى نهاز للفرص . وسرعان ما أسقط عن العرش واغتيل عام ١٤٥ ق.م . وليس بطل القصيدة سوى واحد من محاسيب فالا دون تحـــديد ، وقد كانوا كثيرين .

١٠٠ ــ ان ذكر بورفيريوس فى هذه القصيدة (وكان واحدا من أكبر الداعين للافلاطونيـــة الجديدة وتلميذا لافلوطين) يجعـــل كتابة البحث المشار اليه ، وهو فى الغالب بحث من وحى خيـــال الشاعر ، راجعا الى ما بـــين عامى ٣٠٥ و ٢٦٣ ق.م فى صقلية أو فى روما . اما الموقف الذى يعد بورفيريوس اطروحته عنه فهو موقف حدث فى بلاد الفرس حوالى عـــام ٤٨٠ ق.م . فقـــد كان ديماراتوس ملكا على اسبارطة من ٥١٠ الى ٤٩١ ق.م . ويشاركه فى الملك كليومينيس الأول ، الذى تواطأ مع ليتوخينيس للاطاحـــة بديماراتوس وقد حل محله فعلا فى الحكم ما أن تحقق ما تآمرا عليه . فقد توصلا الى رشوة عرافة ديلفى فأذاعت ان ديماراتوس لم يكن ابنا شرعيا للملك اريستون ، مما ألب عليه شعب اسبارطة ، فاضطر للفرار الى بلاد الفرس ، حيث استضافـــه ملكها داريوس الأول (انظر ٩٥) وأكرم وفادته وعينه فى بلاطه خبيرا فى الشئون

اليونانية . ومن ثم صاحب كسيركسيس فى حملته التأديبية الفاشلة على أهل اليونان ».

١٠١ ـ الواقعة موضوع القصيدة وبطلها من نسج الخيال . اما معركة مغنسيا أو معركة الهزيمة الثانية فهى حادثة تاريخية وقعت عام ١٩٠ ق.م (انظر القصيدتين ٥٤ و ٨٩) ولهذا فان زمن هذه القصيدة هو عام ١٧٥ ق.م عندما كان هيراكليديس أمينة على خزائن الملك انطيوخوس الرابع ابيفانيس (انظر القصيدتين ١٠٧ و ١١٨) .

ويشير الناقد اليونانى تيموس مالانوس ، أحد المتخصصين المبرزين فى شعر كافافيس ، الى أن العناية التى أولاها كافافيس لتاريخ القصيدة ، بنسبتها الى عام ١٧٥ ق.م هو أمر مقصود من جانب الشاعر للايماء الى لحظة فى بدايات حياة هيراكليديس ، الذى سيكتسب سمعة سياسية غير طيبة فيما بعد ويذهب الى روما على رأس بعثة دبلوماسية لحساب انتيوخوس ابيفانيس . ثم يطرده ديميتريوس سوتيروس خليفة انتيوخوس هذا عام ١٦٢ ق.م ثم يعود فيظهر كمآزر لاليكساندروس فالا فى مغامرته لاغتصاب الحكم . (انظر القصائد ٥٤ و ٥٦ و ٨٠ و ٨٩ و ٩٧) .

١٠٢ ـ العنوان الأصلى لهذه القصيدة هو « مخاوفه ياسونوس كلياندرو ، شاعر من كوماجينى ٥٩٥ ميلادية » .

وياسونوس شخصية متخيلة مثله فى ذلك مثل فيرناسيس الشاعر الملحمى فى قصيدة « ذاريوس » (٩٥) والشاعر

تيميثوس فى قصيدة « تيميثوس الانطاكى عام ٤٠٠ ميلادية » (١١٨) . وقد كانت كوماجينى (انظر القصيدة ١٠٧) ذات يوم دويلة صغيرة مستقلة فى شمال سورية (٨٢ ق.م — ٧٢ ميلادية) وكانت جزءا من الامبراطورية البيزنطية حتى عام ٦٣٨ حيث احتلها العرب . وبحسب عنوان القصيدة ، فان نجاوى ياسونوس التى أودعها قصيدته انما ترجع الى ثلاثة وخمسين عاما سابقة على غزوهوسرويس الأول ملك الفرس لهذه المدينة وبعد أربع سنوات من معاهدة السلام الموقعة بين الامبراطور البيزنطى مافريكيوس وملك الفرس هوسرويس الثانى .

١٠٣ — بطل هذه القصيدة من نسج خيال الشاعر . وتجرى أحداث القصيدة فى أخريات حياة أمونيس ، الملقب ساكاس ، نسبة الى مهنته الأصلية وهى « حمل أجولة الدقيق » وقد كان الى حد كبير فيلسوفا مسيحيا من فلاسفة الاسكندرية درس فى الاسكندرية عام ٢٣٠ ميلادية ، ولقب بسقراط الافلاطونية الجديدة . وكان من تلامذته كثير من النابهين أمثال لونجينوس وبلوتينيوس . وقد توفى ساكاس عام ٢٤٣ .

١٠٤ — المشهد الذى تدور فيه القصيدة من صنع خيال الشاعر ، وأيضا ذلك الشاب الذى يتمسح فى أعتاب انطيوخوس الرابع المشجع للفنون ، والمحب للملذات ، والملقب ابيفانيس اى المبرز المرموق (١٧٥ — ١٦٣ ق.م) شخصية متخيلة . (انظر أيضا « ثيميثوس الانطاكى ، عام ٤٠٠ ميلادية » ١٨٨) ولكن يمكن تصور أن هذه الشخصية والحدث الذى تعايشه فى هذه القصيدة

يعودان الى حوالى عام ١٦٩ ق.م وقد كان انطيوخوس الرابع ابنا للملك انطيوخوس الثالث الكبير (٢٢٣ — ١٨٧ ق.م) الذى هزمه الرومان عام ١٩٠ ق.م فى معركة مغنيسا (انظر القصيدة ٥٤) وكان اخوه الملك سليفكيوس الرابع الملقب فيلوباتور أى المحب لأبيه (١٨٧ — ١٧٥ ق.م) الذى اغتيل أثناء ثورة فى البلاط عام ١٧٥ ق.م كما تزوجت لاوذيكى ابنته من بيرسيوس آخر ملوك مقدونية . وقد سبق للمقدونيين أن تلقوا هزيمة أخرى من الرومان عام ١٩٧ ق.م فعاودوا جمع الشمل وتوحيد الصف للحفاظ على استقلالهم ، الا أن محاولة المقدونيين هذه باءت بالفشل ومنى بيرسيوس بهزيمة ساحقة على أيدى الرومان عام ١٦٨ ق.م فى معركة بيدنا . وكانت هزيمة حاسمة ونهائية .

اما تير أو صور فكانت مدينة مزدهرة على الشواطىء الفينيقية ومركزا لتجارة الأرجوان ، وكما فى القصيدة ٥٤ « معركة مغنيسا » يبين لنا كافافيس كيف كان امراء الاغريق فى أرض الوطن الأم عاجزين عن تحقيق الوحدة بين صفوفهم ، فعجزوا عن الصمود فى وجه الرومان .

١٠٥ — نلتقى بمنشد لعبارات تبجيل وتقدير جرت بها أبيات القصيدة . وهو شخص غير معروف الاسم ، والأرجح انه من نسج خيال كافافيس وقد نظم هذا النشيد فى عام ١٠٩ قبل الميلاد متحدثا عن أحداث تاريخية ترجع الى عام ١٤٦ ق.م كما ان هذا المنشد مغترب لاجىء الى الاسكندرية فى عهد بطليموس التاسع (الملقب « لا ثيروس » أى « حمص » رمزا لتفاهته) وقد حكم مصر على فترات متقطعة من ١١٧ الى ١٠٧ ثم من ٨٩ الى ٨١ ق.م .

والاخيون هم الشعب الذى سكن فى الأصل القطاع الشمالى لاقليم بوليبونيسوس أو البيليبونيز باليونان . وقد كان تحالف الآخيين الذى قام بين اقاليم البيلوبونيز وفى مقدمتها أركاديا وارجوليذو وأجينا وكورينثوس (٢٨٠ - ١٤٦ ق.م) المحاولة الأخيرة ليونانيى الأرض الأم للحافظ على استقلال اليونان وتماسكها . ولكن هذا التحالف كان أيضا مسئولا الى حد كبير عن حروب أهلية عديدة ، منها الحرب ضد اسبارطة ، وقد استنفدت هذه الحروب قوى البلاد ، مما مهد الطريق أمام الرومان لاكتساح قوى التحالف فى النهاية . وقد انفرط عقد هذا الاتحاد وانهارت دعائمه نهائيا عام ١٤٦ ق.م وذلك عندما لقى القائدان ذيوس وكريتولاوس فى ذلك التاريخ الهزيمة عند ليفكوبيترا فى كورينثوس على يدى ميميوس (انظر ١١٦) .

وفى قصيدة « أولئك الذين حاربوا من أجل الوحدة الأيونية » اجرينا بعض التصرف فى الترجمة تمثل فى اننا ترجمنا السطر الثالث من القصيدة قائلين « فالخطأ لم يكن خطأكم » بينما الترجمة الحرفية يجب أن تجرى بالآتى « فالخطأ خطأ ذيوس وكريتولاوس » وقد استبعدنا فى ترجمتنا هذين الاسمين ، وذلك للحفاظ على جماليات اللغة التى نترجم اليها ، والتى يجدر أن تنفذ الى قلب المستمع سلسة . وهذه السلاسة فى النص العربى يعكر من صفوها ورود اسمى ذيوس وكريتولاوس . بينما المقصود ان أولئك الشجعان الذين هزموا رغم استبسالهم فى القتال الى حد الاستشهاد لم يخطئوا فى هذا ، بل كان الخطأ المسبب للهزيمة مرده الى هذين القائدين اللذين لقيا الموت بدوريهما جزاء للهزيمة على يدى الرومان المكتسحين .

١٠٧ — ربما كان أستاذ البلاغة كاليستراتوس وأخت الملك ، بل وهذه الكلمات على الضريح ذاتها — كل ذلك من صنع خيال الشاعر . أما انطيوخوس فهو شخصية تاريخية ولكن ينقصها فى القصيدة بعض التحديد . فانطيوخوس الوارد ذكره يمكن أن يكون واحدا من الملوك الشرقيين المتأغرقين الذين حملوا هذا الاسم ممن حكموا كوماجينى ، وهى اقليم فى شمال سورية وعلى مشارف الدولة الرومانية . قد حمل اسم انطيوخوس اربعة من ملوك كوماجينى فضلا عن ثلاثة عشر ملكا من أسرة سليفكيوس (سليوكوس) .

وقد حدث تعديل عند الترجمة فى بعض الأسماء التاريخية ، فنحن نقول فى الترجمة العربية « انتيوخوس ملك سورية » اما فى الأصل اليونانى ، فانتيوخوس هذا ملك « كوماجينى » ... وكوماجينى كانت دويلة على نهر الفرات فى شمال سورية وعاصمتها ساموساطا أو ساموساطه أو ساموصات وعندما استولى الرومان على سورية عام ٦٤ ق.م احتفظوا لملك هذه الدويلة ، باستقلال دويلته التى تعاقب على حكمها ملوك يونانيون حمل كل منهم اسم انتيوخوس الى أن ضمت هذه الدويلة نهائيا الى الامبراطورية الرومانية عام ٧٢م . وهو ما حدث أيضا فى قصائد أخرى تاريخية مثل القصيدة ١٠٤ حيث ترجمنا «انتيوخوس ابيفانى» بـ «ملك سورية» وقد استبعدنا أيضا المدينة التى وجد بها القصر الذى نذره الشاب وهى مدينة « تير » أو « صور » ولا يغير ذلك من عصب القصيدة كثيرا . وعندما ذكرت فى القصيدة « بيدنا » أضفنا اليها انها حيث وقعت المعركة .

فان القارىء العربى الذى ليس بـلازم أن يكون ملما بالتـاريخ الثانوى لهذه الحقبة بحاجة الى أن يتلقى صدمة القصيدة مباشرة وذلك أفضل من أن يتلقاها بعد مراجعته سجلات التاريخ .

١٠٨ ــ كتب كافافيس فى الفترة من ١٨٩٦ الى ١٩٣٣ على الأقل سبع قصائد بشأن الامبراطور يوليانوس (٣٦١ ــ ٣٦٣ ميلادية) وهى القصائد « يوليانوس ازاء الاسرار » (وهذه ظلت فى أوراقه ولم ينشرها حال حياته) و « يوليانوس يسجل عـدم الاكتـراث » وهى هـذه و « يوليانوس فى نيقوديميا » (١١١) و « موكب كبـير من رجـال الدين وعـامة الشعب » (١٢٧) و « يوليانوس وأهل انطاكية » (١٢٦) و « اذن ، انت لم تفهم » أو « لم يحدث ان فهمت » (١٣٧) و « على مشارف انطاكية » (١٥٤) وقد أطلق المؤرخون على يوليانوس لقب « المرتد » لأنه على الرغم من انه مسيحى الأصل ، فقد حاول احياء الوثنية محاولا اقامتها من جديد على دعائم من الفلسفة الافلاطونية الجديدة ، زاعما أن العقيدة الوثنية مصوبة بالافلاطونية الجديدة بها فى أمور الدنيا والدين خطوط أكثر انضباطا مما أتت به الكنيسة المسيحية البـاكرة . والعبارة التى تجرى على لسان يوليانوس فى القصيدة مستقاة من خطاب له حرره فى يناير عام ٣٦٣ ميلادية منصبا به ثيوذوروس رئيسـا للأساقفة فى آسيا . وفى هذا الخطاب يردد ما سبق ن عبر عنه من آراء فى خطاب سابق منه الى ارساكيوس أسقف بـلاد الغال (فرنسا القديمة) . وربما اقتبس كافافيس أيضا البيت الأخـير فى قصيدته من خطاب آخر ليوليانوس الى شعب الاسكندرية يعاتبه

فيه على اغتيال الأسقف الأريوسى يورغيوس غريم اثاناسيوس ويختم يوليانوس عبارات خطابه هذا بقولـــه انـــه سوف يكتفى بتوقيع أخف العقوبات عليهم لمـــا بدر منهم ، وذلك لأنه يقدر انهم من أصل يونانى ، ولا يزالون يحملون بقية من نبـــل الخصـــال وكرم المحتد المنحدر اليهم عن أسلافهم القدامى .

كما استقى كافافيس كثيرا مما كتبه من قصائد عن يوليانوس من كتاب هذا الأخير بعنوان « كاره الذقون » وهو يحمـــل بشـــدة على رجال الكنيسة . ويرصد مبادىء السلوك التى يرجو أن يرها مطبقة من قبل أولئك المستأهلين لبركات الآلهة القديمة .

١٠٩ ـــ بالنسبة لسيدونوس والتاريخ الذى أورده عنوان القصيدة ، نحيل الى القصيدة ٩٤ . وتعتبر شخصية المتحدث فى هذه القصيدة من وحى الخيال وغير معروفة . اما ذوو المسوح الســـوداء الذين يتشدقون بالأخلاقيـــات والمواعظ فيقصـــد بهم المنخرطون فى سلك الرهبنة .

١١٠ ـــ تلاعبنا فى ترجمتنـــا لهذه القصـــيدة بالضمائر . وساعدتنا على ذلك اللغة اليونانية ذاتها . واستخدمنا فى اللغـــة العربية كلمة « حبيب » فتحقق لنا ما أردنا . كما يجدر أن نشير فى هذا المقام الى أن المذكر يمكن أن يطلق فى اللغة العربية عـــلى المذكر والمؤنث أيضا .

١١١ ـــ يجـــرى المشهد حوالى عام ٣٥٢ ميلادية ، ولا زال يوليانوس فى العشرين من عمره ، ومنتميا رسميا الى المسيحيـــة وتحت رقابة عمه الامبراطور قسطنطيوس الثانى الذى كان غيورا على المسيحية . وكان يوليانوس قد شرع آنذاك يتحول سرا الى

الممارسات الوثنية ، ويبدى تعاطفا معها (انظر ١٠٨) اما خريسانثيوس فكان فيلسوفا منتميا الى « الافلاطونية الجديدة » وقد فتح ليوليانوس هو وصديقه اللاهوتى ماكسيموس الذى كان من أفيسوس أبواب السحر وطقوسه . اما غالوس فكان أخا غير شقيق ليوليانوس ، ودعى قيصرا عام ٣٥٠ ميلادية من قبل ابن العم الامبراطور قسطنطيوس الثانى ، ولكن غالوس هذا أعدم عام ٣٥٤ ميلادية ورشح يوليانوس خلفا له . وفى عام ٣٦٠م نصب امبراطورا من قبل جيشه ، لكنه لم يرتق العرش الا فى عام ٣٦١ وكان عليه أن يخفى مشاعره المناوئة للمعتقدات المسيحية قبل اعتلائه العرش وصيرورته امبراطورا (انظر ١٠٨) أما مارادونيوس فكان محبا للهلينية ، ومعلما خصوصيا ليوليانوس . وقد تسولى تربيته منذ سن السابعة .

١١٣ ــ بطل هذه القصيدة والمشهد التاريخى فيها من خيال الشاعر . وعلى أى حال ففى سبتمبر عام ٣١ ق.م كان انطونيوس وكليوباترا قد منيا بهزيمة نهائية على يدى أوكتافيوس فى معركة اكتيوم البحرية على مشارف الساحل الغربى لليونان . ورغم ذلك حاولت كيلوباترا أن تخفى هذه الحقيقة المريرة عن رعيتها ونظمت عودة مظفرة الى الاسكندرية تظاهرت فيها بأن انطونيوس حقق النصر على أعدائه . (انظر ٢٦ و ٣٥ و ١٢٥) .

١١٤ ــ يجرى المشهد فى بيزنطة عام ١٣٤٧ بعد تبوء يوانيس كانتاكوزينوس العرش . ويبدو أن منشد القصيدة هو أحد النكرات الذين عادوا الامبراطور الجديد ، ولم يستطيعوا أن يتحولوا الى ممالأته فى الوقت المناسب .

وقـــد كان يوانيس كانتاكوزينوس نبيـــلا بيزنطيـــا ، وصفيا لاندرونيكوس الثالث باليولوغوس الذى أحبـــه أكثر من زوجتـــه واولاده . وقد عهد اليه اندرونيكوس وهو على فراش الموت نيابة المملكة عام ١٣٤١ مما أشعل ضغائن وصراعات بينه وبـــين الأميرة اللاتينية الأصل اناه ذى ســـافوى ، أرمـــلة اندرونيكوس ووالدة وريث العرش ابنها البالغ من العمر آنذاك أحد عشر عاما . وقد عاضدها فى مطالبها بطريرك القسطنطينية . وكان كانتاكوزينوس رجلا على كفاءة سياسية عالية . وبعد سبع سنوات من الصراع الداخلى على السلطـــة لم يكف طوالها كانتاكوزينوس عن ارتداء ثياب الحداد على أندرونيكوس ، كتب له انصر ، وتوج فى ١٢ مايو ١٣٤٧ امبراطورا ولقب يوانيس الســـادس ، مقصـــيا بذلك عن العرش ابن سيده السابق ، يوانيس الخـــامس باليولوغوس . ويرجـــع الفضل فى انتصار كانتاكوزينوس الى حـــد كبير أيضـــا الى نشاط زوجته الوفية المتدفقة بالحيوية ايرينى اسان . وقد شاركته مراسم التتويج (انظر ١١٧) .

وعلى أى حال ، فانه فى عام ١٣٥٤ ثبطت همة كانتاكوزينوس بسبب عداوات كثيرة جعلته يزهد فى الحكم ، فتخلى عن العـــرش للوريث الشرعى ، وانخراط هو فى سلك الرهبنة منسحبا من الدنيا الى دير قصى على قمة جبل آثوس ثم دير آخر فى ميسترا حيث مات عام ١٣٨٤ .

وقد كان كانتاكوزينوس شديد الانشـــغال باللاهوت طوال حياته . وفى المنازعات الدينية التى استبدت بالامبراطورية ، انحاز

الى المذهب الذى نادى بأن الايمان لا يكتمل الا حيث تلقى الروح سكينتها .

ومثلما ألف كافافيس فى كثير من القصائد التاريخية ، فـــانه لم يعالج هذه الشخصية الا على نحو مراوغ . ولم يواجهها كما جاء ذكرها فى التاريخ ، بل كما وردت صـــورتها عبـــر التاريخ الى مخيلته .

١١٥ ـــ يتمسك الشاعر المشار اليه فى هذه القصيدة بسلطان الهوى ويعليه على الكتب . ولكنه بالنسبة لهذا الحب ، وهو الحب الجسدى ، ينادى أيضا بحرية الشكل الذى يفرغ فيه وايما كانت المعارضة على الافراط فى ممارسة هذه الحريـــة شديدة ، الا أن الشاعر عرف كيف يستخدم قصيدته للدفاع عن رأيه .

١١٦ ـــ كان جنوب ايطاليا وصقلية فى الأصـــل جـــزءا من « اليونان الكبرى » فقد كانت الجاليات أو المستوطنات اليونانيـــة ممتدة الى هذه البقاع ومنتشرة فيها . وقد عرف كثير من هـــذه المستوطنات بثرائها وترف الحياة فيها ، الى أن دمـــر الرومـــان كورنثة عام ١٤٦ ق.م كما نقلوا مالم تدمره المعارك الحربيـــة من الثروات والتحف الى روما (انظر ١٠٥) .

وتاريخ الأحداث التى ترويها القصيدة ترجع الى عـــام ١٤٦ ق.م عندما اجتاح القنصل الرومانى موميوس كورنثة عقب هزيمته لقوات التحالف الايونى فى معركة ليفكوبترا (انظر ١٠٥) وقد عمل موميوس التقتيل فى الرجال ، وعمد الى سبى النســـاء والأطفال ، ونهب الديار .

وعلى ذلك فان تلك الغنائم والسبايا التى يراها الشـــاب اليونانى المقيم بايطاليا هى الغنائم المستجلبة من كورنثه بعد استيلاء موميوس عليها عام ١٤٦ ق.م . ولنا أن ندرك كم كان منغصا للشاب المذكور ومكدرا له أن يرى أبناء جلدته يمتهنون أمام عينيه ، ويساقون الى حياة العبودية .

١١٧ ــ جــرت عــام ١٣٤٧ مراســم تتويــج يــوانيس كانتاكوزينوس وايرينى أسان ، وفى الوقت ذاتــه مراسم زواج ابنتهمــا هيــلينا من يوانيس الخــامس نجــل باليولوجوس فى كنيسة قصر فلاخيرينى ، وليس فى كاتدرائية القديســة صوفيا ، اذ كان صراع اناه سليلة أسرة سافوى ضد كانتاكوزينوس عــلى السلطة قد أنهك موارد الامبراطورية فما عادت الميزانية تسـمح بترميم الكاتدرائية ، ولا بالبذخ فى الاحتفالات الملكية .

ويبدو أن كافافيس تأثر بوصف هذا الحفل ، الذى اشترك فى مراسمه امبراطوران هما يوانيس الخامس باليولاغوس ويوانيس السادس كانتاكوزينوس ، وثلاث امبراطورات هن أناه دى سافوى ، وايرينى آســان ، وهيلينا الصــبية ذات الثلاثــة عشر ربيعا ، ابنة الامبراطور الراحل اندرونيكوس من زوجته الامبراطورة انــاه دى سافوى اللاتينية الأصل .

وقد احتفل بمراسم التتويج والزفاف فى جــو من مظــاهر العظمة والانسجام . رغم ان كل هذه المظاهر كانت خداعــة البريق ، لأن الاضطرابات والمتاعب التى كانت قد جرت مؤخرا آنذاك فى البلاد بددت موارد الدولة ، بل واستنزفت كنوز السراى .

وقد قدم الطعام والشراب على المـــأدبة الملكية ليس فى صحاف من الفضـة أو الذهب بل فى صحاف من القصدير أو النحاس أو الفخار . وكم كان الفقر فى تلك الأيام التى غاب فيها الذهب والمجوهرات مثارا للفخر . وحل التقشف والزهد محل معالم الثراء والجاه ، دون أن ينتقص من ذلك الزجاج الرخيص الملون ، وقطع الجلد المطلية بماء الذهب (انظر ١١٤) .

١١٨ — تيمثيوس هذا شخصية خيالية . وعن عـــام ٤٠٠ ميلادية انظر أيضا ٩٤ و ١٠٩ وعن انطيوخوس الرابع (١٧٥ — ١٦٤) الوارد فى عنـــوان القصيدة ، انظـــر أيضـــا ٦٠٧ وكانت ساموصاته عاصمة كوماجينى (انظر أيضا ١٠٢ و ١٠٧) .

١١٩ — الواقعة التى تتحدث عنها القصيدة مأخوذة من حياة أبولونيوس لفيلوستراتوس والكلمات المستخدمة مستقاة من أقوال أحد الحكماء فى ذم شاب من رودس تفاخر انه أنفق اثنتى عشرة قطعة من الذهب على بناء وتجميل داره ، بل وانه على استعداد أن ينفق أكثر من ذلك بكثير لذات الغرض ، ولكنه لم يكن يكترث ان ينفق على تعليم نفسه وتثقيفها شيئا . وما كان جهله يضايقه فى شىء، وكأن متع الروح لا قيمة لها ، وكل الاهتمـــام منصرف الى متـــع الجسد (انظر أيضا ٩٦) .

١٢٢ — كليتوس شخصيةخيالية ، مثـــله فى ذلك مثـــل ابن ليارخوس (انظر أيضا ٩١) .

١٢٣ — كل شىء فى القصـــيدة متخيـــل . وليس تاميذيس المروى عنه شخصية تاريخية .

١٢٥ ــ أحداث القصيدة من صنع الخيال وهى تتحدث عن أمــور يفترض انهــا تجــرى عام ٣١ ق.م. وفى هذا العام أوقع أوكتافيوس هزيمة ساحقة بانطونيوس فى معركة اكتيوم البحريــة (انظر أيضا ١١٣) ويقول الناقد تيموس مالانوس انه وجد ضمن أوراقه كلمة قال له فيها كافافيس عن هذه القصــيدة انها تصور المنحى الفكرى لأهالى المدن اليونانية الصغيرة ، أثنــاء صراعات القوى بين طغاة الرومان ، تلك الصراعات التى ما كانت تعود بأى نفع على هذه المدن ، مما كان يجعلها لا تكترث بما اذا كان من يحكم العالم اسمه انطونيوس أو اسمه اكتافيوس . وهذا النوع من عدم الاكتراث أيضا سنجده فى قصائد كثيرة لكافافيس مثل قصيدة « ملوك الاسكندرية » (٣٥) .

١٢٦ ــ العبــارة الافتتاحيــة من عمــل تهكمى ليوليانوس (انظر ١٠٨) حيث يهاجم فيه أهل انطاكية التى دخلت المسيحية ، لموقفهم العدائى من محاولاته لاعادة الوثنية مجددة عــلى نحو من تفسيره واعداده . وقد أبانت اقامته فى انطاكية (٣٦١ ــ ٣٦٢ ميلادية) انه لا يعيش زمانه على الاطلاق ، ويحاول عبثا استعادة شىء ضاع الى الأبد . (انظر ١٠٨ و ١١١ و ١٢٧ و ١٥٤) وهذه القصائد كلها مثل القصيدة الحالية تتحدث عن الامبراطــور يوليانوس الذى دأب على محاولاته لزعزعة المسيحية وأقصائها عن الوجود ، من أجل اعادة الوثنية وتعددية الالهة . وقد استقبل يوليانوس فى انطاكية عندما زارها عام ٣٦٢ ميلادية أسوأ استقبال . وبعض هذه المتاعب التى لقيها فى انطاكية أشار اليها فى كتابــه « كاره الذقون » الموجه الى أهل انطاكية على وجه الخصوص .

ويبدأ هذا الكتاب بعبارات مهذبة ، وينتهى بالسباب والشتائم .

والعبارات التى وضـعها كافافيس قبل الدخول إلى القصيدة مستقاة من كتاب يوليانوس المشار اليه . اما قسطنطيوس الثانى فهو ابن عم يوليانوس وسلفه فى العرش .

١٢٧ ــ بعد زيارة يوليانوس لانطاكية لقى مصرعه وهو يحارب الفرس عام ٣٦٣ ميلادية وخلفه على العرش لمدة سبعة أشهر فحسب الامبراطور المسيحى جوفيانوس أو جوفيان . ويبدو أن النص مستوحى من فقرة فى كتاب « التاريخ الكنسى ــ جزء ثالث » لثيودوريه الذى يصف فى هذه الفقرة ابتهاج المؤمنين بموت يوليانوس المرتد عن الايمان .

١٢٨ ــ الشخوص والمشهد من نسج الخيال . وقد كان السرابيوم هو معبد سرابيس فى الاسكندرية . وقد شيد بمعرفة بطليموس الأول سوتيروس حوالى عام ٣٠٠ ق.م ولقى هذا المعبد التدمير عام ٣٩٢ ميلادية فى خضم ملاحقة الامبراطور ثيوذوسيوس للوثنيين والتنكيل بهم .

١٢٩ ــ كان اليكسيوس كومنينوس امبراطورا فى الفترة من ١٠٨١ الى ١١١٨ وعندما تأهب للخروج الى الحرب عام ١٠٨١ عهد الى أمه اناه ذالاسينى رسميا مقاليد الحكم فى المملكة . وقد أشارت ابنة الامبراطور فى كتابها عن أبيها بعنوان « الالكسياده » الى المرسوم الامبراطورى الذى صدر فى هذا الشأن . وقد تركت والدة الامبراطور عن نفسها فى التاريخ انطباعا بالتدين والحزم والكفاءة .

١٣٠ ــ وفقا لبعض الروايات فان أيو ، ابنة ايناخوس ملك آرغوس سخطت بقرة بقرار الاله زيوس ، حتى يخفى أمر حبه لها عن زوجته الغيور هيرا . وقد طاردتها هيرا فى تجوالها المجنون بعد أن أغراها زيوس حتى انتهى بها الطواف الى سوريا ، حيث ماتت . وقد بنى أخوتها معبدا ومدينة هناك على شرفها (أيوبوليس) . وفى الموقع ذاته أسس الملك المقدونى الأصل سليفكيوس الاول نيكاتور (المنتصر) انطاكية عاصمة سورية (٣٠٠ ق.م) وسماها على اسم أخيه انتيوخوس تخليدا لذكراه . وقد استجلب لها سكانا من مدينة قريبة اسمها « انتيغونيا » وقد أصبحت انطاكية عاصمة مملكة آل سليفيكوس الذين شيدوا بها كثيرا من العمائر والنصب البديعة ، وجعلوا منها المنافسة الأولى للاسكندرية البطلمية . وقد استولى عليها الرومان عام ٦٤ ق.م وجعلوا منها مقرا للوالى الرومانى على سوريا . وقد ظل أهل انطاكية يواصلون الاحتفاء بتلك العلاقة القديمة بينهم وبين آرجوس اليونانية .

ويروى الناقد تيموس مالانوس ان كافافيس كان ميالا الى انطاكية ، وكان سعيدا اذ اكتشف ان هذه المدينة السورية بدورها ، مثل الاسكندرية ، ذات انتماءات هيلينية عميقة الجذور .

١٣١ ــ انظر ٧٠ و ١٣٣و ١٤٠ و ١٥٣ .

١٣٣ ــ انظر ٧٠ ، ١٣١ و ١٤٠ ، ١٥٣ .

١٥٣ ــ عن عام ٢٠٠ ق.م انظر ايضا ١٥٢ وهذا التاريخ يضع المستوطنة اليونانية غير المحدد اسمها ، عشر سنوات قبل معركة مغنيسيا .

١٧ ـــ يمكن اعتبار هذه القصيدة تكملة لقصيدة « يوليانوس يسجل عدم الاكتراث » (١٠٨) فبعد أن عاب يوليانوس على أهل انطاكية عدم فهمهم للاناجيل ، وعدم ملاحظتهم ان ماورد بها ليس الا مجرد تحوير غير موفق للأصول التقليدية للعقيدة الوثنية ، يخلص الى ان معتقداتهم المسيحية « قرأها ، وفهمها ، وأدانها » فيرد عليه شيوخ انطاكية بقولهم « أجل ، أنت قرأت ، ولكن أن نكون فهمت فهذا لم يحدث ، والا لما دنت » .

ويذكر سوزومين ، وهو مؤرخ بيزنطى من القرن الخامس الميلادى ، فى كتابه « تاريخ الكنيسة » (الجزء الخامس) هذه الواقعة ، كما يورد العبارة التى وجهها يوليانوس فى احدى خطاباته الى قساوسة المسيحية ، ويسجل أيضا اجابة هؤلاء القساوسة عليها .

وقد كان نقد يوليانوس موجها على الأخص للصياغة الهوميرية للترانيم الكنسية أتى وضعها أبوليناريس أسقف لاوديكيا واسع الثقافة .

ومن المفيد أن تقرأ قصائد كافافيس عن يوليانوس معا ، لمزيد من الفهم والتذوق .

١٣٨ ـــ المشهد والجناز متخيلان . وقد كانت كيرينية أو قورينائية مركزا تجاريا وثقافيا فى البلد الذى يسمى الآن ليبيا . وهى مسقط رأس كل من الفيلسوف اريستوبوس والشاعر كالياخوس .

١٣٩ — كان ملك اسبارطة كليومينيس الثالث (٢٣٥ — ٢١٩ ق.م) آخر المدافعين عن النظام الاسبارطى . وقد طلب من الملك بطليموس الثالث ملك مصر أن يساعده فى حربه ضد المقدونيين والاتحاد الايجى . وقد وافق بطليموس على شريطة أن يرسل كليومينيس والدته كراتسيكليا (انظر ١٤٦) وأولاده الى الاسكندرية ليحتفظ بهم بطليموس كرهائن . وقد انحدر ملوك اسبارطة فى الأساطير اليونانية عن هرقل ، أما البطلميون فهم أدنى منهم مقاما ، وأقل عراقة ، ولم تكن مملكتم تتجاوز عام ٣٠٠ ق.م ، مما كان يعد سبة فى حق ملك اسبارطة أن يقبل ارسال الملكة الأم وأولاده اليه للاحتفاظ بهم عنده كرهائن . ولكن للضرورة أحكاما . وكان لابد من أن يذعن الملك الاسبرطى نزولا على مقتضيات الحاجة ، فقد كان فى حرب ضروس ضد جيرانه المحدقين به ؛ أما الملك البطلمى فقد اعتبر أن احتجازه لهذه الرهائن بالاسكندرية أمرا يرفع من مقامه كثيرا ، وعلى أى حال فقد عالج الاسبرطيون الأمر بحكمة وشجاعة ، وذلك بفضل الملكة الأم (انظر أيضا ١٤٦) .

١٤٠ — انظر ٧٠ و ١٣١ و ١٥٣ . ومن المفيد قراءة قصائد « الأيام » معا لمزيد من التذوق .

١٤١ — بطل هذه القصيدة ، والموقف من صنع خيال الشاعر . وجدير بالذكر أن ليبيا كانت فى القديم الاسم الذى ألف اليونانيون اطلاقه على افريقيا بصفة عامة . ومن ثم ليست ليبيا المذكورة فى القصيدة هى ليبيا الحالية لزاما .

وعلى أى حال ، فقد كان اسم منيلاس أو منيلاوس شائعا فى

ليبيا ازاء تواتر الأقوال عن نزوح منيـلاس أو منيـلاوس بطـل هوميروس الى افريقيا بعد حرب طروادة .

١٤٢ ــ تتعلق هذه القصيدة كما فى قصـيدة « داريوس » (٩٥) بملك بنطوس (البحر الأسـود) ميثريداتيس السـادس الذى كان عدوا ضاريا للرومان . وها نحن من جديد نعود الى عام ٧٤ ق.م فى العهد الذى كان ميثريداتيس قد دخل الحرب للمـرة الثالثة ، ضد روما . اما تلك الحكاية التى ترويها القصـيدة عن الالتقاء بالعراف ، فهى من صنع خيال كافافيس ، أو ربما كان الأدق أن نقول أن الشاعر قـد بـدل فى بعض لحظـات التاريخ ووقائعه ، كى يتوصل الى ابداع قصيدته .

والنصيحة الطيبة التى تـدمت الى ميثريداتيس الأول أحد أسلاف ميثريداتيس السادس الكبير استقاها كافافيس من كتـاب « حياة ديمتريوس » للمؤرخ بلوتارخوس . فقد كان انتيغونوس ملكا على مقدونية عام ٣٠٠ ق.م . وقد ضم الى بلاطه ميثريداتيس ، الابن الشاب لأحد أتباعه الأسيويين ، ولمـا كان أنتيغونوس قـد اشتبه فى عدم ولاء تابعه هذا فقد قرر أن يجهز على الاثنين ، الأب والابن معا ، ولكن ميثريداتيس الشاب كان صديقا عزيزا لديمتريوس ابن انتيغونوس الذى سيصبح بدوره فيما بعد ملكا على مقدونيـة (٣٤٠ ــ ٢٨٤ ق.م) وقد أراد بلوتارخوس فى سيرتـه لحيـاة ديمتريوس أن يبين كم كان ديمتريوس شهما ونبيلا وونيا لأصدقائه . وفى هذا المقام يحكى كيف أنقذ حياة مثرادتيس الذى كان آنذاك شـابا يافعا فى بلاط أبيه انتيغونوس . واذ يعرف ديمتريوس من أبيه

ما انتواه بتابعه وابنه فانه يحجم عن مصارحة صديقه بنوايا أبيه فى شأنه ، ذلك انه كان قد أقسم لأبيه الا يبوح بالسر لأحـد . ولكنه اثناء اللعب مع ميثريداتيس وجد الفرصة السانحة كى يوحى له بالنهاية المرسومة له دون أن يبوح بالسر ، فنقش بطرف رمحه على الأرض كلمات فهم ميثريداتيس مغزاها فهرب من البلاط فى الليلة ذاتها . ليصبح فيما بعد « ملك بنطوس » وقد استتب له ولاسرته الملك من بعده ، حتى جاء من الأسرة الملك ميثبداتيس الكبير عدو الرومان اللدود .

ويختلف جوهر الحكاية فى أصلها التاريخى اذن عن الحكاية كما استخدمها كافافيس . فقد كانت النصيحة ـــ كما جـاءت عنـد المؤرخ بلوتارخوس ، توجيهـا الى الشـاب ميثرايدتيس « للهرب من قتلته » أما فى قصيدة كافافيس فهى مجرد نصيحـة أخلاقية الى رجل متعطش للحروب ميثريداتيس السـادس أو الكبير) .

١٤٣ ـــ هذه أطول قصائد كافافيس المنشورة . البطـل والمشهد من صنع الخيال . وتضعنا القصيدة فى حقبة تاريخيـة اتسمت بالجيشان السياسى والدينى . فالصراع متأزم بين أبناء الامبراطور قسطنطين الأكبر ، والشقاق الدينى بين مؤيدى كل من آريوس واثناسيوس فى الاسكندرية على أشده ، وينضى هـذا الشقاق الى نفى الأخير الى روما .

بالنسبة السرابيوم انظر ١٢٨ .

١٤٥ ـــ كان الكسانروس يانيوس وزوجته الكسندرا أميرين يهوديين سليلى أسرة « مكافيوس » التى حـكمت فى الفتـرة من

١٠٣ الى ٧٦ ق.م وعلى الرغم من أن تمرد يهوذا مكابيوس ضد انطيوخوس المبرز (ابيفانى) قد احبط بقسوة (عام ١٦٨ ق.م) الا أن هذا التمرد تبعته سلسلة من الانتفاضات تمكنت من خلالها الأسرة المذكورة أن تحقق استقلالها ، واستمرت تحافظ عليه قرابة مائة عام ، ولكن ليس بغير تنازلات .

١٤٦ — تعتبر هذه القصيدة امتدادا للقصيدة ١٣٩ وقد كان « النصيب » الذى سارت اليه كراتسكليا هو اعدامها فى أحد سجون الاسكندرية ، غداة انتحار ابنها كليومينيس الثالث ورفاقه الذين زج بهم فى السجون بدورهم فى مصر التى جاءوا اليها يطلبون عبثا معونات ، بعد الهزيمة فى معركة سيلاسى . وكى نفهم الشحنة العاطفية المختزنة فى هذه القصيدة ، والتى أفرغت فى قالب خشن غير عاطفى ، فلنقرأ عند بلوتارخوس روايته للمأساة التى جرت عام ٢١٩ ق.م ، والتى لا يعرض لنا كافافيس منها ، وفقا لمنهجه ، سوى المدخل اليها .

.... بشجاعة ، وبلا نواح غير مجد ولا أنين ذليل أقدم كليومينيس ورفاقه على الانتحار ، باستثناء بنتيوس ، بطل معركة ميغالوبوليس ، الذى كان صفيا للملك كليومينيس ، كما كان أشجع جنود اسبارطة الشبان . وقد كانت الأوامر الصادرة اليه ألا يقدم على الانتحار الا بعد أن يتأكد من ان رفاقه جميعا قد فارقوا الحياة . ولهذا ظل يقترب تباعا من كل من أولئك الرجال المدددين على الأرض صرعى وينخسه بطرف حسامه للتأكد من أنه لم يبق فيه رمق من الحياة . وعندما اقترب من الملك لكزه لكزة خفيفة فلمح

على وجهه اختلاجة ، فقبله ، وجلس الى جوارة منتظرا أن يفارق بدورة الحياة .. وعندما لفظ الملك آخر أنفاسه ، قبله بنتيوس من جديد ، وقتل نفسه ، فخر صريعا على جثمان كليومينيس .

ثم أصدر بطليموس أوامره بأن تقتل الأم وأولاد كليومينيس الصغار ومن في معيتهم وكان من بينهم زوجة بنتيوس التى كانت من نبيلات اسبرطة ، وتتفجر حيوية وصحة وجمالا ، ولم يكن قد مضى على زواجها من بنتيوس زمن طويل . على أن الشقاء خيم على أحلى أيام عمرها ، بسبب ولائها وزوجها للملك . ولئن كان أهلها لم يسمحوا لها بمصاحبة بنتيوس الى مصر ، الا انها فى غفلة منهم دبرت لنفسها جوادا وبعض النقـود ، وانطلقت تحت جنح الظـلام ، فأدركت الشاطىء ، واستقلت سفينة اتجهت بها الى مصر ، حيث التقت بزوجها ، ووقفت الى جانبه وشاركته فى الغربة آلامـه ، بكل رضاء وطيب خاطر . وقد كانت هى التى أخذت بيد كراتسيكليا وساعدتها على رفع طرف ردائها الملكى الطويل ، وهى تسير الى جلادها . وظلت تشد من أزرها حتى النهاية . وليس ذلك لأن كراستيكليا كانت تهاب الموت ، بل ان المطلب الوحيد الذى طلبته ، كان أن تقتل قبل أحفادها الصغار ، ولكنهم أبوا عليها هذه الرغبة وذبحوهم أمام عينيها . ثم جاء دورها ، وفى ألمها الشديد لم تنبس بغير هذه الصيحة « أين أنتم الآن ، يا صغارى المساكين ؟» ولم تفقد زوجة بنتيوس رباطة جأشها ، رغم الظلمات المدلهمـة حولها ، ولملمت فى حجرها أجساد الموتى ، وأجرت تجهيزها قدر الأمـكان للدفن . وعندما أعدت كل شىء ، مضـت بدورها الى حتفها بكل

شجاعة . وبدون حاجة الى أن يقدم لها أحد ما قدمته هى للآخرين من عون ، محتفظة حتى فى موتها بكبريائها وعزة نفسها .

١٤٨ — استعمل كافافيس فى هذه القصيدة « جاء يسأل عن الصنف » كلمة « هيئة » فبددت احتمال انحصار هذه القصيدة فى علاقة حسية بين رجلين . وعندما يقول الشاعر « مارا أمام حانوت صغير ... لمح فى الداخل (وجها) استلفته ، رأى (هيئة) دفعته الى الدخول ...» ما عاد من حق القارىء أن يتصور أن هذا الوجه وجه رجل أو أن تلك الهيئة هى هيئة رجل .. بل يمكن أن تحمل القصيدة على أنها لقاء عارض بين عابر سبيل وبائعة فى محل ، اشتعل فى لحظة حتى صار دعوة الى تبادل الحب ، وليس فى ذلك ما يخدش ، وانما تبقى القصيدة فضلا عن ذلك لوحة تصور ببراعة لحظة ثانوية ، وان كانت تتكثف فيها عواطف انسانية صامتة . يتعطل الحوار ، ويصل السؤال الصامت الى اجابة بدورها صامتة ولكنها أبلغ غنيا من كل مجاهرة و مباشرة فى الحوار .

١٤٩ — البطل شخصية خيالية وضعت ما بين عامى ١٢٨ و ١٢٣ ق.م وكاكيرغيتيس (فاعل الشر أو الشرير) كان اللقب الذى عرف به بطليموس الذى أطلق على نفسه كاليرغيتيس (أى محب الخير) ١٤٦ — ١١٧ ق.م . وكان يعرف أيضا بفيسبكون أى الفقاعة . وكان والدا لبطليموس الملقب بالمخلص وان كان يعرفه العامة « بلاثيروس » أى « حمص » رمزا لتفاهته . (انظر « أولئك الذين حاربوا من أجل الوحدة ») أما « زابيناس » ويعنى

الرقيق أو الأسـير ، فقـد كان الاسم الذي أطـلق عـلى الابن المزعوم لالكسندروس فالا (انظر ٨٩ و ٩٧) الذى اغتصب عرش سورية ما بين عامى ١٢٨ و ١٢٣ ق٠م ثم قتل بيد انطيوخوس الثامن ملك سورية الملقب جريبوس أى صاحب الأنف الأعقى .

أما يوانيس هيركانوس فهو ابن سيمون ماكابيوس (انظر ١٤٥) وكان ملكا على اليهودية من ١٣٤ الى ١٠٤ ق٠م . وقـد استفاد بالطبع من الصراعات الدائرة حول عرش سورية . وليس بلازم أن تكون كل هذه الشخصيات التاريخية المذكورة قد تعاصرت فنحن ازاء عمل شعرى ، وليس تأريخا بمعنى الكلمة .

١٥٢ ـ كانت المعارك الكبيرة التى دحر الاسـكندر الأكبر فيها الفرس ثلاثا . جرت أولى هذه المعارك عند نهر غرانيكوس (٣٣٤ ق٠م) والثانية عند ايسوس (٢٣٣ ق٠م) والثالثـة قرب اربيلا (٣٣١ ق٠م) .

ويقول بلوتارخوس فى حياة الاسكندر الأكبر أن هذا القائد الكبير أراد أن يجعل الاغريق جميعا مشاركين فى هذه الانتصارات التى أرست الهلينية فى آسيا ، ولهذا فقد جرى نقش هذه العبارة : « الاسكندر بن فيليب والأغارقة جميعا ، فيما عدا اللاقيديمونيين حققوا النصر على الآسيويين » .

وقد وضع كافافيس هذه العبارة فاتحة لقصيدته . ويفترض أن الذى يقرأها يونانى غير معين بالاسم (ومن المحتمـل انه من

أولئك الأغارقة السكندريين الذين يحب الشاعر أن يعتبر نفسه واحدا منهم) وهو يقرأها فى عام مائتين قبل الميلاد ، أى بعد مائتى وثلاثين عاما على انتصارات الاسكندر الأكبر ، وقبل معركة كينوسكيفاليا التى منى فيها فيليب الخامس بالهزيمة على أيدى الرومان ، وقبل عشر سنوات من هزيمة انطيوخوس الثالث التى كانت ايذانا باجتياح الرومان للعالم الأسيوى الهلينى . (انظر ٥٤ و ١٠٧) .

ويتأمل قارىء النقش المذكور أثناء قراءته لهذا النقش عملية اغرقة آسيا التى تمخضت عن حملة الاسكندر الأكبر ، وكانت حملة لم يشارك فيها اللاقيديمونيون (الاسبارطيون)ربما لأنه استبدت بهم نعرة التعالى ، فرفضوا الاشتراك فى حملة الاسكندر المقدونى . وقد ظلت أسباب وظروف عدم اشتراكهم هذا على أى حال غامضة . ولكن الشىء المقرر أنهم وحدهم دون المدن الاغريقية الأخرى رفضوا أن يرسلوا ممثلين عنهم الى المؤتمر الذى عقد فى كورنثة عام ٣٣٨ ق.م ، وهو المؤتمر الذى اختار فيليب ملك مقدونية ، والد الاسكندر ، رئيسا للتحالف اليونانى .

وقد صارت اللغة اليونانية الدارجة (كينى) بفضل فتوحات الاسكندر هى اللغة المتحدث بها لمدة لا تقل عن ٦٠٠ عام فى الشرق والممالك التى دخلتها المسيحية فيما بعد . وكانت فاكتريا ولاية بين شمال افغانستان وجنوب أوزبكستان ، وقد ظلت تحت النفوذ اليونانى حتى ١٣٠ ق.م .

وقد كتب كافافيس عام ١٦٢ قصيدة بعنوان « يونانيون فى فاكتريا » ظلت ضمن أوراقه غير المنشورة حال حياته .

ولمزيد من الايضاح ايضا عن أصل « اللاقيديمونيين » نشير الى انه كان « لاقيديمون » فى الميثولوجيا اليونانية القديمة ملكا على اقليم لاكونيا بأرض البيلوبونيز (المورة) . وكان هذا الملك ابنا لزيوس كبير الآلهة الاغريقية ، أنجبه من تايتو التى كانت واحدة من شقيقات سبعة دارت حولهن أساطير عديدة . وقد لاذت تايتو بعد انجابها لاقيديمون بجبل عال باقليم لاكونيا . وبعد أن تولى لاقيديمون ملك لاقونيا أصبح شعبه يسمون اللاقيديمونيين نسبة اليه . وقد تزوج لاقيدميون من فتاة اسمها «اسبرطة» ابنة الملك افروتاس، فسمى عاصمة ملكه باسم زوجته . ولهذا غنى كثير من الأحيان تسمى « اسبرطة » « لاقيديمون » فى قصائد الشعراء اليونانيين . ولدى هوميروس نجد أن الملك مينيلاس حكم اسبرطة ، اما أخوه أغاميمنون فقد تولى ملك آرغوس . وقد قدر لاسبرطة أن تكون تابعة لارغوس ، الى أن انتهت هذه التبعية بزواج أورست وهو ابن اغاميمون من هيرميون ابنة مينيلاس .

١٥٣ ـ انظر أيضا ٧٠ و ١٣١ و ١٣٣ و ١٤٠ .

١٥٤ ـ دفن مسيحيو انطاكية جثمان شهيدهم المطران فافيلاس فى حدائق أبوللو على مشارف المدينة . وقد أمر يوليانوس بازالة الجثمان من مكانه فور علمه بذلك . وفى ذات تلك الليلة التي صدر فيها الأمر (الثانى والعشرين من أكتوبر ٣٦٢ ميلادية) نشب حريق فى معبد أبوللو الذى كان يوليانوس قد أجرى ترميمه . وقد ورد ذكر هذه الأحداث فى كتاب « كاره الذقون » ليوليانوس ، كما جاء ذكرها فى سيرة يوليانوس التى كتبها آميين مارسيلين الذى كان

ضابطا فى حرسه وشاهد عيان على الحريق الهائل الذى هلك من جرائه المعبد والصنم ، وكان تمثالا من العاج والذهب لابوللو أبدعته أنامل المثال الاثينى برياكسيس . وقد وجهت التهمة الى المسيحيين بتدبير الحريق ، ولكن لم يثبت ضدهم شىء . (انظر ايضا ٢٦ و ١٠٨ و ١٢٧) .

قراءة في بعض القصـائد

١٩ — قد أكون مخطئا ، ولكن من الطريف أن نلمح فى هذه القصيدة سخرية كافافيس اللاذعة ، رغم تسترها الشديد ، وتخفيها بحيث قد لا تظهر للعيان الا لمن تهيأ لتقبل هذه السخرية المضمرة . ان المثال دامون الذى أبدع تمثال « موكب ذيونيسيوس» (أوباخوس الرومانى) » اله الخمر سوف يدخل السياسة ، ويضحى عضوا بمجلس الشيخ ، ويتابع الخطباء المتبارين ، وقد يصل به الأمر — بالسعادة — أن يتبارى هو أيضا معهم . كل ذلك لقاء ما نحته عن اله الخمر ، ومعيته من سكارى ومساخيط ماجنين ، ويبدو أن المقارنة أو التقارب بين موكب اله الخمر والمجون ومواكب السياسة وارد ، وعلى الرغم من أن السياسة التى سوف يدخلها دامون هى واقع ، وتمثال موكب اله الخمر خيال ، الا أن العمل الفنى كثيرا ما يكون رمزا للواقع . كما اننا هنا نجد أن التلاقى بين السياسة وتمثال موكب ذيونيسيوس قد جرى فى مخيلة دامون لا أكثر ولا أقل . وهكذا يتداخل عالما الخيال والواقع عند كافافيس .

كما يلاحظ من واقع هذه القصيدة أن الذى يعول عليه فى دخول عالم السياسة والأسواق ليس هو الفن فى ذاته ، بل المال . ونرى دامون هذا المثال الاريب الصنعة ، يحول فنه الى مال . وسوف يدفعه ثمنا لدخول عالم الوجهاء . فالفن فى حد ذاته ليس بالنسبة لدامون غاية ، انما هو مجرد وسيلة وأداة لبلوغ مأرب .

وكثيرا ما يقرن كافافيس شعره بفن آخر نبغ فيه اليونان والرومان فابدعوا أعمالا ظلت تداعب خيال الشاعر بجمالها ، وفتوتها ، ورقتها ، ورشاقاتها ، هذه الأعمال هى التماثيل التى تغالب الزمن ، وتبقى طويلا حتى بعد موت من صورتهم ومن صورها، كذكريات محاطة بالشجن والاعجاب والشوق . (انظر على سبيل المثال قصيدة « مثال تيانى » ـ ٢٩) وهذه التماثيل الجميلة ، وجد فيها كافافيس لوجدانه ملاذا من ذلك الخوف الذى راح يؤرقه منذ أولى أيام شبابه من بشاعة الموت ودمامة الشيخوخة ، وعجز الجسد الكهل عن اثبات ومواصلة وجوده فى العالم الذى تتوالد وتموت فيه المادة الجميلة الى ما لا نهاية ، وبلا رحمة أو رجاء . ولهذا ، فقد حاول كافافيس أن يخلد فى قصائده ، كثيرا مما خلدته التماثيل الاغريقية والرومانية . فهى بدورها جهاد مستميت ضد الفناء والتخثر . وهى بالنسبة للشاعر أيضا ايماءات ورموز الى عوالم وبشر اندثرت ولا زال الفكر يسأل أهى اندثرت حقا ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ ومن ثم راح كافافيس ينطقها ويتحاور معها ، وينقل فى أشعاره ما لا تبوح به الروح الا الى روح مثلها .

ولا نمل القول بأن كافافيس كان يخشى الضياع فى ركب الزمن الآبق ، والسقوط خارج الذكرى ، ولهذا فهو يعول فى قصائده على فن النحت ، فالتماثيل انما صنعت للحفاظ على أصحابها ماثلين أمام أحفاد أحفادهم . وبذلك فالتمثال رديئا كان أو جيدا هو مصارعة للزمن . وهذا شأن فن الشعر أيضا .

٢١ — وفى هذه القصيدة التى يمكن أن يكون عنوانها « هذا هو » أو « هوذا الرجل » أو « هاهوذا » أو « انه لرجل عظيم » يتحدث كافافيس عن معاناة شاعر ، كيف قضى عليه أن يمضى يكتب ويكتب فى الظل مغمورا مجهولا ، لا يسمع عنه أحد ، يعانى أشد المعاناة فى نظم القصيدة ، وضبط الأوزان والقوافى ، وأحكام اللغة ، ولا أحد يعيره اهتماما ، وهو بشق الأنفس يبنى قصائده . وفى النهاية بلغ عطاؤه ثلاثة وثمانين قصيدة ، فهو بدوره — ربما مثل كافافيس من بعض النواحى — مقل ومتأن فى ابداعه ، فلم يكن الشعر بالنسبة له مجرد كلمات ترص وتتكاثر بلا فكر جاد أو انفعال حقيقى . وفى النهاية ماذا جنى هذا الشاعر الذى لم يكن من شعراء الارتجال ؟ حط عليه التعب من فرط الحرص على أن يجىء العمل متقنا ، فيرضى عنه ، ويضمه الى عطائه الذى لم يكن يتنامى بسهولة ، وبلا احساس بالمسئولية ، مسئولية الكلمة تلك التى تجعل الشعر مهمة صعبة على عاتق من آلى على نفسه أن يأخذها محمل الجد . ولعلنا نذكر هنا أيضا أحزان أفيمينيس الشاعر الشاب فى قصيدة « أولى درجات السلم » (٤) .

ولكن ما الذى يجعل الشاعر ، والفنان ، يمضى فى طريق فنه المحفوف بالمخاطر والمتاعب ؟ أهو مجرد استعذاب للألم والعناء لذاتهما ؟ كلا ، فليس الشاعر بالشخص الذى يعانى مرضا من أمراض النفس ، فيهوى تعذيب النفس لذات العذاب . بل هو يتحمل ثقل المعاناة من أجل أن يسمع الصوت الوافد من الأعماق ، من أعماق الحلم ، ليطمئنه ويرد اليه اعتباره ، ويمنح الراحة

لقلبه وعقله وجسده معا ، ذلك الصوت الذى يجعل لمعاناة الشاعر معنى ، حتى لو لم يحدث فى النهاية ان جاء ذلك الصوت المعزى يقول للشاعر : « هو أنت ، الذى أحسنت ، وقلت بشعرك ما يجب أن يقال » . وهو الصوت الذى سبق أن سمعه فى الحلم لوقيانوس من قبل بعد معاناة من هذا النوع .

٣٤ ـــ وفى قصيدة « حبيب الهلينية » نلمح حوارية كافافس . ففى كثير من الأحيان يصوغ الشاعر قصيدته على انها حوار أو خطاب موجه الى آخر ومن هذه الصيغة الحوارية تنبثق « نبضة مسرحية » لدى كافافيس وقد كان قارئا محبا لشكسبير شاعر المسرح الكبير . وهذه الخصيصة تعطى قارىء قصيدة لكافافيس الفرصة كى يلون القاءه لها بحسب مسار الحوار فيها . ومن ثم ، لا تجىء القصيدة « خطابية » وتيرة النغمة ، مما قد يجعل المستمع يعرض عنها سريعا .

وفى « حبيب الهلينية » يصور لنا كافافيس ملكا من ملوك اليونان ، أبقاه الرومان على ملكه ، ولهذا فهو وان كان يريد أن يكتب على قبره الذى يعده لنفسه بعض كلمات المديح الا أنه يخشى أن يغضب الرومان لذلك ، ويعتقدون أنه يتطاول عليهم ، ويتعمد أن يجعل مقامه أعلى من مقامهم . ومن ثم فهو يتحفظ فيما سيختار من كلمات المديح لنفسه . ولكنه على أى حال يتمسك بأن يكون فيما سوف يكتب عنه بعض المديح ، ولو بالاشارة الى عمل أو موقف منسوب اليه .

أما على الجانب الآخر من النصب التذكارى (أو ربما من العملة) ، فسوف يحفر منظرا من مناظر اليونان القديمة ، ولا ضير فى هذا من الناحية السياسية ، ولكنه أيضا افصاح بان حب القومية القديمة لا زال فى أعماق القلب ينبض تحت الرماد . ثم هو حريص أن يضاف الى اسمه لقب « حبيب الهلينية » أو « حبيب اليونان » وفى ذلك فوائد كثيرة ، أو ليس ثمة مضار ، على أى حال . فكثيرون ممن هم أقل منه ارتباطا باليونان انتقوا لأنفسهم هذا اللقب وتمسكوا به . ومن ناحية أخرى ، هل يليق أن يأتى لزيارة المملكة من هم قادمون ليتزودا من الهلينية بزاد لهم — وكان «التأغرق» فى ذلك الوقت من سمات التحضر — فيجدونه أكثر تنكرا للهلينية من البرابرة ؟ وهكذا ، سوف نجد خصيصة أخرى من خصائص شعر كافانيس هنا ، فقصائده مغزولة ليس بخيط واحد فحسب ، بل بأكثر من خيط ، وربما بأكثر من لون . ومن ثم ، كانت شخصياته ومواقفه شديدة التعقيد والكثافة ، وان بدت لأول وهلة على غير ذلك . ومن تضاد التيارات بداخلها ، وأحيانا من التضاد بين خارجها وداخلها ، تتولد حرارة الشخصيات ان لم يكن سخونتها ، وذلك كله دون أن تتخلى لغة كافافيس عن حياديتها الأصولية .

٣٦ — ومن الطريف أن نقارن هذه القصيدة التى تنضح ايمانا وقومية بعدد من قصائد كافافيس الأخرى (راجع أيضا قبر اغناتيوس — ٦٨ وكاهن سيرابيس — ١٢٨) التى يبين فيها أبطالها بل وربما كافافيس نفسه أحيانا ، يحنون الى آلهة الأجداد وأرض اليونان القدامى ، وعندئذ سوف نتبين صفة أصولية فى عطاء كافافيس ،

وهى التعددية ، فكل من أبطاله يتحدث بلغته ويعبر عن معتقداته وبلغته هو وليس عن معتقدات أو لغة الشاعر المحايد .

وفى قصيدة « أورفيرنيس » سنلاحظ شيئا هاما على موقف كافافيس من احدى شخصيات التاريخ . ان وسامة أورفيرنيس ، كما احتفظت لنا بها عملة الأربعة درخمات ، لم تكن كافية لدى كافافيس للاعجاب بذلك الفتى صاحب المحيا الجذاب . ولم يشفع له اعتناقه وممارسته لمذهب اللذة الحسية كى يبدى الشاعر أى دفاع عنه . بل أن الشاعر قد حكم عليه بما سبق أن حكم عليه التاريخ ، أى بالتجاهل ، والاقصاء الى ظلمات النسيان ، دون أمل فى استرجاع ذكراه . فالوسامة اذن ليست كل ما يستوقف كافافيس فى رجال التاريخ ، وحتى الشعر عندما يستعيد ذكرى هذا الرجل الوسيم ، فلن يستطيع أن يغفل جشعه ، واكتنازه للأموال على حساب الشعب الذى اختاره . اذن « فالوسامة » ليست العنصر الأوحد الذى يستلفت أنظار كافافيس . فهناك زوايا أخرى أكثر انسانية لاستعادة الذكريات التاريخية .

وكثيرا ما يحدث عند كافافيس ان تعرض الجزئية التاريخية المعتنى باستخراجها على محمل مخالف لمحملها فى مصدرها التاريخى ، بل وعلى محمل معاكس للأصل أحيانا . ونضرب مثلا على ذلك بتناول كافافيس للتاريخ فى قصيدة عمانوئيل كومنينوس (٥٥) .

وفى قصيدة « ثيوذوتوس » (٤٦) نلمح أيضا احدى معالجات كافافيس للتاريخ فى قصائده ، فهو فى النهاية لا يؤرخ بل يكتب شعرا . ولهذا فهو يتعامل مع مادة التاريخ تعاملا رحبا حرا . وفى كثير من الاحيان نجده يومىء الى احداث واشخاص عرفهم التاريخ ولكنه لا يتناولهم فى شعره بالتحديد الذى يجعل بامكان القارىء أن يقول ان هذه القصيدة هى عن هذا الحدث أو عن هذه الشخصية على وجه التحديد . فهو فى قصيدة « ثيوذوتوس » على سبيل المثال لا يتحدث عن ثيوذوتوس بعينه ، بل يتحدث عن أى ثيوذوتوس من حولى أو من حولك .

٥٣ ــ و « ذات ليلة » قصيدة من قصائد الهوى عند كافافيس وهى تحكى عن لحظة متوقدة ، مختلفة تماما عن الوسط المكانى المرتبط بها . فالمكان كما ترى من وصف كافافيس له ــ وهو وصف مركز شديد الكثافة والحساسية ــ مجرد غرفة فقيرة رخيصة ؛ منزوية فوق حانة مشبوهة ، تطل على زقاق قذر ، يؤمه اناس من حثالة القوم . وهم فى خضم انشغالهم التافه ؛ مقصون تماما عن اللحظة التى اختارها كافافيس بؤرة لقصيدته . الليل ، الحى الفقير ، الزقاق الموحل ، السرير الرخيص ، الاطار الرث المضجر ، بل والمستهلك المنحدر الى الحضيض ـ كل هذا يحيط بلحظة متوقدة على الأقل بالنسبة لمن ألقى بهما القدر فى بوتقتها . انها لحظة شاعرية بجوار النثر الرتيب الذى تدور سطوره على اطار الحياة المجاورة . الشعر الى جوار النثر ، الرتابة المألوفة الى جوار المثير غير المباح ، الانطفاء الى جوار التوقد . ركامات الرماد حول جمرة متقدة .

ثم تمضى الحياة كلها ، لحظات الرتابة والاثارة على حد سواء ، الى الزوال . فما عاد للغرفة الفقيرة ، ولا للسرير الرخيص ، ولا للزقاق القذر ، ولا للاعبى الورق ، ولا حتى للحظة الاثارة والمتعة والانتشاء ـــ لم يعد لكل ذلك وجود بعد أن مضت السنون وولت . ولكن لابد أن شيئا ما يبقى من الماضى الذى كان له وجود ، وهذا الذى يبقى هو الذكرى . والذكرى بالنسبة للشاعر هى العزاء ، هى لحظة التوهج بعد الانطفاء . ولا يلبث الواقع المعاش ذات يوم أن يستثار ، فيعود الى التوقد ، وتعود بذلك الطاقة الابداعية للشاعر الى الانتشاء .

فأنت ترى أيها القارىء ان قصائد كافافيس الحسية ليس الحس مقصودا فيها لذاته . انها تذكارات ومرثيات للحظات تنفض الشعر عن قسمات وجهها ركامات التراب الذي علق بها وطمسها ، مثلما طمست السنين من قبل اديم « المرآة العجوز » (١٥٠) فى قاعة بيت العز الكبير .

والذى يمكن أن نخلص اليه فى هذا المقام أيضا أنه ليس المهم هو « موضوع الذكرى » بل الذكرى فى حد ذاتها ، ليس المهم هو فحوى ما تستعيده الذكرى ، فهذه قد تكون جزئية ذاتية بحت ، وقد لا تعنى غير صاحبها ، ولكن الشىء الرائع هو عملية التذكر فى حد ذاتها . « فالقدرة على التذكر » هو قيمة انسانية كبيرة يمجدها كافافيس فى شعره ، ويعتبرها هى الدرع الذى يقى كيان الانسانية ذاته ، ممثلا فى تراثها الضخم ـــ مهما كانت مادته ذاتيه أو حسية ـــ من الضياع . ولكن الأمر أيضا لا يمكن أن يكون

للاسف الا نسبيا ، فالذكرى ذاتها تصـاب بالتخثـر ، وتضعف وتصبح غير قادرة على اداء وظيفتها . ومن ادراك هذه الحقيقـة تنبع شجنية بعض القصائد الكافافية . وعلى سبيل المثـال ففى قصـيدته « بيعـدا » (٤٣) يقول بجـزع وحسرة « ... أكانت حقا فى أغسطس تلك الأمسية ؟ .. » .

٦٠ ـــ يلاحظ أن صاحب العينين الرماديتين فى هذه القصيدة يظل مبهما ، فلا يعرف ، ولا يصرح الشاعر ، ما اذا كان رجـلا هو أو امرأة . وكذلك فى القصيدة ٧٨ « المنضدة المجـاورة » يظـل جنس الشخص الجالس الى المنضدة المجاورة غير محدد .

٦٦ ـــ ونرى فى هذه القصيدة ترديدا لفكرة من أفكار كافافيس الأصولية ، وهى أن الفن انمـا هـو أداة مرغوب فيهـا لتخليد الذكريات ، فالأشعار ، والتماثيل والنصب التذكارية وغيرها من أعمال الفن تحقق حاجة ملحة من حاجات الانسان ، وهى الحاجة الى مغالبة الزمن ـــ وهذا لو تغلب الفن عليه ـــ ولكن القدر المتيقن على أى حال هو وجود هذه الرغبة الدفينة . وثمة اسطورة قديمة فى هذا المقام تحكى عن أن أول صورة شخصية كانت قد رسمتها فتاة لحبيبها الذى جاءتها الأخبار انه قتل فى الحرب ، فرسمت له صورة كى تحتفظ بذكراه ماثلة أمـام عينيها ، وكلما تطلعت الى الصورة التى رسمتها استعادت هيأة الفقيد الغالى .

وسوف نجد فى هذه القصيدة ايضـا ان ترجمـة العواطف والأحاسيس يمكن انيتم فى لغة اجنبية ايضـا ، كما أن المنحنى

الجنسى قد مس هنا برهافة لا تقلل من الاقبال على تذوق هذه القصيدة التى يطلب فيها صديق من شاعر ان يخلد له بلغة الشعر صورة صديق له مات ، وكان محبوبا أشد الحب لوسامته .

٧٩ ــ فى « قبر لانيس » علاقة حب أو مودة قوية بين رجلين . لكن القصيدة يمكن أن تتقبل وتمر ، ذلك ان القصيدة لا تتكلم عن مدى هذه العلاقة ، ولا عن نوعها . ومن ثم فهى بعموميتها وعدم تركيزها على ما هو عشق للجنس تنطلق الى آفاق رحيبة من اثارة التأملات ، وابتعاث الرموز .

٨٠ ــ على الأرجح فان المشهد مبتدع ، اما الملكان البطلسيان المتصارعان على السلطة ، وهى هنا عرش مصر ، فهما بطليموس السادس الملقب بفيلوميتور أى المحب لأمه ، (انظر « أوجه استياء الملك السورى » ــ ٥٦) وبطلميوس الثامن الملقب افيرغيتيس أى المحب للخير وان كان قد شاع عنه لقب المحب الشر كاكيرغيتيس (انظر « كان الأجدر بها » ــ ١٤٩) وقد احتفظ المحب لأمه بالعرش بتأييد من الرومان عام ١٥٧ قبل الميلاد . ولكن ليس ثمة سند من التاريخ للاشارة التى وردت فى القصيدة من أن الأخوين المذكورين أحالا خلافهما الى عرافات دلفوس أو ديلفى قبل أن يلقى الخلاف حسما من حكام روما .

٨١ ــ « منذ التاسعة » كتبت فى نوفمبر ١٩١٧ وطبعت عام ١٩١٨ وتبعا لترتيب كان كافافيس قد اجراه بنفسه لقصائده ،

وضعت هذه القصيدة فى مقدمة مجموعته الخاصة المعنونة « قصائد ١٩١٦ — ١٩١٨ » .

وفى هذه القصيدة يمكننا أن نلمح قدرة الشاعر على أن يعرض بأقل الكلمات حياة بأسرها . ونستطيع أن نعجب فى هذه القصيدة كيف استخدمت الكلمات لتبين لنا كم هى قصيرة الحياة ، كيف تجرى السنين والساعات سريعة وتخلف مجرد ذكريات يمكن أن تختزن فى مجرد لحظات أمسية ، وان كانت هذه الذكريات هى الحياة كلها ، ثم كيف تختزل حتى الأمسية فى بضع كلمات .

٨٢ — فى قصيدة « اريستوغولوس » أو « اريسطوغولوس » يبدو كافافيس تراجيديا ممتازا يستخدم الصراع الذى هو جوهر فن التراجيديا على أعلى مستوى ويحدثنا عن لحظة تضاد بين ما تبدو عليه الحقيقة فى الظاهر وما هى عليه فعلا . ويلقى بنا بأقل الكلمات فى قلب صراع أميرة تعرف ان ما حدث لابنها لم يكن ميتة عادية ، بل كان اغتيالا وقتلا . وعلى الرغم من أنها تعرف ذلك ، وتعرف من الذى خطط وتآمر لذلك ، وياللأسى لا تستطيع أن تجاهر بالأمر ، فقد كان المتآمر زوج ابنتها . وتضطر الى أن تتظاهر بأنها تصدق ما تقوله عدوتاها كيبروس وسالومى عن الحادث وتصويرهما الزائف ؛ بل الداعر ، له . تسمع ما يقال ، وتعرف حقيقة ما يقال ، ولا تستطيع أن تجاهر بما تخفيه الأقوال . هذا الصراع الذى تبدو فيه الحقيقة مغلوبة على أمرها ، محبطة ومقهورة هى لحظة تراجيدية ، اجاد فيها كافافيس الاستفادة من تراث المسرح اليونانى القديم ، وأضاف

الى الشخصيات التراجيدية شخصية جديدة هي شخصية كبيرة الاميرات اليكساندرا أم اريستوفولوس . وصراعها هو صراع استكمل كافة مقومات اللحظة التراجيدية الفائقة وفق مقاييس نيتشه نفسه ، فهو صراع بين ضرورتين تتنازعان الشخصية على ذات مستوى القوة والالحاح ، ولا يكون البطل بينهما بقادر أن يختار الا بأقصى صعوبة ، وايما اختار ففى هذا الاختيار هلاكه .

وفى قصيدتى « اريستوفولوس » و « عن اليهود » (٨٥) يوسع كافافيس الرقعة الجغرافية لعالمه ، مع بقائه فى الحقبة الزمنية ذاتها وهى من حوالى ٣٠٠ قبل الميلاد الى ٤٠٠ بعد الميلاد . فنراه ، يتحدث عن أحداث تجرى فى سورية ، ولملوك يهود ، دخلوا الى القومية الهلينية .

٨٥ ــ يجب أن يوضع فى الاعتبار أن الاشارة الى « اليهودية » فى هذه القصيدة لم ترد لذات « اليهودية » ، بل لأن « اليهودية » باعتبارها دينا سماويا ، يمكن أن نمثل مستوى أعلى من الأخلاق المثالية ، والتجرد من دنس الجسد والارتقاء الى حب روحى ، كان قادرا ، لو نسبيا ، أن يخلص المؤمنين المتمسكين بها من ممارسات شبقية متردية . ولكن يبدو أن تعاليم اليهودية رغم قدسيتها لم تكن بقادرة أن تنقذ بطل هذه القصيدة من التردى فى الرذيلة ولا أن تمكنه من ان يكون ما أراد على الدوام أن يكون عليه . وهنا تجد الصراع فى ذات البطل بين ما يريده ويتمناه ، وهى الانا العليا ، وبين ما هو عليه فعلا ، وهى الأنا السفلى ، ويبين لنا ما يومىء اليه كافافيس بهذا النحو من صراع فرويدى يوقع الفرد فى تمزقات

وصراعات ، رغم التماسك الظاهرى . ونجد أن التقاليد والقيم الاغريقية الحسية فى سنوات الانحدار تنحاز الى الأنا السفلى ، وتذكى نيرانها ، بينما القيم الدينية (اليهودية) تؤازر الانا العليا ، ولكن بغير ما فاعليه كبيرة على المستوى الواقعى . هـــذه اذن قصيدة وان بدت مركزة ومباشرة الا انها تنطوى عـــلى أكثر مما تفصح عنه . ولا يغير من الأمر شيئا بالنسبة لهذه القصيدة أن نكون بصدد « اليهودية » أو بصدد غيرها من الأديان الســـماوية فهذه كلها أديان أتت بدرجات متفاوته بما يسمى بالحب الروحى ، ونهت عن التردى فى عبودية العشق الجسدى الذى لا يورث الا الأحزان والالم . فهو عابر باطل ولا يبقى منه لممارسه شيئا . كما لا يغير من الأمر شيئا أيضا أن نكون بصـــدد « الهلينيـــة » أو «الايذونية» فان عشق الشهوات ممارسة انسانية معروفة وممتدة عبر العصور والمجتمعـــات مهما تنوعت المســميات أو تبدلت معـــالم الديكور .

٨٦ ـــ يمكن أن تفهم الصورة فى قصيدة « جاءت لتستتر » على أنها لرجل وامراة ، يتلاقيان فى أمسية حارة من يولية فى حانة من حانات الاسكندرية فى أوائل هـــذا القـــرن . ومن الطبيعى فى الصيف أن يكون رداء كل من المراة والرجل خفيفا متحـــررا ، مما يكشف بين الثنايا عن بعض أجزاء الجسد .

وهذه اللقطة الفنية التى لا يمكن أن يلتقطها الا رسام مرهف العين والقلم ، اختزنتها مخيلة الشاعر سنين وسنين ، وعلى حد

قوله ستة وعشرين عاما . والآن ، وهو يكتب قصيدته ، يكتشف أنه لازال يحتفظ بها ، وجاءت لتستقر فى كلمات قصيدته .

٨٧ ــ هــذه ليســت قصــيدة منحــلة ، رغم ما يكتبــه الشاب ايمينــوس فى رسالته عن الشــهوات والمتــع الحســية المنحرفة . بل هى قصيدة تاريخية ، وان شئنا الدقة هى قصيدة نابعة عن انشغال « بفلسفة التاريخ » اذ انها تريد أن تقول أن انحلال الفرد انما يكون عرضا من أعراض انحلال المجتمع ، فلو لم يكن أيمينوس يحيا فى العهد المنحل للملك ميخائيل الثالث لما أصاب هذا الشاب انحلال . فانحلال ايمنيوس من انحلال الملك ميخائيل الثالث وعصره . ومرة أخرى نجدنا أمام قصيدة ماكرة بارعــة ، فبأقل الكلمات ، وبلغة بسيطة مباشرة ، ينقلنا كافافيس الى مجــالات التأمل فى فلسفة التاريخ ، لنتعلم من خلال قصيدة مركزة ما يبذل جهابذة علم السياسة من جهد لتعليمه لتلامذتهم . أن العصر المنحل يفرز أفرادا سيئين ، والحكم المنحل يخــرج مواطنين فاسدين . وعندما تلقى فردا منحلا مثل ايمينوس فلا تقنع بأن أسبابا فردية هى التى قادته الى الفساد بل يجب أن نتــروى ثم نقــول أن ايمينوس هذا هو سمة العصر ، واحد الدلائل عليه .

ويقول بعض الثقاة أن نظرية المتعة الحسية التى نادى بها أيمينوس أخف وطأة بكثير مما كان يجرى عليه الحال فى تلك الأيام التى نسبت اليها القصــيدة ، وهى أيــام « العربيد » ميخــائيل الثالث [٥]

ففى كثير من الأحيان اذن يجعل كافافيس التدهور الخلقى والتعيهر لدى ابطاله مواكبا ورامزا لتدهور وتعيهر الزمن الذى يحيون فيه ، والمجتمعات التى يخالطونها . لهذا فان هذه القصيدة تتحدث — على سبيل المثال — عن ايمينوس الذى كان « داعرا عاهرا » فى الزمن « الداعر العاهر » للامبراطور ميخائيل الثالث .

٩٠ — فى « شمس الظهيرة » تظل كل من شخصية مستأجر الغرفة وشخصية من كان يمارس معه الحب فيها ، مبهمة الجنس .

ونوصى القارىء بأن يأخذ القصيدة على محمل أن من يتحدث فيها ويروى أحداثها امرأة . وليس بمستغرب على الشاعر ، أى شاعر ، أن يتقمص شخصية امرأة ، ويتحدث فى قصيدته بلسانها ، فان ضمير الـ « أنا » فى قصائد الشعر ، وهذا أمر مستقر ومعترف بـه ، ليس بلازم أن يكون الشاعر نفسه ، فقد يكون غيره من البشر مهما اختلفوا عنه جنسا أو مكانة أو موطنا أو زمانا أو تجارب . بل قد يكون هذا الغير « طائرا » أو « حيوانا » أو « ملاكا » أو غير ذلك . واذا لم يضع القارىء نصيحتنا هذه موضع اعتباره ، فانه سوف ينتقص من قيمة القصيدة ويهبط بها الى حسية قد تنبو عن الذوق ، وليس هذا ما تدعو اليه فى فهم ضمير المخاطب عند كافافيس .

كما نود الا يفوتنا أن ننبه القارىء الى عناية الشاعر بوصف الحيز المكانى ومحتوياته وصفا تفصيليا . وعلى الرغم من أنـه

يبدأ بالقول بأن الغرفة كانت مألوفة ومعروفة له جيدا ، الا انـه لما كان يصف من الذاكرة ذلك الحيز المكانى ومحتوياته ، وقد يكون قد مضى وقت طويل على استرجـاع تلك الذكـرى ، فهو ليس متأكدا من مكان الأشياء على وجه التحديد فى الغرفة . فهل كان الدولاب أو المرآة الى اليمين منها ، أم فى المواجهة .

ثم لاحظ كم يعامل الشاعر الأشياء بمودة ويعتبرها مثل البشر عندما يدركهم الاهمال ، لابـد انها أوانهم مكومون فى مكان ما ، « لا زال لهذه الأشياء المسـكينة ، ولا شـك ، فى مكان ما ، وجـود » .

٩٤ بـ فى قصيدة « شباب سيذونوس » (٤٠٠) يعتز كافافيس بالشعر والشعراء ، ويعتبر ان ممارسة الفن فى حياتهم لا يقل شرفا عن الانتصار فى المعارك والحروب ضد الأعداء . ويبدى الشاب عاشق الأدب شـكوكه القويـة أن يـكون الشـاعر الاغـريقى الكبـير ايسخيـلوس صـاحب التراجيديـات الكبـيرة قد كتبه لنفسـه ما كتب عـلى ضريحه ، فقد جاء على ضريح ايسخيلوس انه حـارب مع من حاربوا ضد آرتافيرنيس ملك الفـرس ، وقائده داتيس شديد المراس . ولا يشير الشاعر الكبير على نصب ضريحه ، الى ما كان أولى بالاشارة ، أو على الأقل لا يقل شأنا عن استبسالة فى القتال دفاعا عن الوطن ، الا وهو كتابة الشعر ، وأى شعر ! فقد ترك ايسخيلوس لنا تراثا من الشعر الدرامى ، كان فخرا له ولأمته على مر الأجيال .

وتركز القصيدة على استهجان ما ألفه الناس من تقليل شأن الفنون والآداب ، فكاتب القصيدة أو راويها يستبعد ، كما قلنا أن يكون ايسخيلوس نفسه قد أوصى أن تكتب تلك الكلمات على قبره . بل هي في نظره من وضع اناس آخرين وضعوها على قبره بعد مماته ، وهؤلاء الناس ممن لا يعتدون بقيمة الفنون والآداب ، ويبخسون الشعرحقه من التكريم والتبجيل . ومن ثم ، انصرفوا الى تسجيل اشتراك ايسخيلوس في معركة الماراثون ضد الفرس ، واغفلوا معركته الكبيرة التي تفرد بها وبرز فيها ، معركة الشعر رغم أن هذه المعركة هي التي يجب أن يعتز بما حققه على ساحتها من انتصارات . ولئن كان وقوف الشاعر جنديا في صفوف أبناء أثينا دفاعا عن الوطن ، هو بدوره مفخرة اعتز ايسخيلوس نفسه بها الا انها مفخرة تضاف الى أمجاده الحقيقية ، التي قل أن يحقق آخرون مثلها ، وهذه الأمجاد هي التراجيديات الرائعة التي كتبها ايسخيلوس لبني قومه ، ثم للأجيال التالية .

ويستنكر راوي القصيدة ، أن يأتي ذلك الاغفال لقدر الشعر ، وما حققه فيه ايسخيلوس من انتصارات تفرد بها — يأتي ذلك الاغفال ممن كان بدوره شاعرا ، وجاء الى سيذونوس لينشد ضمن ما اختار في أمسيته الشعرية تلك المرثية التي يغفل من كتبها انتصارات شاعر في مجال الكلمة والفن ، مقتصرا على التنويه بالانتصار في معركة الماراثون التي

اشترك فيها ايسخيلوس نفرا ضمن انفار من حاربوا . ولهذا فقد هب عاشق الأدب الشاب غض الأهاب وكان من شبان سيذونوس الخمسة الذين حضروا الامسية — هب واعترض على الممثل الذى اختار ضمن ما اختار لينشده مرثية ايسخيلوس المذكورة ، وقد أبدى الشاعر الشاب وجهة نظره التى ارتكن اليها فى الاعتراض ، ولكنه وجه أيضا لوما لذلك المنشد اذ اختار تلك المرثية المرفوضة لتخاذلها عن ذكر أمجاد ايسخيلوس الحقيقية ، فقد اعتبر عاشق الشعر جبنا من المنشد الذى أتى الى سيذونوس أن يرضى بقصيدة تقتصر على تسجيل واقعة ليست أهم حدث أو انتصار فى حياة ايسخيلوس . كما يهيب عاشق الشعر بالمنشد أن يحسن الاختيار فى المستقبل . وأن يكرس حتى فى أوقات المحن ، بل وعلى فراش الموت ، كل انشغاله لما يكتب أو ينتقي من قصائد الشعر ، ما دام قد اختار لنفسه أن يكون شاعرا .

وربما أمكن اعتبار هذه القصيدة امتدادا لقصيدة كافافيس « أولى درجات السلم » (٤) .

كما يراعى أخيرا ، اننا فى قصيدة « شبان سيذونوس » حذفنا من آخرها اسمى ارتافرنيس ملك الفرس وقائده ذاتيس . واكتفينا بالاشارة الى « ملك الفرس وقائده » .

٩٥ — وفى قصيدة « ذاريوس » يزيدنا كافافيس ايضاحا عما يتطلبه من الشاعر كواجب حتمى عليه . وهو ما بدأ فأشار اليه فى نصيحة الشاب غض الأهاب عاشق الأدب بقصيدة « شبان سيذونوس ٤٠٠ ميلادية » (٩٤) فها هو هنا فى

« داريوس » يوضح لنا من جديد كيف أن الشعر بالنسبة الشاعر قدر ومصير . أن فيرنازيس قد وجد فى لحظة محنة حقيقية ، اذ خربت مشاريعه بسبب دخول بلده الحرب ضد الرومان ، والأمل ضئيل عنده فى الانتصار على جيوش الرومان ، الذين هم أشد الأعداء اثارة للرعب فى النفوس ، بل ان المدينة التى يحيا بها ، وهى مدينة تمارس التجارة ، لا تتمتع باستحكامات حصينة تصد جحافل الجيوش الغازية عند الهجوم عليها . وقد كان الشاعر فيرنازيس على وشك أن يبلغ انتصاره الساحق على نقاده وحاسديه بانجاز ملحمته عن داريوس ، الجد الأكبر الذى ينحدر عنه الملك الحالى ، وعلى الرغم من كل المهالك والأخطار المحدقة بفرنازيس فهو لا يتوقف عن التفكير فى قصيدته . بل أن متاعبها تروح وتجىء فى خاطره حتى وان دنت نهايته ، فهو للقصيدة خادم وراع ، وعليه أن ينجزها مهما كلفه ذلك من عناء ومهما أذلهمت من حوله خطوب الزمن .

٩٦ ــ وقصيدة « نبيل بيزنطى ينظم شعرا فى المنفى » نموذج للقصائد التاريخية التى كتبها كافافيس ، وايما كانت براعة صنعته الا أن الاستمتاع بها لا يستغنى عن الالمام بدقائق اللحظة التاريخية التى يتخذها مادة لقصيدته . وعدم الالمام هذا بدقائق اللحظة التاريخية فى حد ذاته قد يصنع حائلا بين تذوق هذه القصائد من جانب المتذوق الذى لا يعرف ابتداء تاريخ اليونان والرومان القديم ، وتتجلى هذه العقبة بشكل

اكبر بالنسبة للمتذوق الأجنبى ، وان كان هذا لا يمنع وقد عرف القارىء مكانة كافافيس الشعرية ، من أن ينشط الى تتبع الخلفيات التاريخية لشعره . ولهذا كان من المجدى أن نلحق بترجمة القصائد بعض الاشارات اللازمة لاستجلاء جوانبها التاريخية وهو ما اتبعناه اقتفاء لأثر مترجمى شعر كافافيس الى الفرنسية والانجليزية ايضا .

١٠٠ ــ كتبت « ذيماراتوس » لأول مرة فى أغسطس ١٩٠٤ ثم أعيد كتابتها فى نوفمبر ١٩١١ وطبعت فى سبتمبر ١٩٢١ . وليسمح لى القارىء أن أطلب منه الاعجاب بهذا الشاعر الذى ما كان الشعر بالنسبة له عملية عفوية ، تتم فى لحظة عابرة دون اناة ولا معاناة . ان كافافيس كما هو واضح من تواريخ كتابة قصائده ، وطبعها ونشرها ، كان فى كثير من الأحيان يعكف على صياغتها المرة تلو المرة وهو بذلك يعطى الشعراء ، وعلى الأخص الشعراء المحدثين المتعجلين للنشر والشهرة ، درسا ذا دلالة عميقة ، وهو التأنى ، فليس الفن لعبة ، بل هو معاناة حياة .

واذا أمكن أن تعلو الابتسامة شفتينا ، ونحن نتابع فى حسرة الشاعر فيرنازيس (٩٥) الذى رغم كل المحن المدلهمة من حوله ظل ذهنه متعلقا بفكرة القصيدة التى يكتبها ، فان الابتسامة لا يمكن أن تعلو الشفاة ، ونحن نعاين ذيماراتوس ، وقد تكالبت عليه الأقدار ، وأوقعت بـه من الظلم ما لم تعمد بعد ذلك

الى رفعها عنه . فقد ذيماراتوس بن أريستون ملك أبيـــه وتواطأ فى ذلك عراف الآلهة الذى ارتشى فأذاع ـــ ربما على غير الحقيقة ـــ ان ذيماراتوس ليس ابنا شرعيا لأبيه . وعلى الرغم من أن الشاب ذيماراتوس تنازل عن كل شيء، وارتضى أن يحيا مثل عامة بنى شعبه فى هدوء وبعيدا عن الأضواء ، فان خصومه لم يقتنعوا بذلك بل مضوا فوجهوا اليه أشد الاهانات أمام الجماهير فى الاحتفالات الشعبية التى كان يقيمها اليونانيون فى شتى المناسبات . فشد ذيماراتوس رحاله الى أرض الفرس ، حيث لقى الاكرام من ملكيها المتعاقبين . وقد قدر ذيماراتوس أن عودته الى عرش مدينته المسلوب مرتبطة اشد ارتباط بدخول الفرس ارض اليونان غزاة منتصرين . ولكن جهـــوده فى النصح والارشاد لمـــا يجب أن تفعله جيوش الفرس من اجل غزو اليونان لم تكلل بالنجاح . وما ان اشتبك الفرس فى معركة فاصلة مع اليونانيين بانت بوادر الهزيمة تحيق بالفرس وبالتـــالى تنهار آمال ذيماراتوس الذى يكون بذلك قد ظلم من القدر مرتين . وان كانت التراجيديا الكافافية تعود فتصحح من التوازن بين الكفتين ، وتعطى الحجج المضادة للملك الشاب دعما متمثلا فى أنه انما لا يستحق سوى ما حاق به من اندحار ، فهذا غضب من الآلهة وعقاب على خيانته لمدينته ومقدساتها بانضمامه الى صفوف الأعداء .

ولعل « ذيماراتوس » من الشخصيات التى يجدر أن نضمها بدورها الى قائمة الشخصيات التراجيدية لدى كافافيس .

١٠١ ـ وفى قصيدة « صانع الآنية » يتذكر صانع الآنية صديقه الذى قتل فى معركة مغنيسا منذ خمسة عشر عاما مضت . ويحاول أن يعتصر ذاكرته كى يستحضر كافة التفاصيل . وبهذا يجمع كافافيس فى قصيدته بين زمنين . ونتابع فى قصيدة « صانع الآنية » أو « خزاف جرار النبيذ » تداعيات الصبا ، والجمال ، واللهو ، والجندية ، ثم الهزيمة والموت . ويحاول الفنان أن يثبت فى عمله هذه المعالم الأساسية العالقة بذاكرته لا عن حياة الشاب الذى يرسمه فحسب بل وعن حياة الانسان بصفة عامة . وان الانتقال من البستان والزهر وجداول المياه الى ساحة الحرب حيث الدمار والموت . هو انتقال دبره الشاعر بذكاء ، ولم يكن مجرد نزوة تصويرية فحسب ، وكذلك أيضا فان الاشارة الى الجسد الفتى العارى ، لم يكن هنا لانشغال شبقى بل لاتاحة الاحساس كاملا بعد ذلك بتخرب الجسد الوسيم وتخثره وفساده مثل الزهرة التى يعتريها الذبول ، بجوار جدول ماء منساب ، فيذا بدوره ايحاء رهيب بالخلود والأبدية .

١٠٤ ـ تكمل قصائد كافافيس بعضها بعضا . وتبدو فى النهاية حبات فى عقد محكم ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة « ملك سورية » (١٠٤) فهى ترتبط بقصائد أخرى مثل القصائد أرقام ٥٤ و ٥٦ و ٨٠ و ٨٩ و ١٩٧ وأيضا تلك المتعلقة ببوليانوس أرقام ١٠٨ و ١١١ و ١٢٦ و ١٢٧ .

وفى قصيدة « ملك سورية » استبحنا لأنفسنا أن نجرى

بعض التعديلات فى الأسماء . فبينما ترجمنا عنوان القصيدة « ملك سورية » فان هذا العنـوان فى اليونانيـة هـو « انطيوخوس ابيفانيس » وانطيوخوس ابيفانيس أو انطيوخوس المبرز كان ملكا على سورية فى الفترة من ١٧٥ الى ١٦٤ ق.م وهـذا ما جعلنا نختار عنوانا للقصيدة « ملك سورية » وحيثما ورد فى القصيدة اسم « انطيوخوس ابيفانيس » أحللنا محله فى الترجمـة « ملك سورية » مع مراعاة أيضا أن اسم انطيوخوس منسوب الى مدينة انطيوخيا عاصمة سورية قديما ، وهى بالعربية « انطاكية » ولهذا فاننى اعتقد أن التعديلات التى أدخلناها فى الترجمة مبررة .

١١١ — وفى قصيدة « يوليانوس فى نيقوميذيا » يعود كافافيس الى رسم صورة مركزة وشـديدة التعبـير عن شـخصية منافقـة مرائية . تتصنع الغيرة الشديدة على المسيحية ، بينما هى وثنية المعتقد محبذة للآلهة القدامى ، باسم القومية أو الأصولية ، التى ترى أن المسيحيـة جـاءت تهـديدا جسـيما لهـا ، ولمـا كان الافصاح عن العقيدة الوثنية وممارسة خوارق السحر للطبيعة فى زمن صار فيه للكنيسة اليد الطولى ، والقوة الحقيقية ، هو من الأعمال الخطرة التى قد تعرض المفصح عن وثنيته للأذى ، الذى قد يصل الى حد الاعدام كما حدث فعلا لغالوس شقيق يوليانوس . لهذا فعندما شاعت بين الناس شائعة عن ارتداد يوليانوس ، ولم يكن مستشاروه من الحكمة أن ينبهوه الى مغبة الافراط فى الظهور بمظهر المتحاز

للالهة الوثنية ، أضحى الخطر الذى يهدد يوليانوس كبيرا ، وكان يجب — على حد قول مارادونيوس مربيه وولى أمره — قطع دابر الشكوك والاشاعات . ولهذا ، فقد عمد يوليانوس الى الفعل الذى لا يروق لقلبه ، ولكنه اضطر اليه اضطرارا اذ كان يجب أن يخرس الألسنة الحداد التى شرعت لايذائه ، فعمد الى تمثيل دور رجل الدين المسيحى الذى يقرأ الأناجيل بخشوع ويرتعش صوته وتعلو نبراته من فرط الايمان والحب لما يقرأ . والجدير بالملاحظة فى هذه القصيدة التى ترقى الى مستوى فن التراجيك — فارس الحديث . أن الجماهير البريئة الساذجة كادت تصدق فعلا هذا الدعى ، وتعجب به لشديد ورعه ، وايمانه بالمسيحية .

١١٢ — سوف نلاحظ على قصيدة « قبل أن يغيرهما الزمن » تفرقة كافافيس بين صورتى الانسان ، صورته فى شبابه ، وصورته فى شيخوخته ، وكيف أن الذكرى يمكن أن تحتفظ بصورة الصبا ، حية دائما ، رغم أنها لا تضحى مطابقة للواقع فى لحظة ما ، وذلك عندما يمضى الزمن قدما ، ويدفع بالانسان ، شاء أو لم يشأ ، الى خريف العمر . وسوف تظل الصورتان حقيقيتين على المستوى الانسانى السيكلوجى ، وان لم تكونا كذلك على المستوى الواقعى البيولوجى . وهذه التفرقة بين الصورتين ، واستعانة كافافيس بفن الشعر كى يبقى « صورة الربيع » ويقصى الأخرى « صورة الشتاء أو الخريف » هى محاولة يدأب عليها كافافيس ويعملها فى

كثير من قصائده . وهذا التشبث بفن الشعر ضد الموت والدمامة والتخثر ، وكلها نتاج لقوانين الطبيعة الصارمة ، تضفى على قصائد كافافيس شجنية تكسوها بجمال اضافى .

ونجد فى قصيدة « قبل أن يغيرهما الزمن » أيضا ، اشارة الى أن القدر بدوره يؤازر الشاعر فى أبعاد شبح الدمامة والتخثر عن الوجود الانسانى . وذلك بتدخل القدر موقعا الفراق بين الصاحبين مبكرا ، حتى يظل كل منهما يذكر صاحبه على صورته التى كانت له عند الفراق . فالقدر فنان ايضا ، ويجدر بالشاعر أن يمسك باللحظات التى يتجلى فيها القدر فنانا ، رغم قسوة تصاريفه . ولئن كان الفراق فى مظهره يبدو قاسيا مؤلما بعض الأحيان . الا انه فى مخبره قد يكون ابداعا ، لأنه كما تجلى فى خصوصية هذه القصيدة قد حجب عن كلى الصاحبين ، صورة الآخر التى ستضحى دميمة متخثرة .

وهذه القصيدة ، رغم انها تومىء الى بعض العلاقات الحسية بين الصاحبين ، الا أن هذه الايماءات ليست صريحة سافرة ، ويمكن عدم الالتفات اليها . ومن ثم يتسنى تذوق القصيدة على المستوى الانسانى الذى يرقى اليه عديد من قصائد كافافيس ، رغم كل شىء .

١٢٥ — تتكلم قصيدة « فى مدينة بآسيا الوسطى » — وهى قصيدة تاريخية — عن موقف الشعوب من حكامها الذين لا ينتمون

اليها ، ولا ينبتون نبتا طبيعيا من أرضها . فهذه الشعوب تقف موقف المتفرج السلبى لما يحدث لؤلئك الحكام ، ان كان شرا أو خيرا هذا الذى يحدث . ومن ثم ففى هذه القصيدة لا يعنى تلك المدينة اليونانية بآسيا الصغرى أن يكسب معركة اكتيوم البحرية انطونيوس أو أوكتافيوس ، فكلاهما من أباطرة الرومان . وعلى ذلك فالأمر سيان بالنسبة لشعب تلك المدينة المغلوب على أمره . وهذا النوع من « عدم الاكتراث » سنجده فى قصائد كثيرة من قصائد كافافيس ، مثل قصيدة « ملوك الاسكندرية » (٣٥) .

١٢٦ ــ ان المغزى الذى نستخلصه من قصيدة « يوليانوس وأهل انطاكية » هو ان من الناس من لا تعنيهم الأفكار والقيم ، الا بالقدر الذى تحقق لهم منافعهم المادية . ومن هؤلاء أهل انطاكية ، فهم مع المسيحية ، وهم أيضا مع الوثنية ، وهم فى حقيقة الأمر لا مع المسيحية فى حد ذاتها ، ولا ضد الوثنية ، بل هم مع هذه أو تلك ما دام أى منهما يتيح له أن يشبع شهواته . فالقيم والنظم المبنية على هذه القيم لا تعنيهم الا بالقدر الذى يكفل لهم أن يمارسوا حياتهم ، وهم فى هذه الحياة ليسوا على خلق ، بل أن الفن ، فى نظرهم ، ليس هو الفن الرفيع ، الذى يرقى بالانسان الى أعلى المستويات المثالية ، بل هو الفن الذى يشبع الغرائز . وعلى ذلك فالفن بالنسبة لأهل انطاكية ليس قيمة وغاية فى حد ذاته ، بل هو أداة لتحقيق ما قد يكون منحطا ودنيئا . فالمهم بالنسبة لهؤلاء الناس

فيما يبشرون به من تعاليم دينية هو ما لا يصدع أدمغتهم ، ولا يأبى عليهج الانصياع للشهوات ونزوات الجسد .

وحرف « الميم » انما يرمز للمسيح . وحرف « القـــاف » يرمز الى قسطنديوس الذى كان عم يوليانوس وسلفه فى العرش .

١٢٨ ــ فى قصيدة « كاهن معبد سيرابيس » أو « كاهن السـيرابيوم » وهو الاله الثور الذى كان معبودا فى أماكن عديدة ، ومنها الاسكندرية ، قبل مجىء المسيحية ــ فى هذه القصيدة يلتقط كافافيس لحظة درامية تثير فى قلب القارىء الشجن والحزن والحسرة . وتدفعـــه الى تأمل النحـــو الذى تقيم فيه الظروف الخارجة عن ارادة الانسان منه عدوا ، لأحب الناس اليه . ولا شك ان الألم الممزق لأحشاء الابن مزدوج ، بسبب ما يعانيه من صراع يذكرنا بالتراجيدية اليونانية القديمة . فالابن يبـــكى وفـــاة الأب الطيب العجوز من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، يبكى لأنه قد وضع رغما عنه فى موقف يحتم عليه الا يبكى على المتوفى لأنـــه كان منتميا الى العقيدة التى كـــرهها الابن من كل قلبه ، وجحـــدها منضما الى صفوف المسيحيين . وهل يبكى متدين مسيحى ، وثنيا يموت على وثنيته ؟ ولكن ألا يتغير السؤال اذا كان هذا الوثنى المتوفى أبـــاه الحبيب الذى ظل على حبه لابنه ، رغم انه خرج عن عقيدة أجداده ؟ أيضن الابن ، ولو كان مسيحيا ، بدموع الوداع على أبيه العجوز

الطيب ؟ والآن ، لعلنا لمحنا مدى ما يتأجج من أوار درامى أصيل فى هذه القصيدة المركزة المحكمة الصنعة ، عواطف تتضارب وتتطاحن وكلها على ذات المستوى من الالحاح والقوة ، فـانى للابن العزاء ، والفرار من الآلام المتصارعة . هذه التراجيديات . توجد على الدوام فى الفترات الانتقالية من تاريخ البشرية ، التى يظل يتجاذبها الصراع بين ماض لا يريد أن يتراجع ، ومستقبل لا يرحم . ألم يقل السيد المسيح عن رسالته : اننى انما جئت لأفرق ، أفرق الابنة عن أمها ، والكنة عن حماتها .

هكذا تلتقط اللبنات التى نبنى منها القصائد الخالدات . وعلى الرغم من أن عبادة آبيس قد انقرضت الآن ، وكتب للمسيحية ، وبحق ، الانتصار والاستمرار ، الا أن لحظة مثل اللحظة التى يبكى فيها الابن أباه كاهن السرابيوم الملعون ، أباه العجوز الطيب العطوف ، سوف تظل من اللحظات التى تؤرق الانسانية ، وتمنحها العزاء أيضا .

١٤٥ ـــ وقصيدة « الكساندروس والكسندرا » أو « اسكندريانيوس والكسندرا » نموذج طيب على سخرية كافافيس المستترة ، والمكبوح جماحها ، فأولياء أمور اليهود فى الدولة اليونانية ، سنوات وسنوات مضوا يكافحون ، من أجل ماذا ؟ أمن أجل استقلال ، من أجل ثورة وقلب لنظام الحكم ولاحلال دولة يهودية محل الدولة اليونانية ؟ كلا ، ان كل ما سعوا اليه

وطمعوا فيه ، وقد تحقق لهم فى النهاية ، أن يرقوا الى مصـــاف السادة اليونانيين ، وأن يعاملوا معاملة المتأغرقين الذين يتسيدون على أرض الشام . ومن أجل هذا فهم يتحدثون اليونانية ، ويتشبهون بعلية القوم من اليونان ، وذلك حتى يكون لهم مكانا فى البلاط اليونانى . ويضحوا من أعيان اليونان ، رغم أن هؤلاء اليونانيين أصبحوا تابعين للرومان بعد ذلك . فؤلئك اليهود يجاهدون من نحت الصفر الى الصفر . وليس الى ما هو أعلى من ذلك .

١٤٦ ـــ ونعاين فى « هيـــا ، يا ملك اللاقوديميين » لحظـــة تراجيدية من لحظـــات كافـــافيس ، ونلتقى بالملكة الأم التى وان أضحى كل شىء خارجا عن سلطانها ، فلازالت تحتفظ بشىء واحد ، شىء واحد عزيز المنال ، وعظيم ، الا وهو كرامتها . فهى تطلب من ابنها « فى اسبارطة » (١٣٩) الا يدع أحدا من أهل اسبارطه يراه يبكى وهو يودع أمه الى منفاها حيث ينتظرها المجهول . فهى فى لحظة الخطر ، تطمئن ابنها المضطرب ، وتهدىء من روعه بحنان الأم وتقوى من عزيمته ، حتى يستطيع أن يواجه الشدة بإباء وصمت ، مرفوع الرأس مثلها ، دون أن يدع أحدا يتعرف على ما بداخله من لواعج الأحزان والآلم . ويتجلى الصراع الدرامى من جديد بين ما يصطخب فى الداخل من عواطف قوية ، وبين ما ينطبع عـــلى القسمات الخارجية من سكون ورصانة . كما يتجلى الصراع بين

لحظة الضعف وموقف الشجاعة المتخذ مهما كان الثمن . وان لحظة الهزيمة الحق بالنسبة لهذه البطلة التراجيدية سوف تكون لو تصرفت أمام اناس بتخاذل وضعف ، فعندئذ يكون عدوها قد تمكن منهـا وانتصر . فهذه البطلة المهزومة لا زال النصر تاجا على هامتها ، لأنها لم تركع لعدوها وتحنى الراس أمام المحنة .

١٤٧ ـــ كل شيء ينقضى بالموت ، ولكن الذكريات تبقى وأحيانا تكون طعنة نجلاء فى القلب . وعلى المستوى الجمالى فان العلاقة بين الزهر الأبيض ، والعلاقه المخفقة جديرة بالملاحظة . كما أن العلاقة الرباعية بين الزهر الأبيض ، والصبا الذى قطفه الموت ، والنعش الخشبى الفقير والعلاقة المخفقة ، جديرة بكل اعتبـار ايضا ، لتنامى الاحساس العاطفى والتشـكيلى جنبا الى جنب فى القصيدة . وتجلب هذه الملاحظة اجابة على التساؤل لماذا اختـار الشاب زهرا أبيض ليضعه على نعش صديقه الذى اختطفه الموت شابا . ويجدر أن نلفت الأنظار هنا الى ان كفافيس كان شديد الاهتمام بانتقاء التفاصيل الصغيرة فى قصائده .

١٥٠ ـــ يمكن عند تذوق قصيدة « المرآة فى القاعـة » أو « المرآة العجوز » أن نسقط من الحسـبان أى ايماءة جنسـية . ونتذوق القصيدة على أنها صورة رائعة من خلال تلك العلاقة بين مرآة عجوز نضبت الحيوية من عروقها ولكنها لا زالت تتوق الى

الشباب ، الى شبابها بالأخص ، وليت الشباب يعود حقا ، فاذا لم يتسن للشباب أن يعود ، فلا أقل من أن تبحث المرآة لشبابها الغائب عن بديل . وقد انتظرته طويلا ، ورأت عبر سنيها الطوال الكثير من الأشياء والوجوه ، وجثم على صدرها من الدمامات ما لم يكن لها قبل بطرحها ، عن أديمها ، وان مضت تقبلها فعلى مضض . وهذه حياتنا جميعا ، تمضي في خضم ما هو مفروض علينا من علاقات ومواقف ، تمضي ساعاتنا مطمورة تحت ركامات من الرتابة ، والغثاثة بل وما لا يطاق ، وان كان في الانسان جهاز داخلي يمكنه من التأقلم والتطبع ، وفي النهاية ارتضاء ما لا رضاء به في البداية . هكذا تمضي حياتنا ، وفجأة تومض لحظة أو ربما ما هو أقصر من لحظة ، نشعر فيها اننا لم نعش من قبل قط ، وان العمر كله قد تبلور في هذه اللحظة ، وقد لا نكون بقادرين أن نمسك بها ونبقيها ، فوجودها يتأبى على تحكمنا ، فتزول هذه اللحظة ، ولكن لوقت أطول بكثير ، يظل الانطباع الذي تركته في نفوسنا وتبقى عالقة بأذهاننا ووجداناتنا ، ذكرى هذه اللحظة العابرة الفائتة . وهذا ما عناه انطباع هيئة الصبي الوسيم على أديم المرآة العجوز . ولنا أن نتأمل على أي نحو كان عليه أديم تلك المرآة العجوز . أكان منطفئا باهتا ، فلا تنطبع عليه الصور الا على نحو معتم تحاصره الظلال والصدأ ؟ أم أن هذه المرآة العجوز

مضت تختزن ما كان لها من حيوية منذ ثمانين عاما ، غظل أديمها وضاء يعكس الصور طلية مثل ما هي عليه في واقعها ؟ ولنلاحظ في هذا المقام أن كافافيس كان ينفر من الاسترسال في الوصف ، وكان يقتصر في صوره الشعرية على أقل التفاصيل . ولهذا جاءت صوره مفتوحة ، مبهمة ، موحية . ويمكن أن نرصد في هذا المقام أحد مقومات صنعة كافافيس الفنية ، الا وهو الميل الى الحذف أكثر من الاضافة . انه « فن مقطر » . وفي هذا المقام يحضرنا الدرس الأريب الذي أعطاه المثال رودان لأحد تلامذته . فقد وقف رودان وتلميذه أمام تمثال من عمل هذا الأخير ، تأمله الأستاذ ، ثم تناول المطرقة ، وهوى بها على ذراع التمثال . انزعج التلميذ وقد أصبحت فتاة التمثال بلا ذراع . وقال لأستاذه حزينا « ولكن الذراع كان جميلا » . فأجابه رودان بكل هدوء وثقة « ولهذا أزلته » ان الجمال ، يجب — سواء في الشعر أو النحت — ان يكون موحى به ، وليس مطروحا كالبضاعة الرخيصة على الأرصفة .

ومما يجعل هذه القصيدة أكثر تقبلا من القارئ العربي دون انصراف الذهن لا ابتداء أو انتهاء الى أي انشغال شبقي ، هو أن المرآة في اللغة العربية مؤنثة . ومن ثم يكون احتضان المرآة لهيئة الفتى الوسيم واحتواؤها له علاقة طبيعية لا يشوبها أدنى شائبة ، وقد لا يتأتى تذوق القصيدة على هذا النحو وبهذه

السهولة فى اللغة اليونانية ، حيث « المرآة » (كاثريفتى) مذكر ، وعندئذ يكون الاحتضان ، والاحتواء من رجل لرجل . ولكن حتى على هذا المستوى ، فلنعاين كم يتوق أى عجوز رجلا كان أو امرأة الى الشباب . ان انطبـاع صـورة الفتى الوسـيم عـلى المرآة العجوز فى قصيدة كافافيس ، انما يمثل اللحظات الفريدة الرائعة التى يجد أى عجـوز نفسـه وقد عاد الى شبابه ، ولو عـلى المستوى المعنوى وليس بلازم الجسدى .

المحتـــوى

الصفحة

إهـــداء ٣
مقدمـــة ٥
القصـــائد ١٧

قبـــل ١٩١١

١ ـــ رغبـــات ١٩
٢ ـــ اصـــوات ١٩
٣ ـــ دعـــاء ٢٠
٤ ـــ أولى درجـات السـلم ٢٠
٥ ـــ رجـل عجـوز ٢١
٦ ـــ شـــموع ٢٢
٧ ـــ ثيرموبيليس ٢٣
٨ ـــ الذى أقدم على الرفض الحاسم ٢٤
٩ ـــ أرواح العجـائز ٢٤
١٠ ـــ ايقـــاف ٢٤
١١ ـــ النوافـــذ ٢٥
١٢ ـــ أهـــل طروادة ٢٥

الصفحة

١٣ ــ وقــع الاقــدام ٢٧
١٤ ــ مـــال ٢٨
١٥ ــ اســـوار ٢٨
١٦ ــ فى انتظـــار البرابرة ٢٩
١٧ ــ حنث بالوعـــد ٣٠
١٨ ــ جنــاز ســـاربيذون ٣٢
١٩ ــ حاشـــية ديونيسيوس ٣٣
٢٠ ــ جــوادا اخيــل ٣٤
٢١ ــ انــه لرجل عظيم ٣٦
٢٢ ــ الملك ديمتريوس ٣٧
٢٣ ــ المدينـــة ٣٨
٢٤ ــ الولايـــة ٣٩

— ١٩١١ —

٢٥ ــ الخامس عشر من مارس ٤٠
٢٦ ــ عندما تخلى الآلهة عن انطونيوس . . . ٤١
٢٧ ــ أشياء منتهيـــة ٤٢
٢٨ ــ أرض الأيـــونيين ٤٢
٢٩ ــ مثـــال تيـــانى ٤٣
٣٠ ــ الأشـــياء الخطـــرة ٤٤
٣١ ــ أمجـــاد البطالســـة ٤٥
٣٢ ــ ايثـــاكا ٤٥

الصفحة

- ١٩١٢ -

٣٣ ـ هيرودس اتيكوس ٤٧
٣٤ ـ محب الهلينية ٤٨
٣٥ ـ ملوك الاسكندرية ٤٩
٣٦ ـ فى الكنيسة ٥١
٣٧ ـ عد ٥١

- ١٩١٣ -

٣٨ ـ قدر امكانك ٥٢
٣٩ ـ شديدة الندرة ٥٢
٤٠ ـ مضيت ٥٣
٤١ ـ نفائس الدكان ٥٣

- ١٩١٤ -

٤٢ ـ قبر الغوى ليسياس ٥٤
٤٣ ـ بعيدا ٥٥
٤٤ ـ ضريح أفريونوس ٥٥
٤٥ ـ الثريا ٥٦

- ١٩١٥ -

٤٦ ـ ثيونوتوس ٥٧
٤٧ ـ الحكماء يبصرون ما هو وشيك الحدوث . . . ٥٨
٤٨ ـ البحر فى الصباح ٥٩
٤٩ ـ عند باب المقهى ٥٩
٥٠ ـ أورفيرنيس ٦٠

الصفحة

٥١ ــ تسم ٦٢
٥٢ ــ أشياء مرسومة ٦٢
٥٣ ــ ذات ليلة ٦٣
٥٤ ــ معركة مغنيسيا ٦٤
٥٥ ــ عمانوئيل مكومنينوس ٦٥
٥٦ ــ أوجه استياء الملك السورى ٦٥

— ١٩١٦ —

٥٧ ــ فى الطريق ٦٧
٥٨ ــ عندما تتقلب ٦٧
٥٩ ــ أمام تمثال انديميون ٦٨

— ١٩١٧ —

٦٠ ــ رماديتان ٦٨
٦١ ــ فى مدينة اسروين ٦٩
٦٢ ــ واحد من آلهتهم ٧٠
٦٣ ــ قبر ياسيس ٧١
٦٤ ــ مرور عابر ٧١
٦٥ ــ عند الغروب ٧٢
٦٦ ــ عن أمونيس ، الذى مات فى التاسعة والعشرين
من عمره ، عام ٦١٠ . . . . ٧٢
٦٧ ــ فى شهر هاتور ٧٣
٦٨ ــ قبر اغناتيوس ٧٤
٦٩ ــ من فرط ما تأملت ٧٥
٧٠ ــ أيام ١٩٠٣ . . . . ٧٥

الصفحة

٧١ — عند دكان السجائر ٧٦
٧٢ — المتعـــة ٧٦

— ١٩١٨ —

٧٣ — قيصرون ٧٧
٧٤ — فى مدينـــة ساحلية ٧٩
٧٥ — أيها الجسد ، تذكر ٧٩
٧٦ — قبر لانيس ٨٠
٧٧ — نهايـــة نـــيرون ٨١
٧٨ — المنضدة المجـــاورة ٨٢
٧٩ — المغـــزى ٨٣
٨٠ — رسل من الاسكندرية ٨٣
٨١ — منذ التاســـعة ٨٤
٨٢ — اريستوفولوس ٨٥
٨٣ — تحت البيت ٨٦
٨٤ — ايمليانوس مونـــائى ، الســـكندرى ٦٢٨ — ٦٥٥ ميلاديـــة ٨٧

— ١٩١٩ —

٨٥ — عن اليهود ٥٠ ميلاديـــة ٨٨
٨٦ — جـــاءت لتستقر ٨٩
٨٧ — ايميـــنوس ٩٠
٨٨ — على ظهر سفين ٩٠

الصفحة

٨٩ — عن ديمتريوس سوتيروس (١٦٢ — ١٥٠ قبل الميلاد) ٩١
٩٠ — شمس الأصيل ٩٣

— ١٩٢٠ —

٩١ — لو كان قد مات ٩٤
٩٢ — اناه كومنينوس ٩٦
٩٣ — كي تأتي ٩٧
٩٤ — شبان سيذونوس (٤٠٠ ميلادية) ٩٨
٩٥ — ذاريوس ٩٩

— ١٩٢١ —

٩٦ — نبيل بيزنطي ينظم شعرا في المنفى ١٠١
٩٧ — صفي اليكساندروس فالا ١٠٢
٩٨ — صنعت بالفن ١٠٣
٩٩ — البداية ١٠٣
١٠٠ — نيماراتوس ١٠٤
١٠١ — صانع الآنية ١٠٦
١٠٢ — معاناة شاعر ١٠٦
١٠٣ — من مدرسة الفيلسوف المشهور ١٠٧

— ١٩٢٢ —

١٠٤ — الى ملك سورية ١٠٩
١٠٥ — أولئك الذين حاربوا من أجل الوحدة الأيونية . ١١٠
١٠٦ — في طيات كتاب قديم ١١٠

الصفحة

— ١٩٢٣ —

١٠٧ — كلمات على ضريح انتيوخوس ملك سورية . . . ١١١
١٠٨ — يوليانوس يسجل عدم الاكتراث ١١٢
١٠٩ — مسرح سيذونوس (٤٠٠ ميلادية) ١١٣
١١٠ — يـــأس ١١٤

— ١٩٢٤ —

١١١ — يوليانوس فى نيقوميذيا ١١٥
١١٢ — قبــل أن يغيرهما الزمن ١١٦
١١٣ — فى الاسكندرية : ٣١ قبل الميلاد ١١٧
١١٤ — انتصار يوانيس كانتا كوزينوس ١١٧
١١٥ — جاء ليقــرأ ١١٩

— ١٩٢٥ —

١١٦ — على الشاطىء الايطـــالى ١١٩
١١٧ — من زجـــاج ملون ١٢٠
١١٨ — تيميثوس الانطاكى (٤٤٠ ميلادية) ١٢١
١١٩ — أبولونيوس التيانى فى رودس ١٢١
١٢٠ — فى القريـــة المضجرة ١٢٢
١٢١ — العام الخامس والعشرون من عمره ١٢٣

— ١٩٢٦ —

١٢٢ — كليتوس على فراش المرض ١٢٤
١٢٣ — فى الحـــانات ١٢٥
١٢٤ — الحكيم الراحل عن سورية ١٢٥

الصفحة

١٢٥ — فى مدينة بأسيا الوسطى ١٢٦

١٢٦ — يوليانوس وأهل انطاكية ١٢٧

١٢٧ — موكب كبير من رجال الدين وعامة الشعب . . ١٢٨

١٢٨ — كاهن معبد سيرابيس ١٢٩

— ١٩٢٧ —

١٢٩ — آناة ذالاسينى ١٣٠

١٣٠ — مدينة اغارقة تدامى ١٣١

١٣١ — أيام ١٩٠١ . . . . ١٣١

١٣٢ — شابان فى الثالثة أو الرابعة والعشرين من العمر ١٣٢

١٣٣ — أيام ١٨٩٦ . . . . ١٣٣

— ١٩٢٨ —

١٣٤ — كلمات أديب شاب فى الرابعة والعشرين من عمره ١٣٤

١٣٥ — فى مستوطنة يونانية كبيرة ٢٠٠ قبل الميلاد . ١٣٥

١٣٦ — صورة شاب فى الثالثة والعشرين من عمره ، رسمت
بريشة صديق هاو ، من ذات سنه ١٣٧

١٣٧ — لم يحدث ان فهمت ١٣٨

١٣٨ — كيمون بن ليارخوس ، فى الثانية والعشرين ، طالب
للأدب اليونانى (فى كيرينيه) ١٣٩

١٣٩ — فى اسباطه ١٤٠

١٤٠ — أيام ١٩٠٩ و ١٩١٠ و ١٩١١ . . . . . . ١٤١

١٤١ — أمير من ليبيا الغربية ١٤٢

١٤٢ — فى الطريق الى سينوبوس ١٤٤

الصفحة

— ١٩٢٩ —

١٤٣ — ميريس : الاسكندرية ٣٤ ميلادية ١٤٥
١٤٤ — فى المكان ذاته ١٤٧
١٤٥ — اليكساندروس واليكسندرا ١٤٨
١٤٦ — هيا ، يا ملك اللاقيديمونيين ١٤٩
١٤٧ — زهور جميلة بيضاء ١٥٠

— ١٩٣٠ —

١٤٨ — كان يسأل عن الصنف ١٥١
١٤٩ — كان الأجدر بها ١٥٣
١٥٠ — المرآة فى القاعة ١٥٥

— ١٩٣١ —

١٥١ — وصفة لسحرة يونانيين قدامى من أهل سورية . ١٥٦
١٥٢ — فى عام ٢٠٠ قبل الميلاد ١٥٦

— ١٩٣٢ —

١٥٣ — أيام ١٩٠٨ . . . . ١٥٨

— ١٩٣٣ —

١٥٤ — على مشارف انطاكية ١٦٠
الحواشى ١٦٣
قراءة فى بعض القصائد ٢٢٧
المحتوى ٢٦٣

تحت الطبـــع للمؤلف

- قصـــائد كافافيس غير المنشــــورة .
- الشعر والمتعــة (دراسات عن كافافيس) .
- الشـــعر اليونـــانى المعاصر بعد كافافيس .

مطبعة الجبلاوى
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية

رقم الايداع بدار الكتب ٥٢٥٦ / ١٩٩١

٨ — ١٧١٠ — ٠٠ — ٩٧٧

« .. جلست أخيرا والوقت مساء والجو جميل فى شرفة مطلة على النيل فى منزل صديقى الكاتب الفنان الأستاذ نعيم عطيه وهو يقرأ لى ترجمة لنص قصائد كافافيس شاعر الاسكندرية . ما أسهل الكلمات ، ما أبسطها ، ما أعذبها . المعانى مبراة من التعقيد ومن الشطارة .

ليس المهم فى هذه القصائد ما تقوله ، بل ما تنم عنه . تحسب انك تقرأ حكاية من حكايات كل يوم ، عن لقاء عابر ، عن ليلة تضيئها الشموع ، فاذا ما تقرأ هو فى الوقت ذاته خلاصة مأساة الانسان ازاء قدره ، تلهفه على الموت وخوفه منه .. لم أر فى هذه القصائد غير الملعقة الذهبية الصغيرة التى يدنيها كافافيس اليك ، بها رحيق يسقيك به مثل هذا النهر الزاخر بالأحاسيس . عنده كل ومضة شمس ، وكل قطرة عصارة لف عنقود . هذا هو الشعر فى بساطته وانسانيته ، أثره عند السامع لابد أن يتصاعد من الاعجاب الى الطرب ، الى اللذة الى النشوة ، ثم الى الهزة التى ترج الروح رجا ، لتبحر نحو الشاطىء من بعيد ، نحو الضباب ، نحو السراب ، لا تدرى » .

يحيى حقى

فى كتابه « أنشودة البساطة » ص ٦